# نفحات من علوم القرآن

آية الله الشيخ محمّد باقر الملكيّ الميانجيّ

إعداد وتنظيم
السيّد فاضل الرضويّ

اللهم صل على

المُرتضى، الإمام التَّقيّ النَّقيّ

وَحُجَّتِكَ عَلى مَنْ فَوْقَ الأَرْضِ وَمَنْ تَحْتَ الثَّرى

الصِّدّيقِ الشَّهيدِ صَلاةً كَثيرَةً تامَّةً زاكِيَةً مُتَواصِلَةً مُتَواتِرَةً

مُتَرادِفَةً كَأَفْضَلِ ما صَلَّيْتَ عَلى أَحَدٍ مِنْ أَوْلِيائِكَ

# نَفَحاتٌ
# مِنْ عُلُومِ الْقُرآن

آية الله الشيخ محمّد باقر الملكيّ الميانجيّ

إعداد و تنظيم

السيّد فاضل الرضويّ

سرشناسه : ملکی میانجی، محمدباقر، ۱۲۸۴ - ۱۳۷۷.
عنوان و نام پدیدآور: نفحات من علوم‌القرآن / مولف محمدباقر ملکی‌میانجی؛ اعداد و تنظیم سید فاضل رضوی؛ تحقیق مرتضی اعدادی‌خراسانی.
مشخصات نشر : مشهد: ولایت، ۱۳۹۳.
مشخصات ظاهری : [۲۱۶] ص.
شابک : ۹ ـ ۶۰ ـ ۶۱۷۲ ـ ۹۶۴ ـ ۹۷۸
یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع : قرآن -- علوم قرآنی
موضوع : تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴
شناسه افزوده : رضوی، سیدفاضل، گردآورنده
شناسه افزوده : اعدادی خراسانی، مرتضی، ۱۳۶۰ -
رده بندی کنگره : BP۱۳۹۲۵/۶۹ ۸م۷۶ن/
رده بندی دیویی : ۱۵/۲۹۷
شماره کتابشناسی ملی : ۳۳۹۰۳۵۷

منشورات الولاية

اسم الكتاب: نفحات من علوم القرآن
المؤلف: آية الله الشيخ محمّد باقر الملكيّ الميانجيّ
إعداد و تنظيم: السيّد فاضل الرضويّ
التحقيق: مرتضى الأعداديّ الخراسانيّ
التصحيح: السيّد سجّاد المدرسيّ والشيخ غلام رضا الفاضليّ
تقويم النصّ: محمّد علي الباقيّ
تنضيد الحروف: رضا اليوسفيّ
الناشر: منشورات الولاية
المطبعة: مؤسّسة العتبة الرضويّة المقدّسة للطباعة والنشر
الطبعة: الأولى (١٤٣٥ هـ - ١٣٩٣ش)
الكميّة: ١٥٠٠
الشابك: ٩ ـ ٦٠ ـ ٦١٧٢ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
مراكز التوزيع: ايران ـ مشهد ـ منشورات الولاية ـ هاتف ٠٠٩٨٩١٥١٥٧٦٠٠٣
ايران ـ قم ـ شارع الصفاييّه ـ مجتمع الإمام المهدي(عج) الطابق الأرضي ـ رقم ١١٦
هاتف: ٠٠٩٨٢٥٣٧٨٣٣٦٢٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اُدعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكمَةِ وَالمَوعِظَةِ الحَسَنَة﴾

يُعدّ العلم والمعرفة أفضل وأكبر النِّعم الإلهيّة المهداة لعباد اللّه الصالحين لأنّ بالعلم يُعينهم اللّه على عبوديّته والخضوع له و به يخضعون له، كما يُعدّ ذلك من اكبر النّعم التي بها يفتخرون في حياتهم الدنيا.

والعلماء الربانيّون والعرفاء الإلهيّون هم من يستضيئون بهدى الانبياء والائمة عليهم السلام ولا يشعرون بالتّعب أو الملل أبداً في سلوك هذا الطريق. طريق العلم والعمل، ويتجنّبون الطُرُق الأُخرى التي لا تنتهي بهم إلى نيل معارف الأئمّة عليهم السلام.

تهدف هذه المؤسسة ـ التي تأسست بدافع إحياء آثار هذه الثلّة المخلصة التي تحملت على عاتقها مهمّة الدفاع عن المعارف الوحيانيّة والعلوم الإلهيّة الأصيلة ـ إلى نشر هذا الفكر عبر الوسائل العصرية المتاحة ومن اللّه التوفيق.

عالم آل محمّد
مؤسسة عالم آل محمّد (عليهم السلام) للتحقيق
info@alemalmohammad.com

اللهم كن لوليك
الحجة بن الحسن
صلى عليه وعلى آبائه
في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً
وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً حتى تسكنه أرضك
طوعاً وتمتعه فيها طويلاً

# الفهرس


تمهيد ..... ١٣

١ ـ فضل القرآن ..... ٢٣

فضل القرآن ولزوم التدبّر فيه ..... ٢٥

الف) القرآن ..... ٢٥

ب) الأحاديث ..... ٢٦

تجلّي الله في القرآن ..... ٢٨

القرآن وعصمته الذاتيّة ..... ٢٩

هيمنة القرآن ..... ٣٠

٢ ـ حجّيّة ظواهر القرآن ..... ٣١

ظواهر الكتاب ..... ٣٣

تحدّي الرسولﷺ بالقرآن ..... ٣٣

مقامات القرآن ..... ٣٥

الدعوة العامّة ..... ٣٥

درجات الفهم في تلقّي الدعوة العامّة ..... ٣٧

الدعوة الخاصّة ..... ٣٩

الجمع بين الروايات ..... ٤١
القرآن كتاب تعليميّ ..... ٤٢
التعليم والتذكير ..... ٤٤
٣ ـ الإنزال والتنزيل ..... ٤٧
الإنزال والتنزيل في القرآن والحديث ..... ٤٩
رأي صاحب الكشّاف والمنار ..... ٥٢
نظريّة صاحب الميزان ..... ٥٣
تحليل ونقد ..... ٥٥
الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ ..... ٦٣
٤ ـ المحكم والمتشابه ..... ٦٥
المحكم والمتشابه في القرآن والحديث ..... ٦٧
دراسة بعض الآراء في المحكم والمتشابه ..... ٧٤
نظريّة صاحب الميزان ونقدها ..... ٧٨
٥ ـ المنهج الصحيح في التفسير ..... ٨٣
معنى التفسير ..... ٨٥
نقد منهجيّة تفسير القرآن بالقرآن ..... ٨٧

٨ - النسخ ..... ١٤٥
معنى النسخ ..... ١٤٧
النسخ في التكوينيّات ..... ١٤٨
النسخ والمشيّة الأزليّة ..... ١٥٠
المعنى الاصطلاحيّ للنسخ ..... ١٥١
٩ ـ البداء ..... ١٥٣
معنى البداء ..... ١٥٥
معرفة البداء ..... ١٥٥
أهميّة البداء ..... ١٥٧
المشيّة الأزليّة في منظار الوحي ..... ١٥٨
البداء في المعارف الإلهيّة والبشريّة ..... ١٦٠
العلم منشأ البداء الإلهيّ ..... ١٦١
آثار الاعتقاد بالبداء ..... ١٦٢
الف ) الأحاديث الدالّة على أنّ الدعاء يبدّل القضاء ..... ١٦٣
ب) الأحاديث الدالّة على وقوع البداء بواسطة صلة الأرحام و .. ١٦٤
١٠ ـ تحدّي القرآن وإعجازه ..... ١٦٧

ضرورة الإعجاز ..... ١٦٩
إعجاز القرآن ..... ١٧١
وجه التحدّي والإعجاز ..... ١٧٣
نماذج تاريخيّة من تأثير القرآن ..... ١٧٦
إعجاز القرآن في علومه ومعارفه ..... ١٨٢
القرآن كلام الله ..... ١٨٦
الفهارس ..... ١٩٣
فهرس الآيات الكريمة ..... ١٩٥
فهرس الروايات الشريفة ..... ٢٠٣
فهرس مصادر التحقيق ..... ٢٠٥
ملخّص الفارسيّ والإنجليزيّ ..... ٢١٤

# تمهيد

الحمد لله الذي علا في توحّده، ودنا في تفرّده، وجلّ في سلطانه، وعظم في أركانه، وأحاط بكلّ شيءٍ علماً وهو في مكانه.

ثمّ الصلاة والسلام على المتنجّب في الميثاق، المصطفى في الظِلال، والمطهَّر من كلّ آفة، الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كلّه، رسول الله، وحبيبه، وصفيّه، وخيرته من خلقه، الأحمد من الأوصاف، والمحمّد لسائر الأشراف، الكريم عند الربّ، والمكلَّم من وراء الحُجب، الفائز بالسباق، والفائت عن اللحاق وعلى أهل بيته الطاهرين، فصلّ اللّهم عليه وعلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين، بحور العلوم الزاخرة، والنجوم الزاهرة، والأعلام الباهرة، وسادات الخلق في الدينا والآخرة، صلاةً زاكية نامية كثيرة دائمة لا يحيط بها إلّا أنت ولا يسعها إلّا علمك ولا يحصيها أحدٌ غيرك.

وبعد، فإنّ كلّ هموم الأنبياء وهممهم، ومنتهى مقاصدهم وغاياتهم، وأوّل حاجتهم وآخرها إنّما هو طلب لقاء الله وبلوغ ساحة معرفته ولقاءه، فإنّهم أفرغوا جهدهم وشحذوا جدّهم في التملّق بين يديه والتعرّض لعطفه، يسألونه أن يعرّفهم الطريق إليه والسبيل إلى رضوانه، وتضرّعوا بكلّ وجودهم لكسب محبّته ورضاه، ولسان حالهم جميعاً «يَا مَن هُوَ غَايَةُ

مُرَادِ المُرِيدِينَ يَا مَن هُوَ مُنتَهَى هِمَمِ العَارِفِينَ، يَا مَن هُوَ مُنتَهَى طَلَبِ الطَّالِبِين».[١]

وفي *بحار الأنوار*، عن النبيّ ﷺ:

بَكَى شُعَيبٌ عليه السلام من حُبِّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى عَمِيَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيه بَصَرَهُ؛ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ، فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيه بَصَرَهُ؛ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَمِيَ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيه بَصَرَهُ؛ فَلَمَّا كَانَت الرَّابِعَةُ أوحَى اللَّهُ: إلَيه يَا شُعَيبُ إلَى مَتَى يَكُونُ هَذَا أبداً منكَ؟ إن يَكُن هَذَا خَوفاً منَ النَّار فَقَدْ آجَرتُكَ وَإنْ يَكُنْ شَوقاً إلَى الْجَنَّة فَقَدْ أبَحْتُكَ. فَقَال: إلَهِيّ وَسَيِّدِي، أنتَ تَعلَمُ أنِّي مَا بَكَيتُ خَوفاً من نَارِكَ وَلَا شَوقاً إلَى جَنَّتِكَ وَلَكن عَقَدَ حُبُّكَ عَلَى قَلبِي، فَلَستُ أصبرُ أو أرَاكَ، فَأوحَى اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ إلَيه: أمَّا إذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا، فَمن أجلِ هَذَا سَأُخدِمُكَ كَلِيمِي مُوسَى بنَ عِمرَان.[٢]

هذا ديدن أولياء الله، والمنيبين إليه، حتّى بعث الله خاتم الرسل بالحقّ، أعلى الأنبياء درجة وأحفظهم سرّاً وأشدّهم عزيمة وأوسعهم صدراً وأوعاهم قلباً، فهيّأه الله تعالى لتلقّي الوحي، وأدّبه، وأحسنَ تأديبه، وكمّله وحمّله ما تحمّل، ولقّنه كلّ شيء علماً وحكمة. ثم حفظ ذلك كلّه له في جُمَل نزلت على قلبه عاماً بعد عام، فكان القرآن العظيم الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، والخاتم لجميع الكتب، تصديقاً لما بين يديه، ومهيمناً عليه، تنزيل من حكيم حميد؛ جعله الله طريقاً إلى معرفته، ورضوانه، ولقاءه، وشريعته، وجنّته.

---

١. دعاء الجوشن الكبير؛ *البلد الأمين*، ص٤١١؛ *المصباح للكفعميّ*، ص٢٥٩.
٢. *بحار الأنوار*، ج١٢، ص٣٨٠، ح١ (الباب ١١ من أبواب قصص إبراهيم من كتاب النبوّة).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

ثُمَّ أنزَلَ عَلَيه الكتَابَ نُوراً لَا تُطفَأُ مَصَابيحُهُ وَسِرَاجاً لَا يَخبُو تَوَقُّدُهُ وَبَحراً لَا يُدرَكُ قَعرُهُ وَمَنهَاجاً لَا يُضِلُّ نَهجُهُ وَشُعَاعاً لَا يُظلِمُ ضَوءُهُ وَفُرقَاناً لَا يُخمَدُ بُرهَانُهُ وَتبيَاناً لَا تُهدَمُ أركَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخشَى أسقَامُهُ وَعِزّاً لَا تُهزَمُ أنصَارُهُ وَحَقّاً لَا تُخذَلُ أعوَانُهُ؛ فَهُوَ مَعدنُ الإيمَانِ وَبُحبُوحَتُهُ وَيَنَابيعُ العلمِ وَبُحُورُهُ وَرِيَاضُ العَدلِ وَغُدرَانُهُ وَأثَافِيُّ الإسْلَامِ وَبُنيَانُهُ وَأوديَةُ الحَقِّ وَغِيطَانُهُ وَبَحرٌ لَا يَنزِفُهُ المُستَنزِفُونَ وَعُيُونٌ لَا يُنضِبُهَا المَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يَغِيضُهَا الوَارِدُونَ وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهجَهَا المُسَافِرُونَ وَأعلَامٌ لَا يَعمَى عَنهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنهَا القَاصِدُونَ.

جَعَلَهُ اللَّهُ رِيّاً لعَطَشِ العُلَمَاءِ وَرَبِيعاً لقُلُوبِ الفُقَهَاءِ وَمَحَاجَّ لطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَدَوَاءً لَيسَ بَعدَهُ دَاءٌ وَنُوراً لَيسَ مَعَهُ ظُلمَةٌ وَحَبلًا وَثِيقاً عُروَتُهُ وَمَعقِلاً مَنِيعاً ذِروَتُهُ وَعِزّاً لمَن تَوَلَّاهُ وَسِلماً لمَن دَخَلَهُ وَهُدًى لمَنِ ائتَمَّ بِهِ وَعُذراً لمَنِ انتَحَلَهُ وَبُرهَاناً لمَن تَكَلَّمَ بِهِ وَشَاهِداً لمَن خَاصَمَ بِهِ وَفَلْجاً لمَن حَاجَّ بِهِ وَحَامِلاً لمَن حَمَلَهُ وَمَطِيَّةً لمَن أعمَلَهُ وَآيَةً لمَن تَوَسَّمَ وَجُنَّةً لمَنِ استَلأمَ وَعِلماً لمَن وَعَى وَحَدِيثاً لمَن رَوَى وَحُكماً لمَن قَضَى.[1]

هذا هو القرآن الكريم والكتاب المجيد وأنّ قلب النبيّ صلى الله عليه وآله وعاؤه، وصدرُه حامله. ثمّ لم يرث علم القرآن ولم يستوعبه ويرعه حقّ رعايته غير

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨، ص٣١٥.

أوصياءه من بعده، ولهذا لن يهتدِ أحد من الناس إلى كلام الله ومعرفة معارفه إلّا من أخذ عنهم واستقى من علمهم، فآل محمّدﷺ عدل القرآن الكريم، والمخصوصون بعلمه، والعارفون بالناسخ والمنسوخ والعامّ والخاصّ والمحكم والمتشابه والتنزيل والتأويل دون سواهم.

نعم، يبقى للقرآن جانبان؛ جانب ميسّر للخلق يعلمه العالم والجاهل، وجانب غامض مُعمّى، ومستور مُغطّى، لا مناص للطالب فيه من الرجوع إلى ترجمان الكتاب وحملة علمه الخلفاء المعصومين.[١]

فلا ريب من جانب أنّ أهل البيت قد صرّحوا ودعوا إلى التمسّك بمحكم الكتاب، كما عن الصادقؑ:

إنَّ القُرآنَ فيهِ مُحكَمٌ وَمُتَشابِهٌ، فَأمَّا المُحكَمُ فَنُؤمِنُ بِهِ وَنَعمَلُ بِهِ وَنَدينُ بِهِ.[٢]

وما جاء في بيان أميرالمؤمنينؑ من أنّ قسماً من القرآن يعلمه العالم والجاهل؛[٣] إلّا أنّه من جانب آخر، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إنَّ عَلَينا بَيانَهُ﴾.[٤]

---

١. هذه المسألة جعلها صاحب الكتاب الذي بين يديك ركيزته في التفسير، وطريقته في تلقّي علوم الآيات.

٢. *بصائرالدرجات*، ص٢٠٣، ح٣ (الباب العاشر من الجزء الرابع)؛ *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص١٩٨، ح٥٢ [٣٣٥٨٣] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء).

٣. راجع: *الإحتجاج*، ج١، ص٢٥٣؛ *تفسير كنزالدقائق*، ج٣، ص٣٢ (ذيل الآية ٧ من سورة آل عمران).

٤. القيامة(٧٥)، الآية ١٩.

وقوله سبحانه: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرناهُ بلسانكَ لَعَلَّهُم يَتَذَكَّرُونَ﴾.[١]

وقوله سبحانه: ﴿وَأَنزلنا إِلَيكَ الذِّكرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ ما نُزِّلَ إِلَيهِم﴾.[٢]

وقوله سبحانه: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ﴾.[٣]

ونظائرها من الآيات المباركات، أصبح مقام التبيين والتفسير ورفع الاختلاف من الآيات، شأناً خاصّاً من شؤون خلفاء الله وحججه الذين علّمهم الذكر وجعلهم أهل الذكر، فقال عزّ وجلّ: ﴿فَاسأَلُوا أَهلَ الذِّكرِ إِن كُنتُم لا تَعلَمُونَ﴾[٤] فليس لغيرهم أن يتصدّى لهذا المقام الشامخ الخطير. ولهذا نبّه النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في يوم الغدير بعد أن دعا إلى تدبّر القرآن وتفهّم آياته، على ضرورة الاعتماد على وصيّه وخليفته من بعده أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك والأخذ منه لا من غيره فقال صلى الله عليه وآله:

وَلَا يُوَضِّحُ لَكُم تَفسيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِه وَمُصعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِه وَمُعلِمُكُم أَنَّ مَن كُنتُ مَولَاهُ فَهَذَا عَلِيٌّ مَولَاه.[٥]

## المؤلّف في سطور

ولد آية الله الشيخ محمّد باقر الملكيّ الميانجيّ نجل المرحوم الحاج عبد

---

١. الدخان(٤٤)، الآية ٥٨.

٢ النحل (١٦)، الآية ٤٤.

٣. البقرة(٢)، الآية ١٢٩.

٤ النحل(١٦) الآية ٤٣ والأنبياء (٢١)، الآية ٧.

٥. *روضة الواعظين*، ج١، ص٩٤؛ *بحار الأنوار*، ج٣٧، ص٢٠٩، ح٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالّة على الخصوص... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) بإختلاف يسير.

العظيم في أُسرة عريقة دينيّة شريفة في آذربايجان، فدرس المقدّمات من الأدب والمنطق والفقه والأصول لدى العالم الجليل المرحوم آية الله السيّد واسع الكاظميّ التَركيّ الذي كان من أفاضل تلامذة الآخوند الخراسانيّ حتّى أكمل عنده كتابي *القوانين والرياض*.

ثمّ انتقل إلى مشهد المقدّسة ودرس السطوح العليا لدى أستاذه المرحوم آية الله الشيخ هاشم القزوينيّ، والفلسفة والعقائد لدى المرحوم آية الله الشيخ مجتبى القزوينيّ، ثمّ حضر بحوث الخارج لدى المرحوم آية الله ميرزا محمّد آقازاده الخراسانيّ، كما تلقّى قسماً من المباحث الفقهيّة ودورة في الأبحاث الأصوليّة والمعارف الإسلاميّة عند الفقيه الكبير آية الله الميرزا مهديّ الغرويّ الإصفهانيّ، فنال إجازة الاجتهاد والإفتاء والرواية منه سنة ١٣٦١هـ.ق؛ وقد صدّقها المرحوم آية الله العظمى السيّد محمّد الكوه كمريّ التبريزيّ.

ثمّ رجع إلى موطنه بعد مضيّ ١٣سنة من الدراسة في مشهد وقام بنشر المعارف الإسلاميّة، ثمّ انتقل إلى قم المقدّسة بعد ١٦ سنة وأكرمه المرجع الدينيّ الأعلى للشيعة المرحوم آية الله العظمى البروجرديّ، فواصل تدريسه في الحوزة لبحث خارج الفقه والتفسير والمعارف فتخرج على يديه عدة من أهل العلم والمعرفة.

له مؤلّفات طبع بعضها كـ*بدائع الكلام في تفسير آيات الأحكام*، و*تفسير فاتحة الكتاب*، و*مناهج البيان في تفسير القرآن* و*كتاب توحيد الإماميّة* في العقائد وله مخطوطات كرسالة في *الحبط والتكفير* ودورة كاملة لتقريرات الأصول لأستاذه آية الله الميرزا مهديّ الإصفهانيّ.

## منهج مباحث الكتاب

من هذا المنطلق اجتهد المؤلّف ـ أعلى الله مقامه ـ في بيان أهميّة حفظ مقام أهل البيت عليهم السلام وموضعهم من مسألة التفسير.

وقد سعى إلى تبيين التميز بين المحكمات التي يسوغ فيها التمسّك بظاهر الكتاب من خلال إمضاء الحجج المعصومين ودعوتهم إلى الأخذ والعمل بها، وبين غيرها ممّا يجب الرجوع إلى حملة القرآن في أصل فهمها.

ومن الجدير بالذكر أنّ هذه عينها طريقة مشي الفقهاء الأصوليّين في زمن غيبة المعصوم في مقام التمسّك بظاهر الكتاب، رغم قلّة الأخبار الموجودة في خصوص هذا المجال.

بين يدي القارئ أهمّ ما تعرّض له المؤلّف في هذا الكتاب:

### نقد منهج صاحب الميزان

فيه تنبيه على خطأ المبنى الذي سلكه صاحب *تفسير الميزان* في تبيين مقاصد المعاني القرآنيّة وتفسير الآيات، والخلل في أسلوبه في التفسير، حيث أخذ في التفسير المذكور محاولة لتفسير القرآن بالقرآن لما رأى من ضرورة مجانبة بيان غير القرآن حتّى بيانات أهل الذكر الذين إليهم مرجع العباد في ذلك كما ستعرف في ضمن مباحث الكتاب.

وقد ذكر المؤلّف رحمه الله هذه النظريّة وما يرد عليها، والتي تؤول في طبيعتها إلى التفريق بين الذِكر وأهل الذكر، وبين الله ورُسله، والإيمان ببعض دون بعض.

وفي هذا المضمار تعرّض لضرورة رجوع الأمّة إلى الأئمّة عليهم السلام في معرفة حِكَم القرآن وحقائقه ومعارفه، لا معرفة ألفاظه وقراءاته فحسب.

## النسخ وأنواعه

وقد اهتمّ بتبيين معاني النسخ والتأويل ووضع النقاط على الحروف في تفسير القرآن بالرأي وتعرّض لأهميّة نبذ المعاني الاصطلاحيّة، معتمداً على المعنى اللغويّ لفهم ما ورد من كلمات أهل البيت عليهم السلام والقرآن الحكيم.

## بحوث عقائديّة

وقد أشار إلى فوائد مهمّة ذكرها في ضمن الآيات التي تناسبها، من قبيل مسألة البداء ومعنى تغيير الرأي عند الباري تعالى، وقد حرص حرصاً شديداً على التمسّك باللغة من دون التورّط بالمعاني المصطلحة التي نكست الفحول حين عجزوا عن معالجتها، ولم يبدِّل ولم يأوِّل ظاهر قوله تعالى: ﴿يَمحُوا اللهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتاب﴾[1] ولم يرفع اليد عن ظاهر الروايات المفسِّرة له كقول الصادق عليه السلام:

وَهَل يُمحَى إلَّا مَا كَانَ ثَابتاً وَهَل يُثبَتُ إلَّا مَا لَم يَكُن.[2]

وقد أبطل ما جاء به الفلسفة في هذا الصدد بتسليط الأضواء على كلمات فصل الخطاب وهم أئمّة الهدى عليهم السلام، ونسبة نشو الرأي إلى علمه تعالى لا كما توهّم المتكلّفون في نسبة نشو الجهل، فعقد باباً في حلّ هذه الشبهة وذكر فيه قول الصادق عليه السلام:

مَن زَعَمَ أنَّ اللهَ يَبدُو لَهُ فِي شَيءٍ اليَومَ، لَم يَعلَمهُ أمسِ فَابرَءُوا مِنهُ.[3]

---

١. الرعد(١٣)، الآية ٣٩.

٢. *الكافي*، ج١، ص١٤٧، ح١ (باب البداء).

٣. *كمال الدين وتمام النعمة*، ج١، ص ٧٠؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١١١، ح٣٠.

مثبتاً في ذلك كلّه إنشاء الرأي حقيقة فيما لم يكن من قبل، كما قال موسى بن جعفر عليه السلام:

إنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم يُقَدَّر قَالَ قُلتُ: جُعلتُ فدَاكَ هَذَا مَا قُدِّرَ قَد عَرَفنَاهُ، أ فَرَأيتَ مَا لَم يُقَدَّر؟ قَالَ: حَتَّى لَا يُقَدَّرَ.[1]

## تحدّي القرآن الكريم

وقد عقد في الفصل الأخير من الكتاب باباً تحت عنوان: «في التحدّي بالقرآن» موضحاً فيه موضوع التحدّي، وأهميّة التحدّي العلميّ والإعجاز في ذلك ومعناه، وكذلك المراد من حديث مولانا الرضا عليه السلام:

إنَّ اللهَ تَعَالى بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله فِي وَقتٍ كَانَ الغَالبُ عَلى أهلِ عَصرِه الخُطَبَ وَالكَلَام، فَأَتَاهُم من عند الله تَعَالى من مَوَاعظِه وَحِكَمِه مَا أبطَلَ بِهِ قَولَهُم، وَأثبَتَ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيهِم.[2]

## ميزة هذه الطبعة

الأثر الحاضر بين يديك هو عبارة عن مقدّمة كتاب *مناهج البيان في تفسير القرآن* لآية الله الملكيّ، وقد تمّ إعادة ترتيبه من حيث التبويب والعناوين وإضافة بعض المقاطع في ابتداء كلّ بحث على غرار كتاب *نگاهي به علوم*

---

١. *بحارالأنوار*، ج٩٠، ص٢٩٧، ح٢٧ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن).
٢. *الكافي*، ج١، ص٢٤، ح٢٠؛ *بحارالأنوار*، ج١٧، ص٢١٠، ح١٥ (الباب الأوّل من أبواب معجزاته صلى الله عليه وآله من كتاب تاريخ نبيّنا صلى الله عليه وآله).

قرآني[١] كما وأنّه قد أُضيفت بعض العناوين وأُعيدت صياغة بعض العبارات بُغية التسهيل.

ولا يسعني إلّا الشكر والتقدير لمن ساهم في نشر هذا الكتاب من أعضاء مؤسّسة عالم آل محمّدﷺ المعارفيّة في تكميل المصادر وإضافة فهرس المصادر والنصوص والتنضيد وترتيب المتن، وأخصّ بالذكر سماحة السيّد سجّاد المدرّسيّ وسماحة الشيخ غلام رضا الفاضليّ وسماحة الشيخ مرتضى الأعداديّ الخراسانيّ لما بذلوا من الجهد في تصحيح الكتاب وتقويم نصّه وتحقيقه.

كما وننوّه على أنّ طباعة الكتاب قد تمّ على نفقة فاضل خيرات المرحوم المؤمن الحاج فائق زيد الكاظميّ، وسيصرف في طباعة ونشر كتب أُخرى إن شاء الله.

ألتمس في الختام من الله تعالى أن يتقبّل أعمالنا بقبول حسن، ويجعلها في ميزان حسناتنا يوم القيامة بشفاعة سيّدنا ومولانا الإمام أبي الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه آلاف التحيّة والثناء.

الثالث من الربيع الأوّل ١٤٣٥ هـ ق
فاضل حسين الرضويّ
مشهد المقدّسة

---

١. وقد طبع هذا الكتاب مرّتين باهتمام عليّ الملكيّ الميانجيّ وترجمة الدكتور عليّ نقيّ خدايارىّ.

# ١

# فضل القرآن

- فضل القرآن ولزوم التدبّر فيه
- تجلّي الله في القرآن
- القرآن وعصمته الذاتيّة
- هيمنة القرآن

## فضل القرآن ولزوم التدبّر فيه

قد استفاضت النصوص والأخبار في فضل القرآن وقراءته والتدبّر فيه والاتّعاظ به، والتمسّك والائتمام بهَديه والاستضاءة بنوره، لا سيّما عند تراكم أمواج الفتن وتهاجم الشبهات وعروض الفترات؛ وإليك جملة من هذه النصوص القيّمة:

### الف) القرآن

قال الله تعالى:

﴿كِتَابٌ أنزَلنَاهُ إلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِه ولِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الألبَابِ﴾؛[1]

﴿إنَّ هَذَا القُرآنَ يَهدِي لِلَّتِي هِيَ أقوَمُ﴾؛[2]

﴿لَو أنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشيَةِ اللَّه﴾.[3]

والآيات في هذا الباب كثيرة نكتفي بما ذكرناه.

---

١. ص (٣٨)، الآية ٢٩.

٢. الإسراء (١٧)، الآية ٩.

٣. الحشر (٥٩)، الآية ٢١.

## ب) الأحاديث

ورد في *الكافي*، عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن السكونيّ، عن أبي عبد اللّه عليه السلام، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

... فَإذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ، كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، فَعَلَيكُم بِالقُرآنِ، فَإنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ومَاحِلٌ مُصَدَّقٌ، وَمَن جَعَلَهُ أمَامَهُ، قَادَهُ إلَى الجَنَّةِ وَمَن جَعَلَهُ خَلفَهُ، سَاقَهُ إلَى النَّارِ، وَهُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيرِ سَبِيلٍ... فِيهِ مَصَابِيحُ الهُدَى وَمَنَارُ الحِكمَةِ... .[1]

وفيه، عن عدّة من أصحابنا مسنداً عن إسحاق بن عمّار، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

قُلتُ لَهُ: جُعلتُ فِداكَ، إنِّي أحفَظُ القُرآنَ عَلَى ظَهرِ قَلبِي، فَأقرَأُهُ عَلَى ظَهرِ قَلبِي أفضَلُ أو أنظُرُ فِي المُصحَفِ؟ قَالَ: فَقَالَ لِي: بَل اقرَأهُ وَانظُر فِي المُصحَفِ فَهُوَ أفضَلُ؛ أمَا عَلِمتَ أنَّ النَّظَرَ فِي المُصحَفِ، عِبَادَةٌ.[2]

وفي *النهج*، قال أمير المؤمنين عليه السلام:

وَاعلَمُوا أنَّ هَذَا القُرآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لايَغُشُّ، وَالهَادِي الَّذِي لَايُضِلُّ، وَالمُحَدِّثُ الَّذِي لَايَكذِبُ، وَمَا جَالَسَ هَذَا القُرآنَ أحَدٌ

---

١. *الكافي*، ج٢، ص٥٩٨، ح٢؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١٧، ح١٦ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢. *الكافي*، ج٢، ص٦١٤، ح٥؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١٩٦، ح٤ (الباب ٢٢ من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

إلَّا قَامَ عَنهُ بزِيَادَةٍ أو نُقصَانٍ؛ زِيَادَةٍ فِي هُدًى أو نُقصَانٍ من عَمًى. وَاعلَمُوا أنَّهُ لَيسَ عَلَى أحَدٍ بَعدَ القُرآنِ من فَاقَةٍ وَلَا لِأحَدٍ قَبلَ القُرآنِ من غِنًى، فَاستَشفُوهُ من أدوَائِكُم واستَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأوَائِكُم، فَإنَّ فيه شِفَاءً من أكبَرِ الدَّاءِ؛ وَهُوَ الكُفرُ والنِّفَاقُ وَالغَيُّ وَالضَّلَالُ؛ فَاسأَلُوا اللَّهَ بِهِ، وَتَوَجَّهُوا إلَيهِ بِحُبِّهِ وَلَا تَسأَلُوا بِهِ خَلقَهُ، إنَّهُ مَا تَوَجَّهَ العِبَادُ إلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثلِهِ. وَاعلَمُوا أنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ، وأنَّهُ مَن شَفَعَ لَهُ القُرآنُ يَومَ القِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ، وَمَن مَحَلَ بِهِ القُرآنُ يَومَ القِيَامَةِ صُدِّقَ عَلَيهِ... وَإنَّ اللَّهَ سُبحَانَهُ لَم يَعِظ أحَداً بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ، فَإنَّهُ حَبلُ اللَّهِ المَتِينُ وسَبَبُهُ الأمِينُ وَفِيهِ رَبِيعُ القَلبِ وَيَنَابِيعُ العِلمِ، وَمَا لِلقَلبِ جَلَاءٌ غَيرُهُ... .[1]

وفي *تفسير العيّاشيّ*، عن أبي عبد اللّه عليه السلام عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله قال:

القُرآنُ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ، وَتِبيَانٌ مِنَ العَمَى، وَاستِقَالَةٌ مِنَ العَثرَةِ، وَنُورٌ مِنَ الظُّلمَةِ، وَضِيَاءٌ مِنَ الأحزَانِ، وَعِصمَةٌ مِنَ الهَلَكَةِ، وَرُشدٌ مِنَ الغَوَايَةِ، وَبَيَانٌ مِنَ الفِتَنِ، وَبَلَاغٌ مِنَ الدُّنيَا إلَى الآخِرَةِ، وَفِيهِ كَمَالُ دِينِكُم، فَهَذِهِ صِفَةُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله لِلقُرآنِ؛ وَمَا عَدَلَ أحَدٌ عَنِ القُرآنِ إلَّا إلَى النَّارِ.[2]

---

١. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٧٦، ص ٢٥١.

٢. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص٥، ح٨؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٢٦، ح٢٨ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

وفي *العيون*، عن البيهقيّ مسنداً عن الرضا، عن أبيه عليهما السلام أنّ رجلاً سأل أبا عبد اللّه عليه السلام: ما بال القرآن لايزداد على النشر والدراسة إلّا غضاضة؟ فقال:

لِأَنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعالَى لَم يُنزِلهُ لِزَمانٍ دُونَ زَمانٍ، وَلَا لِناسٍ دُونَ ناسٍ، فَهُوَ فِي كُلِّ زَمانٍ جَدِيدٌ، وَعِندَ كُلِّ قَومٍ غَضٌّ إلَى يَومِ القِيامَةِ.[1]

## تجلّي الله في القرآن

ورد في *البحار*، عن الصادق عليه السلام أنّه قال:

لَقَد تَجَلَّى اللَّهُ لِخَلقِهِ فِي كَلَامِهِ، وَلَكِنَّهُم لَا يُبصِرُونَ.[2]

إنّ القرآن الكريم مؤسَّس على الذكر والتذكرة والبرهان ومعنى كونه ذكراً وتذكرة وبرهاناً، أنّه يدعو الناس إلى ربّهم الظاهر بذاته. وأنّه أجلّ مكاناً وأرفع مقاماً من أن يحتاج في إفادة مقاصده ومراميه إلى التشبّث بغيره من العلوم. من هنا فإنّ القرآن أعظم مذكّر وأجلّ هادٍ للغافلين والناسين، يذكّرهم بالله تعالى وبعد ما أعرضوا عنه تعالىٰ يهديهم ويرشدهم كي يرجعوا إليه، فيشملهم الله برحمته وعطائه ليتوبوا وينيبوا إليه.

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام، ج٢، ص٨٧، ح٣٢ (الباب ٣٢)؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١٥، ح٨ وفيه: (الدرس) بدل (الدراسة).

٢. *عوالي اللئالي*، ج٤، ص١١٦، ح١٨١؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١٠٧، ح٢ (الباب التاسع من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

قال أمير المؤمنين عليه السلام:

فَبَعَثَ اللّهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بالحَقِّ؛ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ من عِبَادَةِ الأوثَانِ إلَى عِبَادَتِه، وَمن طَاعَةِ الشَّيطَانِ إلَى طَاعَتِه بِقُرآنٍ قَد بَيَّنَهُ، وَأحكَمَهُ لِيَعلَمَ العِبَادُ رَبَّهُم إذ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِه بَعدَ إذ جَحَدُوهُ، وَلِيُثبِتُوهُ بَعدَ إذ أنكَرُوهُ؛ فَتَجَلَّى لَهُم سُبحَانَهُ فِي كِتَابِه من غَيرِ أن يَكُونُوا رَأَوهُ بِمَا أرَاهُم من قُدرَتِه، وخَوَّفَهُم من سَطوَتِه.[1]

## القرآن وعصمته الذاتيّة

بما أنّ القرآن معجزة خالدة وفرقان والمرجع الباقي الوحيد، المعصوم بذاته فإنّه يكون الحجّة على ذاته بذاته، والفارق بين الحقّ والباطل ، والصدق والكذب بحجّيّته ، والمبيِّن لكلّ ما اختلف فيه الناس في شؤون دينهم ودنياهم. لأنّ الكتاب الذي يميز بين الحقّ والباطل يكون لامحالة حجّة وبرهاناً على نفسه بأنّه الحقّ المبين وأنّه كتاب لا ريب فيه هدىً للمتّقين.

وقد وصفه اللّـه تعالى بأنّه: نور وهداية وذكرى وبيّنات وبصائر وضياء وغيرها من الأوصاف؛ قال تعالى:

﴿تَبارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبده لِيَكُونَ للعالَمينَ نَذيراً﴾؛[2]

﴿يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهانٌ من رَبِّكُم وأنزَلنَا إلَيكُم نُوراً مُبيناً﴾.[3]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٤٧، ص٢٠٤.

٢. الفرقان (٢٥)، الآية ١: إنّ معنى الفرقان لدى المؤلّف هو ما يفرق بين الحقّ والباطل وله أجزاء وفِرَق.

٣. النساء (٤)، الآية ١٧٤.

إنّ المراد من البرهان بحسب اللغة هو الحجّة القاطعة والدليل النوريّ.[١]

## هيمنة القرآن

﴿وأنزَلنَا إلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَينَ يَدَيهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيمِناً عَلَيه﴾.[٢]

الظاهر أنّ معنى كونه مهيمناً على الكتب التي بين يديه، هو كونه مراقباً وحافظاً عليها من أن يزاد عليها شيء؛ فما صدّقه القرآن منها فهو الحقّ وما كذّبه فهو الباطل؛ وما لم يصدّقه القرآن من الكتب لم يكن منها.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في دعائه عند ختم القرآن:

اللّهُمَّ إنَّكَ أعَنتَنِي عَلَى خَتمِ كِتَابِكَ الَّذِي أنزَلتَهُ نُوراً، وَجَعَلتَهُ مُهَيمِناً عَلَى كُلِ كِتَابٍ أنزَلتَهُ.[٣]

وفي *بحار الأنوار*، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنّه قال:

إنَّ اللّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ كِتَابِي المُهَيمِنَ عَلَى كُتُبِهِمُ، النَّاسِخَ لَهَا.[٤]

---

١. راجع: *مجمع البحرين*، ج٦، ص٢١٣؛ *تاج العروس من جواهر القاموس*، ج١٨، ص٥٥؛ *مفردات ألفاظ قرآن*، ص١٢١.

٢. المائدة (٥)، الآية ٤٨.

٣. *الصحيفة السجّادية*، الدعاء ٤٢، ص١٧٤.

٤. *بحار الأنوار*، ج٩، ص٢٩٢، ح٣ (الباب الثاني من أبواب احتجاجات الرسول صلى الله عليه وآله من كتاب الإحتجاج)؛ *الإحتجاج*، ج١، ص٥٠.

# ٢

# حجّيّة ظواهر القرآن

- ظواهر الكتاب
- تحدّي الرسول بالقرآن
- الدعوة العامّة
- درجات الفهم في تلقّي الدعوة العامّة
- الدعوة الخاصّة
- الجمع بين الروايات
- القرآن كتاب تعليميّ
- التعليم والتذكير

## ظواهر الكتاب

من الواضح أن لا إشكال في حجّيّة محكمات القرآن الكريم وكذلك لا إشكال في حجّيّة ظواهره عند المحقّقين، فإنّ المتسالم عليه في تفسير القرآن هو الاعتماد على الدلالات اللفظيّة، نصّاً كانت أو ظاهراً؛ فإنّ ظواهر الألفاظ حجّة عند العقلاء في تبيين مراداتهم وإفهام مقاصدهم ولم يتّخذ الشارع طريقاً خاصّاً ومنهجاً جديداً في تعاليمه وبلاغاته. ولا فرق في ذلك بين الكتاب والسنّة. ولا يتنافى ذلك مع ما قرّروه في علم الأصول من جواز تخصيص العامّ وتقييد المطلق؛ فعامّ الكتاب ومطلقه يخصّص ويقيّد بالخاصّ والمقيِّد من الكتاب والسنّة المعتبرة.

## تحدّي الرسول ﷺ بالقرآن

يظهر من مراجعة تاريخ نزول القرآن وابتداء دعوة النبيّ الأعظم ﷺ مسألة حجّيّة الظواهر، حيث أنّ رسول اللّه ﷺ قام بالدعوة الإلهيّة بهذا القرآن. فهذه دعوته الحقّة إلى قومه من أوّل قيامه إلى آخر عمره الشريف. وأنّه ﷺ قد تحدّاهم بالقرآن وبارزهم به أشدّ المبارزة. وجدّ المشركون وبذلوا كلّ

الجُهد في إطفاء نوره وإبطال دعوته، ولم يتيسّر ذلك لهم؛ وقاموا بتكذيبه والمكابرة والعناد في قباله ورموه بالسحر وأنّه أساطير الأوّلين وقالوا ـ كما يحدّثنا القرآن عنهم ـ: ﴿لَاتَسمَعُوا لِهذَا القُرآنِ وَألغَوا فيهِ لَعَلَّكُم تَغلِبُونَ﴾[1] فأعجزهم اللّه تعالى بهذا البرهان النوريّ وغلبهم وجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. ولم يتمكّن المنكرون مع شدّة غيظهم وحرصهم على المكابرة وإبطال نوره، أن يقلّلوا من عظمة القرآن ومجده الباهر شيئاً.

بديهيّ أنّ قوام هذه المعارضة والمبارزة وهذه الدعوة الحقّة ليس إلّا بالكلام. ولو أنّهم لم يفهموا ما أُلقي إليهم من الحقائق وما أبطل به عاداتهم الوثنيّة الجاهليّة لَمَا كان هناك دعوة ولا مبارزة ولا تعجيز، ولم ينجرّ الأمر إلى بغيهم وعنادهم وقيامهم بالسيف ومبادرتهم إلى القتال وإزهاق النفوس، وإصرارهم على ذلك كلّه بكلّ ما يملكون.

أنّ القرآن الكريم حجّة بين اللّه سبحانه وبين خلقه؛ وهو حبل ممدود بينه تعالى وبين عباده، عند من عرف لغة القرآن، العربيّة.

إنّ الأئمّة عليهم السلام أمروا الناس بالرجوع إليه والتدبّر والتفكّر فيه، وجعلوه مرجعاً ومعياراً لصحّة الأخبار وسقمها[2] وهذا خير شاهد على إمكان فهم القرآن، وعليه يمكن الاتّكال على ظواهر القرآن والاستفادة منها في استنباط الأحكام والمعارف.

---

١. فصّلت (٤١)، الآية ٢٦.

٢. راجع: *الكافي*، ج١، ص٦٩، ح٤: قال الإمام الصادق عليه السلام: مَا لَمْ يُوَافِق مِنَ الحَدِيثِ القُرآنَ فَهُوَ زُخرُفٌ.

## مقامات القرآن

لا يخفى أنّه وقع إفراط وتفريط في تلقّي علوم القرآن، فقد ذهب البعض إلى إنكار حجّيّة ظواهر القرآن، وآخرون إلى الاستقلال في فهم علومه مطلقاً.

وينبغي النظر والتفريق بين مقامين للقرآن الكريم في مسألة ظواهر آياته وأُسلوب تعليمه:

**المقام الأوّل:** مقام الدعوة العامّة، والقرآن يخاطب في هذا المقام عامّة الناس، فيستنير منه جميع الناس بمقدار ما آتاهم الله من العلم.

**المقام الثاني:** مقام الدعوة الخاصّة، المختصّ برسول الله ﷺ والأئمّة عليهم السلام وأمّا بقيّة الناس فلا يمكن لهم الاستفادة من هذا المقام إلّا من خلال التعلّم من أهل الذكر كما ستعرف.

## الدعوة العامّة

إنّ القرآن في مرتبة دعوته العامّة يذكّر الناس ويهديهم إلى جميع العلوم الفطريّة التي فطرهم اللّـه عليها، من معرفته تعالى ومعرفة توحيده سبحانه. وكذلك يذكّر الناس بآياته المخلوقة المصنوعة، ويدعوهم إلى التدبّر فيها ومعرفة أسرارها التي تنادي بأعلى صوتها على وجود الصانع الحكيم.

وحيث إنّ القرآن هداية وإرشاد إلى جميع العلوم الفطريّة التي يتمكّن الناس من نيلها وإدراكها، وما ألهمهم اللّـه تعالى من فجورهم وتقواهم، فإنّهم يتذكّرون بضياء المعرفة وشعاع العقل، ويستنيرون بها عند مخاطبة اللّـه تعالى إيّاهم بما يعظهم ويرشدهم؛ فيستأديهم ميثاق فطرته ويثير فيهم

دفائن العقول، فيلزمهم بالإيمان والإقرار بها وجدوا وعلموا ببداهة عقولهم، من الحقائق والمعارف والمحسّنات والمقبّحات والمنكرات الضروريّة، وبالجملة فإنّه المذكّر للمستقلّات العقليّة المصطلحة عند الفقهاء على عرضها العريض؛ وخاصّة الانتهاء والاجتناب من كلّ فاحشة وقبيحة، والقيام بكلّ أمر معروف حسن.

ويبشّرهم سبحانه بحنانه ووفائه لأهل الوفاء له تعالى، من المحسنين والمتّقين، وبما وعدهم من مواهبه الكريمة وعطاياه الهنيئة، ويهدّدهم بانتقامه وسطواته ونقماته على الظالمين والمتكبّرين والمستكبرين في الدنيا؛ ويبيّن لهم ما تؤول إليه عاقبة أمر المتّقين والمحسنين، والطاغين والظالمين والمستكبرين، في ضمن القصص والأمثال. ويحذّرهم جلّ مجده، عن إساءة الأدب في حريمه، وإضاعة حقوقه الحقّة في السرّ والعلانيّة ويزكّي ويطهّر بذلك ظاهرهم وباطنهم.

والحاصل: أنّ القرآن حجّة لجميع الناس في مرحلة الدعوة العامّة فيجب التدبّر والاستبصار والاهتداء والاستضاءة والائتمام به، والتماس غرائبه وعجائبه. وقد ذكرنا أنّ في هذه المرتبة من العلوم والحقائق ما يبهر العقول، ولا يمكن تحديده لسعة أطرافه وانتشار مراميه، فالقرآن بهذا الإعتبار إمام يقود إلى الجنّة ويهدي للتي هي أقوم؛ وهو بصائر وذكرى، وضياء ونور، وهدى للمتّقين والمخبتين وأُولي الأبصار، وغير ذلك من نعوته الجليلة. وفيه أُمّهات المسائل الأخلاقيّة وتحديد رسوم العبوديّة بأجلى بيان وأنور برهان.

## درجات الفهم فى تلقّي الدعوة العامّة

إنّ القرآن الكريم حجّة على جميع الناس في مرتبة الدعوة العامّة، فيلزم عليهم جميعاً أن ينظروا فيه بدقّة وأن يستنيروا من أنواره ويأتمروا بأوامره وينتهوا عن زواجره ويتعمّقوا في عجائبه وغرائبه. إنّ هذه المرتبة من علوم القرآن محيّرة للعقول ولا يمكن تحديدها لسعتها، إلّا أنّ الناس يختلفون في نيل هذه المعارف والحقائق وإدراكها؛ فيهتدون إليها على قدر بصيرتهم، ويستنيرون بها على سعة نور فطرتهم، سيّما بعد ملاحظة تقواهم وقيامهم بالعمل بما يعرفون ويعلمون؛ فيزيد اللّه الذين اهتدوا هدىً ويؤتيهم تقواهم.

وهذا البحث يحتاج إلى بيان أوسع، نكتفي بهذا المقدار.

ورد في *الإحتجاج*، في احتجاج عليّ عليه السلام على زنديق بآي من القرآن متشابهة، تحتاج إلى التأويل أنّه قال عليه السلام:

... ثُمَّ إنَّ اللّهَ جَلَّ ذكرُهُ لسَعَة رَحمَته ورَأفَته بخَلقه وعلمه بمَا يُحدثُهُ المُبطلُونَ من تَغيير كتَابه، قَسَّمَ كَلَامَهُ ثَلَاثَةَ أقسَام: فَجَعَلَ قسماً منهُ يَعرفُهُ العَالمُ والجَاهلُ، وقسماً لَايَعرفُهُ إلَّا مَن صَفَا ذهنُهُ، ولَطُفَ حسُّهُ، وصَحَّ تَمييزُهُ ممَّن شَرَحَ اللّهُ صَدرَهُ لِلإسلام، وقسماً لَايَعرفُهُ إلَّا اللّهُ وأُمَنَاؤُهُ والرَّاسخُونَ فِي العلم؛ وإنَّمَا فَعَلَ اللّهُ ذَلكَ لِئَلَّا يَدَّعِيَ أهلُ البَاطلِ منَ المُستَولينَ عَلَى ميرَاث رَسُول اللّه صلى الله عليه وآله من علم الكتَاب، مَا لم يَجعَل اللّهُ لَهُم، ولِيَقُودَهُمُ

الاضطِرَارُ إِلَى الإِئتِمَارِ لِمَن وَلَّاهُ أمرَهُم؛ فَاستَكبَرُوا عَن طَاعَتِه تَعَزُّزاً وَافتِرَاءاً عَلَى اللَّه عَزَّوَجَلَّ وَاغتِرَاراً بِكَثرَةِ مَن ظَاهَرَهُم وَعَاوَنَهُم وَعَانَدَ اللَّهَ جَلَّ اسمُهُ وَرَسُولَهُ ﷺ... .[1]

يظهر من كلام الإمام عليه السلام أنّ مرتبة الدعوة العامّة ـ مع عموميّتها ـ تنقسم إلى قسمين: قسم يشترك فيه العالم والجاهل وقسم لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه ولطف حسّه. لأنّ مراتب الناس تختلف في تلقيّ الدعوة العامّة بلحاظ الفهم ودرجات إيمانهم وطهارة نفوسهم وسعة علمهم بمعارف الدين وأصول الأخلاق والتذكّر بالمستقلّات العقليّة.

أمّا مرتبة الدعوة الخاصّة فإنّ العلم بها ينحصر بالله وأُمنائه الراسخين في العلم. وأمّا غيرهم فيتعلّمون حلال القرآن وحرامه منهم بمقدار ما أراد الله وسعوا إليه، ويتمكّنوا بذلك من حمل الكلّيّات على الجزئيّات وردّ الفروع إلى الأصول. وفيهم الفقيه والأفقه، حتّى أنّ منهم من لايتمكّن من استنباط الفروع من جوامع الكلم وأصول العلم وموادّه، بل يكون حاملاً لعدّة من فتاوى الراسخين، وهذا أيضا مقام من الفقاهة وهكذا فإنّ فوق كلّ ذي علم عليم. حتّى قيل: ما نشأ في الاسلام أفقه من سلمان.[2]

---

١. *الإحتجاج*، ج١، ص٢٥٣؛ *البرهان في تفسير القرآن*، ج٥، ص٨٣٨، ح١.

٢. قال في معجم *رجال الحديث*، ج٨، ص١٩٤: حكي عن الفضل بن شاذان أنّه قال: ما نشأ في الإسلام رجل من كافّة الناس كان أفقه من سلمان الفارسيّ. راجع: *رجال الكشّي*، ج١، ص٦٨.

## الدعوة الخاصّة

إنّ ما ذكرناه من أنّ القرآن ينقسم إلى مقامين؛ مقام الدعوة العامّة والدعوة الخاصّة، أمر لا ريب فيه ولا يحتاج إلى إقامة دليل عقليّ أو نقليّ. وإنّما الكلام في أنّ القرآن المجيد، هل تنحصر علومه ومعارفه وحقائقه بهذه المرتبة العامّة التي يشترك فيه العالم والجاهل كي يكون القرآن شرعة لكلّ وارد يردها واحد بعد واحد، أو أنّ له ما عدا هذه المرتبة معارف وعلوم وقوانين وعبادات ومكارم وكرائم اختصّ بحملها وفهمها أُولوا الألباب والأبصار؛ وهي أجلّ وأعلى من أن تناله العقول. كيف ؟! وهو الكلام الذي تكفّل بجميع التعاليم العالية بالنسبة إلى جميع الأشخاص في كلّ عصر ومصر، من الكمالات الربوبيّة والأسماء والصفات، وجميع العوالم، وشرائعهم وقوانينهم بالنسبة إلى دنياهم وعباداتهم وتكاملهم ورُقيّهم إلى أقصى الكمالات الممكن نيلها، متأبّ ومقدّس عن التقيّد بفهم عصر وقوم. وإنّما يفهمون بمقدار عقولهم ويستضيئون على حسب مقدار أنوارهم لا على حسب أمواج الأنوار المودعة فيه. فعلم القرآن بجميع شؤونه وشعبه الوسيعة، لايعلمه إلّا اللّـه والراسخون في العلم. وهم الهادون والمعلّمون لعلوم القرآن، وهم المسؤولون عن تربية الأُمم والملل في كلّ عصر وزمان، وعلم القرآن بهذا المعنى خاصّ برسول اللّـهﷺ فهو المعلّم المكمّل، والهادي المصلح ومن بعده يرث هذا العلم الخاصّ بمقام الرسالة، أوصياؤه بعنوان الخلافة والإمامة، فمن ادّعى علم القرآن بهذا المعنى مع جميع جوانبه وجوامعه فهو كاذب أو خابط، إذ ما ورث هذا العلم إلّا الخاصّ من ذرّيّة نبيّناﷺ وأمّا غيرهم فما ورثوا منه حرفاً لا قليلاً ولا كثيراً.

**خلاصة الكلام**: إنّ مَن علم علوم القرآن في مرتبة دعوته العامّة فقط، وإن صار واجداً لبعض شرائط الفقاهة، إلّا أنّه لا يصير بذلك جامعاً لشرائط الإفتاء والقضاء، ولا يكون عالماً بتفصيل علوم القرآن وشرائعه وأحكامه، والعلم بكيفيّة ابتداء خلق العوالم من عالم الغيب والشهادة؛ وكذلك لا يكون عالماً وعارفاً بالمعارف الربوبيّة من توحيده تعالى وعلمه وقدرته وحياته وغيرها من معاني أسمائه ونعوته سبحانه، وكذلك العلم بعودة الإنسان ورجوعه إلى الآخرة بعد انقضاء الدنيا وانحلالها؛ فلابدّ في جميع ذلك من الرجوع إلى الرسول الأكرم والتعلّم والأخذ منه ﷺ.

إذا عرفت ما ذكرنا من وجود مقامين متمايزين في باب علوم القرآن ومعارفه نقول: لا يجوز خلط مرتبة الدعوة العامّة بمرتبة علومه الخاصّة التي تختصّ بالرسول ﷺ وأهل بيته عليهم السلام. لأنّ الرسول ﷺ وخلفاءه لا يكونوا مع الناس في مرتبة واحدة، فهو ﷺ المعلّم السائق والمكمّل الهادي وأنّ قوله تعالى: ﴿قُل كَفى بِاللّه شَهيداً بَيني وَبَينَكُم وَمَن عِندَهُ عِلمُ الكِتاب﴾[1] أُريد منه الخاص، إذ لايكون كلّ من كان له نصيب من علم القرآن في مرتبة البلاغ والدعوة العامّة، عالماً وشاهداً بجميع ما أمر الرسول ﷺ ببلاغه. فلا يتمكّن من الشهادة على صدق الرسول ﷺ في جميع ما أتى به إلّا من كان عالماً بعلم الكتاب كلّه، ظاهره وباطنه، وجميع جوانبه ونواحيه. وهذا هو المراد من نظائره من الآيات مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذلِكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وَسَطاً

---

١. الرعد (١٣)، الآية ٤٣.

لِتَكُونُوا شُهَداءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيكُم شَهيداً»[١] وقوله: «فَكَيفَ إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ وَجِئنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهيداً».[٢]

## الجمع بين الروايات

تقدّم أنّ لعلوم القرآن مقامين: مقام مخاطبة عامّة الناس، ومقام يختصّ برسول اللّه ﷺ ومَن بعده من أهل بيته عليهم السلام ورثة علم القرآن. وإنّ الباحثين في العلوم القرآنيّة ـ حيث لم يفرّقوا بين هذين المقامين ـ اضطربت آراؤهم وكلماتهم في ذلك؛ فمنهم من قال بالاستقلال في علوم القرآن مطلقاً ومنهم من قال بعدم حجّيّة ظواهر القرآن. والروايات الواردة في هذا الباب ناظرة إلى المقامين.

فما يرد منها في الحثّ والترغيب إلى التدبّر والتفكّر في آيات القرآن الكريم، ناظر إلى المقام الأوّل أي مرتبة الدعوة العامّة كقوله ﷺ:

فَإذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ، كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظلِمِ، فَعَلَيكُم بِالقُرآنِ.[٣]

وما يمنع منها عن الاستقلال بالقرآن وعدم جواز التمسّك به، إنّما هو ناظر إلى المقام الثاني أي العلوم القرآنيّة التي تختصّ برسول اللّه ﷺ وأولاده المعصومين عليهم السلام. كقول أمير المؤمنين عليه السلام: «إيّاكَ أن تُفَسِّرَ القُرآنَ

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٤٣.

٢. النساء (٤)، الآية ٤١.

٣. *الكافي*، ج٢، ص٥٩٨، ح٢؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١٧، ح١٦ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

برَأيكَ، حَتَّى تَفقَهَهُ عَنِ العُلَمَاء».[1] ولو تأمّل متأمّل حقّ التأمّل لعرف أنّه لا يوجد تنازع وتعارض بينها.

## القرآن كتاب تعليميّ

واضح أنّ سيرته ﷺ في زمان حياته في نشر العلم، لم تكن إلّا مثل قضيّة إفتاء الفقيه للعوام المقلّدة في الحوادث الجاريّة. وليس هذا من باب تعليم علوم القرآن من حيث جميع جوانبه ونواحيه.

لكن حقيقة الأمر أنّ رسول اللّه ﷺ قد قام بهذا الأمر الخطير، وبيّن بياناً شافياً، وعلّم القرآن كلّه من حيث جميع نواحيه وأبعاده، بما يحتاج إليه الكلّ من المعارف والأحكام إلى انقضاء الدنيا، وما ترك شيئاً من ذلك، وأودعه عند رجل معصوم من أهل بيته، مؤيّداً بروح القدس، وعالماً بالعلم الحقيقيّ المصون المعصوم بذاته؛ وهو عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الذي عنده ميراث العلم والنبوّة وورثه أوصياؤه المعصومون من بعده صادق بعد صادق، وإنّهم يكنزونه كما يكنز الناس ذهبهم وفضّتهم، وما ضاع عنهم شيء، ولا يسقط عنهم «ألف» ولا «واو». فمن ادّعى علم القرآن جميعه غيرهم، فإنّما هو مفتر كذّاب.

وقد صرّح الأئمّة من أهل البيت بجميع ما ذكرناه في أبواب من

---

١. *التوحيد*، ج١، ص٢٥٤، ح٥؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١٠٧، ح٢ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

الروايات المتكاثرة فوق التواتر؛ منها الرواية المتواترة عند الفريقين: وهي قوله ﷺ «إنّي تَاركٌ فيكُمُ الثَّقَلَين...» الصريحة بأنّ خلافة القرآن والعترة وحجّيّتها، خلافة اجتماعيّة. ومنها الروايات الواردة في أنّهم يرثون علم القرآن دون غيرهم.

كما ورد عن الصدوق في *علل الشرايع*، عن أبيه ومحمد بن الحسن مسنداً عن أبي زهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام... فقال(لأبي حنيفة):

...أنتَ فَقيهُ أهلِ العِراق؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: فَبِمَا تُفتيهم؟ قَالَ: بِكتَاب اللّه وَسُنَّة نَبيِّه ﷺ. قَالَ: يَا أَبَاحَنيفَةَ تَعرفُ كتَابَ اللّه حَقَّ مَعرفَته وَتَعرفُ النَّاسخَ والمَنسُوخَ؟ قَالَ: نَعَم. قَالَ: يَا أَباحَنيفَةَ لَقَد ادَّعَيتَ علماً، وَيلَكَ مَا جَعَلَ اللّهُ ذَلكَ إلَّا عندَ أهلِ الكتَاب الَّذينَ أُنزلَ عَلَيهم، وَيلَكَ وَلَا هُوَ إلَّا عندَ الخَاصِّ من ذُرِّيَّة نَبيِّنَا ﷺ، وَمَا وَرَّثَكَ اللّهُ من كتَابه حَرفاً... .[1]

والأحاديث في هذا الباب كثيرة فمن أرادها، فليراجع جوامع أحاديث الشيعة.[2]

---

١. *علل الشرايع*، ج١، ص٨٩، ح٥ (الباب٨١)؛ *بحارالأنوار*، ج٢، ص٢٩٣، ح١٢ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٢. راجع: *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص٣٥ (الباب السادس من أبواب صفات القاضي... من كتاب القضاء)؛ *بحارالأنوار*، ج١٠، ص٢٠٥، ح٨ و٩ و ص٢١٦، ح١٧ و ص٢٢٠، ح٢٠، ٢١ و٢٢ (الباب ١٣ من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام من الإحتجاج).

## التعليم والتذكير

ينبغي التفريق بين مقام التعليم ومقام التذكير والإرشاد. لأنّ الإرشاد عبارة عن إيقاظ الفطرة، وإثارة دفائن العقول، وتحريك العواطف الروحانيّة، والأخذ بمجامع القلوب بأنوار التوحيد، والتذكّر بمقام الربّ، والتوجّه إلى وجوب الاتّقاء، والخضوع لساحة قدسه، والعكوف في حضرته، والإخبات والقنوت بين يديه، ومدارج الزهد ومراتب الإخلاص، والتوكّل والرجاء، والصبر والصدق، والوفاء والإيمان واليقين، وبالجملة جميع أصول الأخلاق ولطائف المعارف ورسوم العبوديّة، وإنّما يكون ذلك كلّه في مرتبة الدعوة العامّة ممّا يمكن نيله للبشر، وبيان الرسولﷺ والأئمّةعليهم السلام في هذا الباب لايكون إلّا تذكّراً وإرشاداً.

وأمّا مقام التعليم أعلى وأجل من أن تبلغه عقول الرجال وفي غاية البعد عن سطح أفكارهم. ومن أظهر مصاديق هذا الباب تفاصيل الأحكام المودَعة عند الرسولﷺ والأئمّة من أهل بيتهعليهم السلام. وكذلك غير الأحكام من المعارف العالية مثل بيان الأسماء والصفات الإلهيّة، وحقيقة العرش والكرسيّ واللوح، والكتاب المبين، والأرواح والبرزخ، وتفاصيل عالم الآخرة ومصير العباد ومعادهم فإنّهم يلقونها إلى الناس تدريجاً.

فتحصّل أنّ مقام التعليم والهداية والدلالة لرسول اللّهﷺ وأهل بيتهعليهم السلام غير مقام التذكير والإرشاد. فإنّ الثاني، إنّما يكون في مقام الدعوة العامّة وفي العلوم التي تنالها العقول والأفهام على اختلاف مراتبهم. وأمّا المقام الأوّل فأكثر موارده لايزيد على التعبّد شيئاً، فلا يكون المتعلّم واجداً له لكون

أكثر موارده تحت حُجُب الغيوب مثل الأحكام ومنازل الآخرة.

وممّا ذكرنا من لزوم التمايز بين مقام التعليم والتذكير يظهر ضعف النظريّة التي وردت في *الميزان*، حيث استظهر وقال:

ومن هنا يظهر أنّ شأن النبيّ ﷺ في هذا المقام هو التعليم فحسب. والتعليم إنّما هو هداية المعلّم الخبير ذهن المتعلّم وإرشاده إلى ما يصعب عليه العلم به والحصول عليه، لا ما يمتنع فهمه من غير تعليم... .[1]

أقول: إنّ القرآن كلام اللّـه الذي كلّم به خلقه عن طريق رسوله ﷺ وقد جرى على لسانه، وليس هو والناس في تلقّي علومه في درجة واحدة. ولا يعقل استقلال المخاطبين واستغناؤهم عنه ﷺ في تحصيل علومه ولا يعقل تنزيله منزلة الأفراد العاديين وعزله عن مقام المرجعيّة لعلوم القرآن. ولا يجوز تنزيل شأن القرآن وتحقيره والقول بأنّ علومه ومعارفه ممّا ينالها الكلّ. ولا يعقل أن يقال: إنّ رسول اللّـه ﷺ جمع ما عنده من علوم القرآن للصَحابة وإنّهم فسّروا جميع القرآن للناس؛ بل إنّ القرآن بالنسبة إلى تفاصيل علومه الخاصّة يحتاج إلى انضمام بيان الرسول ﷺ في عصره وبيان أوصيائه عليهم السلام من بعده وأنّ لهما الخلافة الانضماميّة من هذه الجهة. وقد صرّح الرسول ﷺ بذلك في قوله:

إنّي تَارِكٌ فِيكُم مَا إن تَمَسَّكتُم بِهِ لَن تَضِلُّوا، كِتَابَ اللّـهِ

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٨٥.

وعترتي أهلَ بيتي، فإنَّهُمَا لَن يَفترقَا حَتَّى يَردَا عَلَيَّ الحَوضَ.[١]

وواضح أنّ خلافة القرآن والعترة وحجيّتها جميعّة لا استقلاليّة، فعلى سبيل المثال أنّ القرآن قد صرّح بوجوب الحجّ ولم يبيّن أعمال الحجّ تفصيلاً وأنّ تفسير وتبيين هذه الأعمال تكون على عهدة الرسولﷺ. وقد صرّحت نصوص القرآن ومحكماته على وجوب وجود الوليّ المعصوم إلّا أنّه لم يذكر اسمه ومميّزاته الشخصيّة وإنّما عرّفه الرسولﷺ بشخصه واسمه. وقد صرّح أيضاً على وجود الجنّة والنار وبيّن الرسولﷺ التفاصيل المرتبطة بهما، وهكذا فإنّ الشرح والتفسير لجميع العلوم القرآنيّة تقع على عاتق النبيّﷺ أصالةً وعلى أهل بيتهعليهم السلام وراثةً وإنّ سنّة الفقهاءقدس الله اسرارهم هو الالتزام في موارد استنباط الأحكام، بالسنن المعتبرة. وقد صرّحوا بعدم جواز العمل بالعمومات والمطلقات قبل الفحص عن مخصّصاتها ومقيّداتها، وكذلك الكلام في غير باب الأحكام في العلوم والمعارف التي يختصّ العلم بها برسول اللّهﷺ وأولاده المعصومينعليهم السلام.

وكذلك صرّحوا بجواز تخصيص عمومات الكتاب بالخبر الواحد الواجد لشرائط العمل، فعلى هذا لا إشكال في الاستناد على أخبار الآحاد المعتبرة في تفسير الآيات الراجعة إلى الأحكام، والإفتاء على مفادها وبعد الفحص عن القيود والشرائط واليأس عن الظفر بها تكون الآية حجّة، ويجب العمل على طبقها.

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، ج١، ص٢٣٧، ح٥٤ (الباب٢٢)؛ *بحار الأنوار*، ج٢٣، ص١٣٤، ح٧١ (الباب السابع من أبواب جمل أحوال الأئمّةعليهم السلام من كتاب الإمامة).

# ٣

# الإنزال والتنزيل

- الإنزال والتنزيل في القرآن والحديث
- رأي صاحب الكشّاف والمنار
- نظريّة صاحب الميزان
- تحليل ونقد
- الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ

## الإنزال والتنزيل في القرآن والحديث*

﴿شَهرُ رَمَضانَ الَّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الهُدَى وَالفُرقانِ﴾.[1]

القرآن هو الكتاب المُنزَل على رسول اللّـهﷺ، ومن أظهر نعوته وشؤونه أنّه كلام اللّـه، أوجده كلاماً وأظهر في كلامه جلاله وجماله، وبرّه وقهره وعلومه، وأعجز ببراهينه جميع المخالفين والبراهين، وهذا هو الذي أوجب الحيرة والعجب، أي كيف أظهر الله هذه المعارف والعلوم بهذه الحروف في نظامٍ بديع وإتقان وإحكام عجيب أبهر العقول ببرهانه.

فهذا الكتاب الذي هو كلام اللّـه يسمّى قرآناً؛ والقرآن مصدر من قَرَأَ يَقرَأُ ـ على فُعلان ـ بمعنى القراءة والتلاوة.[2] فسمّي الكتاب الكريم المنزل على رسول اللّـهﷺ قرآناً باعتبار أنّه مقرُوّ ومتلُوّ وهو من جنس ما يُقرَأ وما

---

* هذا البحث مقتطف من المجلّد الثاني من *تفسير مناهج البيان*.

١. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٢. راجع: *تاج العروس*، ج١، ص٢١٨ «مادّة: قرأ».

يُتلىٰ، وهذا من باب إطلاق الكتاب على المكتوب. قال تعالى:

﴿إنَّ عَلَينا جَمعَهُ وقُرآنَهُ * فَإذا قَرَأناهُ فَاتَّبِع قُرآنَه﴾[١]

ويسمّى فرقاناً أيضاً باعتبار فرقه وأبعاضه. قال تعالى:

﴿تَبَارَكَ الَّذي نَزَّلَ الفُرقانَ عَلى عَبده لِيَكُونَ للعالَمينَ نَذيراً﴾؛[٢]

﴿وبَالحَقِّ أنزَلناهُ وبَالحَقِّ نَزَلَ وَمَا أرسَلناكَ إلَّا مُبَشِّراً ونَذيراً * وقُرآناً فَرَقناهُ لِتَقرَأهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكثٍ ونَزَّلناهُ تَنزيلاً﴾.[٣]

في *معاني الأخبار*، عن أبيه مسنداً عن ابن سنان وغيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن والفرقان، أهما شيئان أو شيء واحد؟ قال:

القُرآنُ جُملَةُ الكِتَابِ وَالفُرقَانُ المُحكَمُ الوَاجِبُ العَمَلُ بِه.[٤]

وفي *تفسير القمّي*، عن أبيه، عن النضر بن سويد، عن عبداللّه بن سنان، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه تبارك وتعالى ﴿...هُدىً لِلنَّاسِ وَأنزَلَ الفُرقانَ﴾؟[٥]

قَالَ: الفُرقَانُ هُوَ كُلُّ أمرٍ مُحكَمٍ، وَالكِتَابُ هُوَ جُملَةُ القُرآنِ الَّذي يُصَدِّقُهُ مَن كَانَ قَبلَهُ مِنَ الأنبِيَاء.[٦]

---

١. القيامة (٧٥)، الآيتان ١٧ ـ ١٨.
٢. الفرقان (٢٥)، الآية ١.
٣. الأسراء (١٧)، الآيتان ١٠٥ ـ ١٠٦.
٤. *معاني الأخبار*، ص١٨٩، ح١؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٢٨، ح٣٢ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).
٥. آل عمران (٣)، الآية ٤.
٦. *تفسير القمّي*، ج١، ص٩٦؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١٦، ح١٣.

وفي *العلل*، عن الحسين بن يحيى مسنداً عن يزيد بن سلام، أنّه سأل رسول اللّه ﷺ فقال له: لم سميّ الفرقان فرقاناً؟ قال:

لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الآيَاتِ والسُّوَرِ أُنزِلَت فِي غَيرِ الأَلوَاحِ، وغَيرُهُ مِنَ الصُّحُفِ والتَّورَاةُ والإنجِيلُ والزَّبُورُ نَزَلَت كُلُّهَا جُملَةً فِي الأَلوَاحِ والوَرَقِ.[1]

و في *الصحيفة المباركة السجاديّة* في دعائه عليه السلام عند ختم القرآن قال:

وَفُرقَاناً، فَرَقتَ بِهِ بَينَ حَلَالِكَ وحَرَامِكَ.[2]

ويسمّى كتاباً أيضاً، والكتاب بمعنى المكتوب؛ وهو بمعنى الجمع كما أنّ القرآن أيضاً قد يجيء بمعنى الجمع.

قال في *لسان العرب*:

والكَتب:الجمع.تقول منه: كَتَبتُ البَغلة إذا جمعت بين شُفرَيها بحَلقَةٍ أو سَيرٍ...ومنه قيل: كَتَبتُ الكتاب لأنّه يَجمَعُ حَرفاً إلى حَرفٍ.[3]

فعلى هذا لابدّ أن يكون الفرقان والقرآن والكتاب كلاماً مفرّقاً ومتلوّاً.

ثمّ هاهنا سؤال: لو كان نزول القرآن في ثلاث وعشرين سنة فما معنى نزوله في شهر رمضان أو ليلة القدر؟

---

١. *علل الشرائع*، ج٢، ص٤٧٠، ح٣٣ (الباب٢٢٢)؛ *بحارالأنوار*، ج٩، ص٣٠٤، ح٨ (الباب الثانى من أبواب احتجاجات الرسول ﷺ من كتاب الإحتجاج).

٢. *الصحيفة السجاديّة*، الدعاء ٤٢، ص١٧٦.

٣. *لسان العرب*، ج١، ص٧٠١.

## رأي صاحب الكشّاف والمنار

أجاب الزمخشريّ في *الكشّاف*:

ومعنى ﴿أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ﴾[1] ابتدئ فيه إنزاله؛ وكان ذلك في ليلة القدر.[2]

وقال صاحب *المنار*:

وأمّا معنى إنزال القرآن في رمضان مع أنّ المعروف باليقين أنّ القرآن نزل منجّماً متفرّقاً في مدّة البعثة كلّها، فهو أنّ ابتداء نزوله كان في رمضان وذلك في ليلة منه سمّيت ليلة القدر... على أنّ لفظ القرآن يطلق على هذا الكتاب كلّه ويطلق على بعضه.[3]

أقول: أمّا كون المراد من نزوله في شهر رمضان، ابتداء نزوله فيه، ففيه: أنّه لا قرينة في الكلام عليه، على أنّه مخالف لما هو المشهور عند الإماميّة من أنّ أوّل البعثة ونزول الوحي عليه ﷺ كان في اليوم السابع والعشرين من رجب. وأمّا أهل السنّة فلم يتّفقوا على أمر وتضاربت آرائهم في المقام والمشهور بينهم ـ كما ذكره السيوطيّ في *الإتقان*[4] ـ أنّ النبيّ ﷺ بُعث في شهر ربيع الأوّل.

وأمّا كون المراد منه، نزول بعضه لا مجموعه؛ ففيه: أنّ هذا المعنى لا اختصاص له بشهر رمضان، فإنّ النزول بالمعنى الذي ذكروه لا يخلو منه جميع الشهور، فأيّ تشريف وتكريم فيه لشهر رمضان؟

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.
٢. *الكشّاف*، ج١، ص٢٢٧.
٣. *المنار*، ج٢، ص١٦١.
٤. *الإتقان في علوم القرآن*، ج١، ص٥٥.

## نظريّة صاحب الميزان

قال في *الميزان*:

والذي يعطيه التدبّر في آيات الكتاب أمر آخر، فإنّ الآيات الناطقة بنزول القرآن في شهر رمضان أو في ليلة منه، إنّما عبّرت عن ذلك بلفظ «الإنزال» الدالّ على الدفعة دون «التنزيل»... واعتبار الدفعة؛ إمّا بلحاظ اعتبار المجموع في الكتاب أو البعض النازل منه...، وإمّا لكون الكتاب ذاحقيقة أُخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادي الذي يقضي فيه بالتفريق والتفصيل والانبساط والتدريج، هو المصحّح لكونه واحداً غير تدريجيّ ونازلاً بالإنزال دون التنزيل. وهذا الاحتمال الثاني هو اللائح من الآيات الكريمة كقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[1] فإنّ هذا الإحكام مقابل التفصيل، والتفصيل هو جعله فصلاً فصلاً، وقطعة قطعة. فالإحكام كونه بحيث لايتفصّل فيه جزء من جزء ولا يتميّز بعض من بعض لرجوعه إلى معنى واحد لا أجزاء ولا فصول فيه. والآية ناطقة بأنّ هذا التفصيل المشاهد في القرآن إنّما طرأ عليه بعد كونه محكماً غير مفصّل.

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿وَمَا كانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيبَ فِيهِ مِن رَبِّ العَالَمِينَ﴾ ـ إلى أن قال: ـ ﴿بَل كَذَّبُوا بِمَا لَم يُحِيطُوا بِعِلمِهِ وَلَمَّا يَأتِهِم

---

١. هود (١١)، الآية ١.

تَأويلُهُ﴾[1] فإنّ الآيات الشريفة وخاصّة ما في سورة يونس ظاهرة الدلالة على أنّ التفصيل أمر طارٍ على الكتاب فنفس الكتاب شيء والتفصيل الذي يعرضه شيء آخر... .

وأوضح منه قوله تعالى: ﴿حم * والكتابِ المُبينِ * إنَّا جَعَلناهُ قُرآناً عَرَبيًّا لَعَلَّكُم تَعقِلُونَ * وَإنَّهُ فِي أُمِّ الكِتَابِ لَدَينَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾،[2] فإنّه ظاهر في أنّ هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقرّواً عربيّاً، وإنّما أُلبس لباس القراءة والعربيّة ليعقله الناس وإلّا فإنّه ـ وهو في أُمّ الكتاب ـ عند اللّـه عَلِيٌّ لا يصعد إليه العقول، حكيم لايوجد فيه فصل وفصل.

وفي الآية تعريف للكتاب المبين، وأنّه أصل القرآن العربيّ المبين. وفي هذا المساق أيضاً قوله تعالى: ﴿...إنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكنُونٍ * لَايَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾[3] فإنّه ظاهر في أنّ للقرآن موقعاً هو في الكتاب المكنون لايمسّه هناك أحد إلّا المطهّرون من عباد اللّـه وأنّ التنزيل بعده، وأمّا قبل التنزيل فله موقع في كتاب مكنون عن الأغيار؛ وهو الذي عبّر عنه في آيات الزخرف بأُمّ الكتاب وفي سورة البروج باللوح المحفوظ... .

ثمّ إنّ هذا المعنى أعني كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين ـ ونحن نسمّيه بحقيقة الكتاب ـ بمنزلة اللباس من

---

١. يونس (١٠)، الآيات ٣٧ و٣٩.

٢. الزخرف (٤٣)، الآيات ١ ـ ٤.

٣. الواقعة (٥٦)، الآيات ٧٧ ـ ٨٠.

المتلبّس، وبمنزلة المثال من الحقيقة، وبمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام؛ وهو المصحّح لأن يطلق القرآن أحياناً على أصل الكتاب... وهذا الذي ذكرناه هو الموجب لأن يحمل قوله: ﴿شَهرُ رَمَضانَ الَّذي أُنزِلَ فيهِ القُرآن﴾،[1] وقوله: ﴿إنَّا أنزَلناهُ فى لَيلَةٍ مُبارَكَةٍ﴾،[2] وقوله: ﴿إنَّا أنزَلناهُ فى لَيلَةِ القَدرِ﴾،[3] على إنزال حقيقة الكتاب، والكتاب المبين إلى قلب رسول اللّهﷺ دفعة كما أنزل القرآن المفصّل على قلبه تدريجاً في مدة الدعوة النبويّة...فهذا ما يهدي إليه التدبّر ويدلّ عليه الآيات. نعم، أرباب الحديث، والغالب من المتكلّمين والحسّيّون من باحثي هذا العصر لمّا انكروا أصالة ما وراء المادّة المحسوسة، اضطرّوا إلى حمل هذه الآيات... على أقسام الاستعارة والمجاز، فعاد بذلك القرآن شعراً منثوراً.[4]

## تحليل ونقد

حاصل كلامه أنّ القرآن في مرتبة تجرّده عن كِسوَةِ الموادّ والألفاظ، لا تفرّق ولا تبعّض ولا تفصيل فيه؛ وهو الذي ورد على قلب الرسولﷺ دفعة فعلم به حقيقة القرآن ثمّ بعد تنزّله على عالم الألفاظ برز بصورة الألفاظ

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.
٢. الدخان (٤٤)، الآية ٣.
٣. القدر (٩٧)، الآية ١.
٤. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٢، ص ١٦ ـ ١٩.

والحروف؛ فالنزول الدفعيّ في شهر رمضان، في ليلة القدر هو نزول حقيقة الكتاب، والكتاب المبين على قلب رسول اللّه ﷺ. والنزول التدريجيّ هو نزوله نجوماً وتدريجاً من بدء بعثته ﷺ إلى حين دعوته.

هذا الذي ذكره تفسير بالرأي لا شاهد عليه ويظهر وهنه بما يلي :

**أوّلاً:** إنّ القرآن قبل تلبّسه بكسوة الألفاظ لا يسمّى قرآناً ولا فرقاناً ولا كتاباً ولا كلاماً، لأنّ القرآن كما ذكرنا يطلق على مجموع المقروّ والمتلوّ.

**ثانياً:** ما ذكره من أنّ لفظ «الإنزال» يدلّ على النزول الدفعيّ ولفظ التنزيل على النزول التدريجيّ لا شاهد عليه لأنّه:

١ـ لا دليل على ذلك في اللغة، لا من حيث المادّة ولا من الهيئة.

قال في *لسان العرب*:

و«تَنَزَّلَهُ» و«أنزَلَهُ» و«نَزَّلَهُ» بمعنى واحد، قال سيبويه:وكان أبوعمرو يفرّق بين «نَزَّلتُ» وَ«أنزَلتُ» ولم يذكر وجه الفرق. قال أبوالحسن: لا فرق عندي بين «نَزَّلتُ» و«أنزَلتُ» إلّا صيغة التكثير في نزّلت في قراءة ابن مسعود. وأنزل الملائكة تنزيلاً، أنزل كنزّل.[١]

ورد في *تاج العروس*:

و«نَزَّلَهُ تَنزِيلاً» و«أنزَلَهُ إنزَالاً» ومُنَزَلاً كَمَجمَل و«إستَنزَلَهُ»، بمعنى واحدٍ.[٢]

---

١. *لسان العرب*، ج١١، ص٦٥٦ .

٢. *تاج العروس*، ج١٥، ص٧٢٨.

قال صاحب *المصباح المنير*:

و«أنزَلتُهُ» و«نَزَّلتُهُ» و«استَنزَلتُهُ» بمعنى «أنزَلتُهُ».[١]

وفي *الصحيفة المباركة السجاديّة* في دعائه عليه السلام عند ختم القرآن قال:

وَوَحياً أنزلتَهُ عَلَى نَبيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَواتُكَ عَلَيهِ وَآلِهِ تَنزيلاً... .[٢]

٢ـ إنّ استعمال الإنزال في موارد التدريج غير عزيز في القرآن الكريم.قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَل نَتَّبِعُ مَا أَلفَينَا عَلَيهِ آبَاءَنَا﴾؛[٣]

﴿لَو أَنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِن خَشيَةِ اللَّهِ﴾؛[٤]

﴿وَلَقَد أَنزَلنَا إِلَيكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾؛[٥]

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيكُمُ الكِتَابَ مُفَصَّلاً﴾.[٦]

لقد عبّر القرآن في الآية الأخيرة عن النزول التفصيليّ بالإنزال مع أنّ صاحب *الميزان* يؤكّد في كلامه على التعبير عن النزول التفصيليّ بالتنزيل لا الإنزال.

---

١. *المصباح المنير*، ج٢، ص٦٠١.
٢. *الصحيفه السجاديّة*، الدعاء ٤٢، ص١٧٦.
٣. البقرة (٢)، الآية ١٧٠.
٤. الحشر (٥٩)، الآية ٢١.
٥. البقرة (٢)، الآية ٩٩.
٦. الأنعام (٦)، الآية ١١٤.

فمواضع استعمال الإنزال في مرتبة التدريج كثيرة واكتفينا بما ذكرنا من الآيات، فيجب على الباحث الخبير، التأمّل والفحص والتدبّر فيها.

وأمّا استعمال لفظ التنزيل في النزول الدفعيّ فيمكن استفادة ذلك من الإطلاق في كثير من الموارد. قال الله تعالى:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1]

﴿الم * تَنزِيلُ الكِتَابِ لا رَيبَ فيهِ مِن رَبِّ العالَمِينَ﴾[2]

﴿تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ﴾.[3]

ثالثاً: إنّ استشهاده بقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَت مِن لَدُن حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾،[4] بأنّ مرتبة الإحكام هي مرتبة الحقيقة، لا فصل ولا جزء للقرآن في هذه المرتبة، وأنّ مرتبة التفصيل مرتبة دون هذه المرتبة عارضة عليه؛ ففيه: أنّه لا دلالة في لفظ الإحكام والتفصيل على هذا المعنى، وبأيّ عناية يستظهر منه أنّ مرتبة الإحكام مرتبة من مراتب القرآن بالمعنى الذي ذكره؟ فالإحكام والتفصيل من نعوت الدلالة في الكلام والألفاظ، لا من نعوت الوجود العينيّ بما هو موجود عينيّ. وبعبارة أُخرى، معنى الإحكام في الألفاظ والكلام هو كونه لا تشابه فيه ولا تناقض ولا خلل ولا نقص، والتفصيل هو كون الكلام لا إجمال فيه ولا إبهام فيكون مبيّناً ومشروحاً.

---

١. الأعراف (٧)، الآية ١٩٦.

٢. السجدة (٣٢)، الآيتان ١ ـ ٢.

٣. الزمر (٣٩)، الآية ١.

٤. هود (١١)، الآية ١.

قال في *الجوامع*:

«أُحكِمَت آيَاتُهُ» نظّمت نظماً محكماً لا نقض فيه ولا خلل، كالبناء المحكم... «ثُمَّ فُصِّلَت»، كما تفصّل القلائد بدلائل التوحيد والمواعظ والأحكام... . معنى «ثمّ» التراخي في الحال، لا في الوقت كما تقول: هي محكمة أحسن الإحكام ثمّ مفصّلة أحسن التفصيل... «من لَدُن حَكِيمٍ» أحكمها و«خَبِيرٍ»، عالم فصّلها، أي بيّنها وشرحها.[1]

ويستفاد ذلك أيضاً من قوله تعالى: «وَ لَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى عِلمٍ هُدىً وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ»[2] وكذا من توصيف القرآن نفسه، بأنّه حكيم أي ذا حكمة وعلم في قوله تعالىٰ: «يس * وَالقُرآنِ الحَكِيمِ».[3]

فالمحكم ما يقابل المتشابه لا المفصّل؛ ولا إشكال في أن يكون القرآن في مرحلة محكماً (من دون خلل ونقص وتشابه وتناقض) وفي مرحلة مفصّلاً.

رابعاً: إنّ استشهاده بقوله تعالى: «وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن تَصدِيقَ الَّذِي بَينَ يَدَيهِ وَتَفصِيلَ الكِتَابِ لَا رَيبَ فِيهِ مِن رَبِّ العَالَمِينَ»[4] بأنّ الآية ظاهرة في أنّ تفصيل الكتاب أمر طارئ عليه؛ ففيه:

إنّ الله سبحانه وتعالى قد وصف القرآن في صدر الآية بهذه التوصيفات:

---

١. *جوامع الجامع*، ج٢، ص١٣٤.
٢. الأعراف (٧)، الآية ٥٢.
٣. يس (٣٦)، الآيتان ١ ـ ٢.
٤. يونس (١٠)، الآية ٣٧.

١. أنّه تصديق الذي بين يديه.

٢. أنّه تفصيل الكتاب.

٣. أنّه لا ريب فيه.

٤. أنّه من ربّ العالمين.

وحينئذ كيف يجوز التفكيك بين هذه النعوت؟ وكيف يقال: إنّ وصف ﴿مُصَدِّقاً﴾ وصف القرآن وأمّا ﴿تَفصِيلُ الكِتَاب﴾ فأنّه أمر عارض عليه. حيث إنّه على هذا يجب أن يقال: إنّ كونه مصدّقاً، وكونه تفصيلَ الكتاب، وكونه لا ريب فيه، وكونه من ربّ العالمين، كلّها أمور طارئة على الكتاب.

خامساً: إنّ استشهاده بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَايَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ﴾[1] ففيه: أنّ ﴿فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ﴾ صفة للقرآن، والكتاب بمعنى المكتوب، والمكنون بمعنى المستور. وفيه تصريح بأنّ المراد من الكتاب المكنون في المقام ليس هو القرآن كما أنّ في غيرهذا المورد قد أُطلق الكتاب على غير القرآن كثيراً. ويحتمل أن يكون خبراً ثانياً لـ«إنّ». والشاهد القطعيّ على أنّه نعت للقرآن، قوله تعالى: ﴿تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ﴾ فإنّ التنزيل صفة للقرآن بلاريب، ولا معنى لكون التنزيل صفة ونعتاً للكتاب المكنون.

فالقرآن الكريم غير الكتاب المكنون وليس بمرتبة من مراتب الكتاب المبين كما زعمه.

---

١. الواقعة (٥٦)، الآيات ٧٧ ـ ٨٠.

ويحتمل أن يكون المراد من الكتاب المكنون في المقام صحيفة نوريّة، أي العلم المفاض على عدّة من أولياء اللّـه الكرام من الملائكة المقرّبين والأنبياء والرسل والصدّيقين عليهم السلام. وإنّ المراد من أنّ القرآن في مرتبة التلاوة والقرائة في هذا الكتاب المكنون كونه معلوماً بهذا العلم عند حملته، لا أنّ القرآن المقروء والمتلوّ له نوع من الثبوت التجرديّ في اللوح، فهؤلاء الحَمَلة الكرام يعلمون القرآن ويحصونه بحقيقة العلم والإحصاء ويشهدون أنّه حقّ لا ريب فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيء أحصَينَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ﴾.[1]

إنّ قوله: ﴿لَايَمَسُّهُ إلَّا المُطَهَّرُونَ﴾[2] هو الوصف الثالث للقرآن الكريم. والمراد من المسّ هو المسّ الظاهريّ بين الأجسام. ولفظة «لَمَسَ» و«مَسَّ» لم تستعمل في معنى الإدراك ـ وبالأخصّ إدارک الحقائق النوريّة والغيبيّة ـ في اللغة فضلاً عن القاموس القرآنيّ.[3] فالمراد من المسّ في التعابير القرآنية، هو المسّ للأجسام لا غيركما قال تعالى:

﴿وَإن طَلَّقتُمُوهُنَّ من قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ﴾؛[4]

﴿قَالَت أنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ولَم يَمسَسنِي بَشَرٌ﴾.[5]

---

١. يس (٣٦)، الآية ١٢. لمزيد من الاطّلاع على معنى الكتاب المكنون والمبين والإمام المبين تفصيلاً، راجع كتاب *توحيد الإماميّة*، الفصل العاشر، ص٢٨٧.

٢. الواقعة (٥٦)، الآية ٧٩.

٣. راجع: *لسان العرب*، ج٦، ص٢١٧؛ *الصحاح*، ج٤، ص٩٧٨؛ *معجم مقاييس اللغة*، ج٥، ص٢٧١.

٤. البقرة (٢)، الآية ٢٣٧.

٥. مريم (١٩)، الآية ٢٠.

وغاية ما يمكن أن يقال، أنّ «المسّ» استعمل في خصوص التلاقي بالنار وفي العذاب والبأساء والضرّاء؛ كما ورد في قوله تعالى:

﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَر﴾؛[1]

﴿وَإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاء عَرِيض﴾؛[2]

﴿وَلَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ لَأستَكثَرتُ مِنَ الخَيرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوء﴾.[3]

من هنا فإنّ قوله: ﴿لَا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾ جملة منفيّة خبريّة أُريد منها الإنشاء، لأنّ هذا الأُسلوب أوضح في بيان المنع والتحريم. وعليه فإنّ المسّ الظاهريّ للقرآن الكريم حرامٌ على من لم يكن مطهَّراً؛ قال الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

المُصحَفُ، لَا تَمَسَّهُ عَلَى غَيرِ طُهرٍ وَلَا جُنُباً وَلَا تَمَسَّ خَطَّهُ وَلَا تُعَلِّقهُ إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿لا يَمَسُّهُ إِلَّا المُطَهَّرُونَ﴾.[4][5]

وقال في *مجمع البيان*:

قيل: المطهّرون من الأحداث والجنابات، وقالوا: لا يجوز للجنب والحائض والمحدث مسّ المصحف عن محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام...

---

١. القمر (٥٤)، الآية ٤٨.

٢. فصّلت (٤١)، الآية ٥١.

٣. الأعراف (٧)، الآية ١٨٨.

٤. الواقعة (٥٦)، الآية ٧٩.

٥. *الاستبصار*، ج١، ص١١٤، ح٣ [٣٧٨]؛ *تفسير كنز الدقائق*، ج١٣، ص٥٣.

وعندنا أنّ الضمير يعود إلى القرآن؛ فلا يجوز لغير الطاهر مسّ كتابة القرآن.[١]

## الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ

ويمكن أن يقال في الجمع بين النزول الدفعيّ والتدريجيّ: إنّ القرآن نزل بمجموعه إلى البيت المعمور ثمّ نزل على رسول اللّه ﷺ تدريجاً في طول ثلاث وعشرين سنة.

ورد في *الكافي*، عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن حفص بن غياث، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سألته عن قول اللّه عزو جل: ﴿**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ**﴾؛[٢] وإنّما أُنزِل في عشرين سنة بين أوّله وآخره؟ فقال أبوعبد اللّه عليه السلام:

نَزَلَ القُرآنُ جُملَةً واحدَةً فِي شَهرِ رَمَضَانَ إلَى البَيتِ المَعمُورِ. ثُمَّ نَزَلَ فِي طُولِ عشرينَ سَنَةً. ثُمَّ قَالَ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: نَزلَت صُحُفُ إبراهيمَ فِي أوّلِ لَيلَةٍ من شَهرِ رَمَضَانَ وأُنزلَت التَّوراةُ لستٍّ مَضَينَ من شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الإنجيلُ لِثَلَاثَ عَشرَةَ لَيلَةً خَلَت من شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ الزَّبُورُ لثَمَانيَةَ عَشَرَ خَلَونَ من شَهرِ رَمَضَانَ وَأُنزِلَ القُرآنُ فِي ثَلَاثٍ وَعشرينَ من شَهرِ رَمَضَانَ.[٣]

---

١. *مجمع البيان*، ج٩، ص٣٤١.

٢. البقرة (٢)، الآية ١٨٥.

٣. *الكافي*، ج٢، ص٦٢٨، ح٦؛ *البرهان في تفسير القرآن*، ج١، ص٣٩٠.

الظاهر من نزوله إلى: «البيت المعمور»، نزوله على مَن كان مِن أُمناء الوحي وخزّان العلوم وحفظته.

كما ورد في *الصحيفة المباركة السجاديّة* في دعائه عليه السلام لحملة العرش وملائكة اللّـه المقرّبين أنّه قال:

وَالطَّائِفينَ بِالبَيتِ المَعمُور.[1]

فحديث حفص بن غياث وإن كان خبراً واحداً لايمكن الأخذ به على نحو الجزم إلّا أنّ ردَّه مشكل أيضاً لعدم استحالة مفاده عقلاً وأنّه كاف في دفع التنازع القطعيّ بين نزول القرآن منجّماً وتدريجاً وبين نزوله بمجموعه في شهر رمضان في ليلة القدر، فيكون التعارض احتماليّاً لا قطعيّاً.

---

١. *الصحيفة السجاديّة*، الدعاء الثالث، ص ٤٠.

٤

# المحكم والمتشابه

- المحكم والمتشابه في القرآن والحديث
- دراسة بعض الآراء في المحكم والمتشابه
- نظريّة صاحب الميزان ونقدها

## المحكم والمتشابه في القرآن والحديث

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيكَ الكتابَ منهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتَابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ فى قُلُوبهم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ ابتغَاءَ الفتنَة وَابتغَاءَ تَأويله وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إلَّا اللَّهُ والرَّاسخُونَ فِي العلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ من عند رَبِّنا وَمَا يَذَّكَّرُ إلَّا أُولُوا الألبَاب﴾[1]

إنّ الإحكام والتشابه من نعوت الألفاظ والدلالات، لا من نعوت المعاني والمرادات. والمحكم حيث إنّه لا خلل في دلالته على المراد، يجب اتّباعه والتديّن بمفاده، ويجب تحكيمه على جميع الشؤون الدينيّة وردّ جميع الأقاويل والأنظار المبتدعة وإرجاعها إليه. ويجب تحكيمه على جميع المتشابهات الواردة في الكتاب والسنّة على تفصيل يأتي ـ إن شاء اللّـه ـ .

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٧.

ومن البديهيّ أنّ تقسيم آيات الكتاب إلى المحكم والمتشابه، إنّما هو بلحاظ وجوب الأخذ والاتّباع وتحريمهما، فلا محالة يتوجّه التقسيم إلى الألفاظ الهادية إلى المرادات والمعاني، ومع قطع النظر عنه لا يعقل وجوب الاتّباع وتحريمه.

والتشابه هو أن يكون للفظ وجوه متعدّدة أو وجهان لم يعلم ولم يتعيّن واحد منها في مقام الإفهام والتفهيم، وتعيين واحد منها يحتاج إلى الدليل. والتشابه والترديد بين الوجوه إنّما هو راجع إلى المعاني التركيبيّة لا الإفراديّة، فإنّ المفردات في مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ ناضِرَةٌ * إلى ربِّها ناظِرَةٌ﴾[1] ظاهرة في معانيها الإفراديّة إلّا أنّ القرينة قائمة على عدم إرادة تلك الظواهر. فمعنى النظر والربّ مثلاً لا إبهام في دلالتهما على معانيهما لغة، ولولا قيام القرينة العقليّة على استحالة النسبة وكذلك مخالفة محكمات الكتاب والسنّة على استحالتها، لما كان في دلالة الجملة على مفادها، ترديد وإشكال. فالمتشابه ما يقابل المحكم من حيث عدم حكاية الألفاظ عن معانيها ومراداتها ولابدّ في تعيين ما أُريد من اللفظ من دليل خاصّ.

وما ينبغي الالتفات إليه في بحث المحكم والمتشابه هو أنّه ليس المراد من إرجاع المتشابه إلى المحكم ـ كما أكّدت به الروايات كثيراً ـ تفسير المتشابه وتعيين المراد ورفع التشابه الموجود فيه، بل إنّ الآيات المحكمة ترفع الظهور الإبتدائيّ من الآيات المتشابهة فقط ولا تبيّن معناها والمراد منها.

---

١. القيامة (٧٥)، الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

ولا يخفى أنّ الهدف الأصليّ من تقسيم الآيات إلى المحكم والمتشابه، هو التمهيد لتقسيم الناس في مقام العمل بالقرآن إلى الزائغين والراسخين، فالآخذين والتابعين للمتشابه، يريدون إضلال الناس وإغوائهم وأمّا الآخذين بالمحكم والراسخين فيه، فإنّ سنّتهم السكوت عن المتشابه وإرجاع علمه إلى الله والإيمان به على ما هو عليه في الواقع.

ومن خلال دراسة الروايات الواردة في هذا البحث بنحو دقيق نصل إلى هاتين النتيجتين:

١. وجوب الإيمان والعمل بالآيات المحكمة ووجوب الإيمان بالآيات المتشابهة وحرمة العمل بها.

٢. إنّ الوصول إلى معنى الآيات المتشابهة، لا يمكن إلّا عبر مجاري الوحي وأنّ العلم بها منحصر بالراسخين بالعلم ـ أي النبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام ـ ويجب على الجميع الرجوع إلى بياناتهم الواردة في تفسير هذه الآيات وتوضيحها.

ورد في *الكافي*، مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال:

قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيلَةِ القَدرِ: ﴿فِيهَا يُفرَقُ كُلُّ أمرٍ حَكِيمٍ﴾[١] يَقُولُ: يَنزِلُ فِيهَا كُلُّ أمرٍ حَكِيمٍ والمُحكَمُ لَيسَ بِشَيئَينِ إنَّمَا هُوَ شَيءٌ وَاحِد... .[٢]

---

١. الدخان (٤٤)، الآية ٤.

٢. *الكافي*، ج١، ص٢٤٨، ح٣؛ *بحار الأنوار*، ج٢٥، ص٧٩، ح٦٦ (الباب الثالث من أبواب خلقهم وطينتهم وأرواحهم عليهم السلام من كتاب الإمامة).

إنّ مراده عليه السلام من تفسير الحكيم بالمحكم، هو أنّ علومهم التي أُفيضت عليهم من اللّـه تعالى مصونة بالذات عن الخطأ والزلل، ولا تقبل الاختلاف والتناقض. وكلّ علم لا يكون فيه اختلاف ولا تناقض فهو آية الإمامة وبرهان الخلافة. ومن الممكن جدّاً أن يكون مراده عليه السلام من المحكم، الآية المحكمة؛ فإنّ مفاد الآية المحكمة عند اللّـه الذي أنزلها بعلمه وعند الرسول صلى الله عليه وآله وعند أوصيائه الحفظة عليهم السلام واحد.

وفي *معاني الأخبار*، عن أبيه مسنداً عن ابن سنان وغيره، عمّن ذكره قال: سألت أبا عبد اللّـه عليه السلام عن القرآن والفرقان: أ هما شيئان أو شيء واحد؟ قال: فقال:

القُرآنُ جُملَةُ الكِتَاب، وَالفُرقَانُ المُحكَمُ الوَاجِبُ العَمَلُ بِه.[1]

وفي *تفسير العيّاشيّ*، عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّـه عليه السلام يقول:

إنَّ القُرآنَ مُحكَمٌ ومُتَشَابِهٌ، فَأمَّا المُحكَمُ فَنُؤمِنُ بِه ونَعمَلُ بِه ونَدينُ بِه وأمَّا المُتَشَابِهُ فَنُؤمِنُ بِه وَلَا نَعمَلُ بِه وَهُوَ قَولُ اللّه: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ...﴾[2].[3]

هذه الرواية الشريفة تدلّ على حرمة العمل بالمتشابه ووجوب الإيمان به

---

١. *معاني الأخبار*، ص١٩٠؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٢٨، ح٣٢ (الباب الأوّل من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢. آل عمران (٣)، الآية ٧.

٣. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٦٢، ح٤؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٣٨٢، ح١٦ (الباب ١٢٧ من أبواب فضائل سور القرآن من كتاب القرآن).

كما هو. وهي صريحة في إبطال القول برفع التشابه عن المتشابه بقرينة المحكمات؛ إذ المقام، مقام بيان؛ فالسكوت عن بيان رفع التشابه والتصريح بحرمة العمل بالمتشابه، كاف في عدم قرينيّة المحكمات للمتشابهات، بل يجب الإيمان بالمتشابه على ما هو عليه والعمل بالمحكمات، حتّى يأتي دليل خارجي في تفسيره.

وفي *الكافي*، عن عليّ بن محمّد مسنداً عن محمّد بن سالم، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إنَّ [أُ] ناساً تَكَلَّمُوا فِي هَذَا القُرآن بِغَيرِ علمٍ وذَلكَ أنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُول: ﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ منهُ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ...﴾[1] فَالمَنسُوخَاتُ مِنَ المُتَشَابِهَاتِ والمُحكَمَاتُ مِنَ النَّاسِخَات... .[2]

الظاهر أنّ كون المنسوخات من المتشابهات، إنّما هو بلحاظ حرمة العمل بها.

وفي *تفسير القمّي*، عن محمّد بن أحمد بن ثابت مسنداً عن أبي بصير، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: سمعته يقول:

إنَّ القُرآنَ زَاجِرٌوآمِرٌ، يَأمُرُ بالجَنَّة وَيَزجُرُ عَنِ النَّار، وَفيه مُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ، فَأمَّا المُحكَمُ فَيُؤمَنُ بِه وَيُعمَلُ بِه وَيُدَبَّرُ بِه، وَأمَّا المُتَشَابِهُ فَيُؤمَنُ بِهِ وَلَا يُعمَلُ بِهِ وَهُوَ قَولُ اللَّه: ﴿فَأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢. *الكافي*، ج٢، ص٢٨، ح١؛ *بحار الأنوار*، ج٦٦، ص٨٥، ح٣٠ (الباب ٣٠ من أبواب الإيمان و الإسلام والتشيّع... من كتاب الإيمان والكفر).

فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ...»[١] وَآلُ مُحَمَّدٍ عليهم السلام الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ.[٢]

قال الإمام الصادق عليه السلام لمّا سُئل عن تفسير المحكم:

...أمَّا المُحكَمُ الَّذي لَم يَنسَخهُ شَيءٌ فَقَولُهُ عَزَّ وجَلَ: «هُوَ الَّذي أنزَلَ عَلَيكَ الكتابَ منهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ وأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ»[٣] الآيَة. وإنَّما هَلَكَ النَّاسُ فِي المُتَشابه، لِأَنَّهُم لم يَقِفُوا عَلَى مَعنَاهُ، ولَم يَعرِفُوا حَقِيقَتَهُ، فَوَضَعُوا لَهُ تَأويلاً من عند أنفُسهم بِآرَائهم، واستَغنَوا بذَلكَ عَن مَسأَلة الأوصيَاء، ونَبَذُوا قَولَ رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله وَرَاءَ ظُهُورهم.[٤]

فيه تصريح بأنّ مرجعيّة المحكم للمتشابه إنّما هو في إبطال ظاهره. ولابدّ من الرجوع إلى الأوصياء وسؤالهم في تفسير المتشابه وتوضيحه.

وفي *الإحتجاج*، مسنداً عن علقمة بن محمّد الحضرميّ، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث قال:

مَعَاشرَ النَّاس تَدبَّرُوا القُرآنَ وَافهَمُوا آيَاته، وَانظُرُوا إلَى مُحكَمَاته وَلَا تَتَّبعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَاللَّه لَن يُبَيِّنَ لَكُم زَوَاجرَهُ وَلَا يُوَضِّحُ لَكُم

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢. *تفسير القمّي*، ج٢، ص٤٥١؛ *بحارالأنوار*، ج٢٣، ص١٩١، ح١٢ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامة) وفيه: «يدين به» بدل «يدبر به».

٣. آل عمران (٣)، الآية ٧.

٤. *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص٢٠٠، ح٦٢ [٣٣٥٩٣] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي...).

تَفسيرَهُ إلَّا الَّذي أنَا آخذٌ بيَدِه ومُصعِدُهُ إلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِه.[١]

فيه إشعار قويّ، أنّ المرجع في تفسير المتشابه هو عليّ عليه الصلاة والسلام.

وفي *العيون*، عن أبيه مسنداً عن أبي حيّون مولى الرضا عليه السلام، قال:

مَن رَدَّ مُتَشَابِهَ القُرآنِ إلَى مُحكَمِه هُدِيَ إلى صِراطٍ مُستَقِيم، ثُمَّ قَالَ: إنَّ فِي أخبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِهِ القُرآن، وَمُحكَماً كَمُحكَمِ القُرآن؛ فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إلَى مُحكَمِهَا وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحكَمِهَا، فَتَضِلُّوا.[٢]

صرّح عليه السلام أنّه لا يجوز اتّباع المتشابه وترك المحكم، كما هو دأب أهل الزيغ؛ وواضح أنّ اللّـه تعالى لم يكلّف العبادَ الفحصَ عن تأويل المتشابه إلّا من طريق أهل بيت الوحي، وخزّان العلم خاصّة.

وفي *الصحيفة المباركة السجاديّة* في دعائه عليه السلام عند ختم القرآن، قال عليه السلام:

فَاجعَلنَا ممَّن يَرعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِه، ويَدِينُ لَكَ باعتقَادِ التَّسلِيمِ لِمُحكَمِ آيَاتِه، ويَفزَعُ إلَى الإقرَارِ بِمُتَشَابِهِه، ومُوضَحَاتِ بَيِّنَاتِه.[٣]

صرّح عليه السلام أنّ الوظيفة الأوّليّة والمفزع والملجأ في المتشابهات والبيّنات الموضّحة ـ بالفتح ـ هو الإيمان والإقرار.

---

١. *الإحتجاج*، ج١، ص٦٠؛ *بحارالأنوار*، ج٣٧، ص٢٠٩، ح٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالّة على الخصوص... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

٢. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام، ج١، ص٢٩٠، ح٣٩ (الباب ٢٨)؛ *بحارالأنوار*، ج٢، ص١٨٥، ح٩ (الباب ٢٦ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٣. *الصحيفه السجاديّة*، الدعاء ٤٢، ص١٧٦.

## دراسة بعض الآراء في المحكم والمتشابه

إنّ الأقوال في هذا الباب كثيرة ذكرها السيوطيّ في إتقانه[١] والشيخ محمّد عبده في *المنار*[٢]، فنذكر بعضها والنقد الوارد عليها:

**الأوّل**: ما روي عن عكرمة وقتادة وغيرهما، أنّ المحكم الذي يعمل به والمتشابه الذي يؤمن به ولا يعمل به.

فيه: أنّ هذا ليس بياناً للمحكم والمتشابه وتعريفاً لهما، بل هذا بيان لما يترتّب عليهما من الحكم القطعيّ العقليّ وإرشاد به، من وجوب الاتّباع والعمل بالمحكم وتحريم الأخذ بالمتشابه؛ وهو عين مفاد الآية الكريمة والوظيفة المقرّرة الأوّليّة بالنسبة إلى المتشابه؛ وهذا البيان، بيان إرشاديّ كما لايخفى.

**الثاني**: المحكم ما عرف المراد منه، إمّا بالظهور وإمّا بالتأويل. والمتشابه ما استأثر اللّـه بعلمه، كقيام الساعة وخروج الدجال والحروف المقطّعة في أوائل السور.

فيه: أنّه إن أُريد بالظهور في تعريف المحكم النصّ، فهو كذلك أو ما يقابل النصّ من الظهور الاصطلاحيّ، فهو وإن لم يكن محكماً إلّا أنّه في حكم المحكم من حيث وجوب الاتّباع. وعلى التقديرين فلا محصّل لقوله: «أو بالتأويل» إلّا أن يقال: إنّ مراده من التأويل هو التفسير، لكنّ من

---

١. *الإتقان في علوم القرآن*، ج٢، ص٥ ـ ٧.
٢. *تفسير المنار*، ج٣، ص١٦٣ ـ ١٦٥.

الواضح أنّ اعتماد المفسِّر في التفسير المشروع على دلالة الألفاظ، وتحصيل القرائن وكسب الشواهد على تلك الدلالة بحيث يصير اللفظ بلحاظ هذا الاستظهار ظاهراً أو قطعيّاً في المعنى المستظهَر، فلا موقع بعد هذا لقوله: «أو بالتأويل»الظاهر في الترديد والتغاير بين شيئين.

وأمّا تفسير المتشابه «بما استأثر اللّـه بعلمه».

ففيه: أنّ المتشابه وإن كان من الغيب المحجوب مثل سائر الغيوب إلّا أنّه قد جرت سنّته تعالى في عدّة من هذه الغيوب سيّما المتشابه، أن يطّلع عليها الراسخون في العلم من أوليائه الطاهرين. وهل يتفوّه عالم أنّ رسول اللّـه ﷺ لم يعلم ما نزّل عليه من متشابهات الكتاب؟! ولم يقدرعلى تعليمها لأحد من أفاضل أُمّته وأهل دعوته؟! وهذا جزاف من القول. والعجب تمثيله المتشابه، بقيام الساعة وخروج الدجّال؛ إذ وقت قيام الساعة من جملة الغيوب التي لا نهاية لعددها فالقائل لابدّ أن يلتزم أنّ كلّ غيب، متشابه. فلو عقل وتفكّر لعَلِم أنّ المتشابه من الغيوب، لا أنّ كلّ غيب متشابه. وجمعه بين قيام الساعة وخروج الدجّال وبين فواتح السور، يدلّ على أنّ القائل يعتقد بأنّ الغيوب كلّها من المتشابه.

**الثالث**: إنّ المحكم من آي الكتاب، ما لم يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً، والمتشابه ما احتمل من التأويل أوجُهاً.

وفيه: أنّ الصحيح في المقام أن يقال: إنّ المحكم ما يدلّ على معنى والمتشابه ما لم يكن ظهوره جائز الاتّباع. وقوله: «ما لم يحتمل من التأويل إلّا وجهاً واحداً»، ليس بصحيح لأنّ مفاد المحكم لا يُعدّ تأويلاً في لسان

الكتاب والسنّة. فلو كان مراده أنّ المحكم، ما كان واضحاً في معنى واحد والمتشابه ما يقابله، فهو عين ما ذكرناه.

الرابع: المحكم ما كان معقول المعنى، والمتشابه بخلافه، كأعداد الصلوات واختصاص الصيام برمضان دون شعبان.

وفيه: أنّ الظاهر من قولهم: «معقول المعنى»، غير التعبّديّات ويكون المراد من المتشابه هي التعبّديّات. وحيث إنّ التسليم في مقابل التعبّديّات واجب بالضرورة، وكلّ ما يجب التسليم في قباله تعبّداً، فهو متشابه. ويحرم اتّباع المتشابه قبل نيل معناه ومفاده، فعليه يحرم اتّباع التعبّديّات، لأنّها من المتشابهات التي معناها ليس معقولاً. وبالجملة هذا القول أجنبيّ عن البحث في المحكم والمتشابه الذي يكون في باب دلالات الألفاظ.

الخامس: المحكم ما تأويله تنزيله، والمتشابه ما لا يُدرك إلّا بالتأويل.

أقول: المراد بالتأويل هاهنا التفسير والشرح والتوضيح. فعلى هذا يكون المحكم ما لا ترديد في دلالته على مفاده، والمتشابه ما لا يمكن الأخذ بظاهره لقيام القرائن العقليّة والنقليّة على خلافه؛ وسيأتي لذلك مزيد توضيح في البحث عن التأويل ـ إن شاء اللّـه تعالى ـ.

السادس: المحكم ما استقلّ بنفسه والمتشابه ما لايستقلّ إلّا بردّه إلى غيره.

وفيه: أنّ الاستقلال وعدمه لامعنى له في باب دلالة الألفاظ؛ فمن الكلام ما يحتاج إلى شرح وقرينة ومنه ما لا يحتاج إلى ذلك. وهذا عمل عاديّ في المحاورات العرفيّة ويترتّب عليه أغراض العقلاء، بحسب اختلاف المقامات.

**السابع**: المحكمات ما فيه الحلال والحرام وما سوى ذلك، فهو متشابه يصدّق بعضه بعضاً.

وفيه: أوّلاً: أنّه لا دليل على نفي المتشابه، ممّا فيه الحلال والحرام.

وثانياً: القول بأنّ «ما سوى ذلك فهو متشابه»، خلاف الضرورة والعيان. كيف وفي غير الأحكام، أصول الدعوة وأساس الأديان والحقائق الفطريّة والمستقلّات العقليّة، وأمثال ذلك؟!

وثالثاً: لا معنى للقول بأنّ المتشابه يصدّق بعضه بعضاً.

**الثامن**: المحكمات مالم تنسخ والمتشابهات ما قد نسخ.

وفيه: أنّ من الممكن أن يكون المتشابه من النواسخ، فيحرم العمل به قبل تفسيره ويجب العمل به بعد تفسيره.

**التاسع**: المحكم مالم تتكرّر ألفاظه ومقابله المتشابه.

وفيه: أنّ التكرار وعدمه أجنبيّ عن معنى التشابه والإحكام.

على أنّه لا معنى لنسبة التكرار إلى القرآن الكريم. وما كان من القضايا والقصص في المواقف المختلفة إنّما هو لأغراض شتّى. وعلى عهدة المفسّر تعيين الغرض المسوق له الكلام والعناية الملحوظة فيه.

**العاشر**: أنّ المتشابه هي آيات الصفات أي: صفات اللّـه خاصّة.

وفيه: أنّ لازم ذلك حرمة الاعتقاد والتديّن بالتوحيد ونعوت اللّـه الكماليّة والجلاليّة.

على أنّ الآية الكريمة، صريحة في أنّ الإحكام والتشابه من صفات الكلام، لا من صفات مفرداته.

وهناك أقوال أُخر أعرضنا عن ذكرها توخّياً للإطالة.

## نظريّة صاحب الميزان ونقدها

قال في *الميزان*:

وأمّا التشابه المذكور في هذه الآية أعني قوله: ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ فمقابلته لقوله: ﴿منهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكتابِ﴾،[١] وذكر اتّباع الذين في قلوبهم زيغ لها ابتغاء الفتنة وابتغاء التأويل، كلّ ذلك يدلّ على أنّ المراد بالتشابه، كون الآية بحيث لايتعيّن مرادها لفهم السامع بمجرّد استماعها، بل يتردّد بين معنى ومعنى، حتّى يرجع إلى محكمات الكتاب؛ فتعيّن هي معناها وتبيّنها بياناً، فتصير الآية المتشابهة عند ذلك محكمة بواسطة الآية المحكمة، والآية المحكمة محكمة بنفسها، كما أنّ قوله:﴿الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى﴾،[٢] يشتبه المراد منه على السامع أوّل ما يسمعه، فإذا رجع إلى مثل قوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثلِهِ شَيء﴾[٣] استقرّ الذهن على أنّ المراد به التسلّط على الملك والإحاطة على الخلق دون التمكّن والاعتماد على المكان المستلزم للتجسّم المستحيل على اللّه سبحانه... وكذا إذا عرضت الآية المنسوخة على الآية الناسخة، تبيّن أنّ المراد بها حكم محدود بحدّ الحكم الناسخ وهكذا.[٤]

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٧.
٢. طه (٢٠)، الآية ٥.
٣. الشورى (٤٢)، الآية ١١.
٤. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٢١.

وقال في معنى كون المحكمات (أُمّ الكتاب):

فإنّ في هذه اللفظة ـ أعني لفظة الأُمّ ـ عناية بالرجوع الذي فيه انتشاء واشتقاق وتبعّض، فلا تخلو اللفظة من الدلالة على كون المتشابهات ذات مداليل ترجع وتتفرّع على المحكمات، ولازمه كون المحكمات مبيّنة للمتشابهات.

على أنّ المتشابه إنّما كان متشابهاً لتشابه مراده، لا لكونه ذا تأويل؛ فإنّ التأويل كما مرّ يوجد للمحكم كما يوجد للمتشابه، والقرآن يفسّر بعضه بعضاً. فللمتشابه مفسّر وليس إلّا المحكم؛ مثال ذلك قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾،[1] فإنّه آية متشابهة وبإرجاعها إلى قوله تعالى: ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ﴾[2] وقوله تعالى:﴿لَا تُدرِكُهُ الأبصَارُ﴾،[3] يتبيّن أنّ المراد بها نظرة ورؤية من غيرسنخ رؤية البصر الحسّيّ، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأى * أَ فَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾[4] إلى أن قال: ﴿لَقَد رَأى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الكُبرَى﴾[5] فأثبت للقلب رؤية تخصّه، وليس هو الفكر، فإنّ الفكر إنّما يتعلّق بالتصديق والمركّب الذهنيّ، والرؤية إنّما تتعلّق بالمفرد العينيّ، فيتبيّن بذلك أنّه توجّه من القلب ليست بالحسّيّة المادّيّة ولا

---

١. القيامة (٧٥)، الآية ٢٣.
٢. الشورى (٤٢)، الآية ١١.
٣. الأنعام (٦)، الآية ١٠٣.
٤. النجم (٥٣)، الآيتان ١١ ـ ١٢.
٥. النجم (٥٣)، الآية ١٨.

بالعقليّة الذهنيّة. والأمر على هذه الوتيرة في سائر المتشابهات.[١]

يرد على هذه النظريّة إشكالات:

**أوّلاً**: إنّ الأُمومة والإصالة للمحكمات أجنبيّة عن معنى الفرعيّة والمفسّريّة بالكلّيّة، لأنّ الإحكام والتشابه وصفان مختلفان لدلالة الألفاظ وليس النسبة بينهما نسبة الفرع والأصل، كي يتوقف فهم المتشابه على المحكم؛ فلا يمكن الوصول إلى المتشابه عن طريق المحكم.

**ثانياً**: لا تناسب بين رؤية الآيات وبين النظر إلى ذاته المقدّسة؛ فتفسير النظربالرؤية في الآيتين مجازفة واضحة لأنّ النظر غير الرؤية، مضافاً إلى أنّ النظر في الآية المبحوث عنها متعلّق بالربّ وفي الآية التي استشهد بها متعلّق برؤية الآيات.

**ثالثاً**: إنّه لا إشكال في أنّ المتشابه ما يقابل المحكم؛ ولا إشكال في حجّيّة المحكم عند العلماء؛ وكذلك في حجّيّة الظواهر عند المحقّقين، وأمّا المتشابه هو الذي لم ينعقد له ظهور فلا موضوع للحجّيّة فيه أصلاً، وردّ المتشابه إلى المحكم ليس إلّا لإبطال الظهور البدويّ، لا لتعيين المراد من المتشابه، وليست المحكمات قرينة عرفيّة منفصلة لتعيين المراد من المتشابهات، مثلاً قوله تعالى: ﴿**لَا تُدرِكُهُ الأبصَارُ**...﴾ في مقام تنزيهه تعالى عن رؤية الأبصار وتمجيده تعالى عن إدراكه وإحاطته سبحانه بالأبصار، ولا توجد قرينة عرفيّة بين المخاطبين والمتكلّم على أنّ المراد منها النظر إليه تعالى. وغاية ما في

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص ٤٣ ـ ٤٤.

الباب نفي النظر الحسّيّ وإثبات إحاطته تعالى وإدراكه النظر الحسّيّ، فلا يكون مدرَكاً بالنظر الحسّيّ ولا محاطاً به، وأمّا تعيين المراد من النظر إلى ذاته المقدَّسة الكريمة، فالتماسه من الآية مجازفة واضحة.

فتلخّص أنّ الغرض الأصيل من المحكمات ليس قرينيّتها للمتشابهات وتفسيرها، بل لها شأن آخر أصيل؛ وهو أنّها أُمّ الكتاب وعماده وأصوله. ومن تديّن بها وعمل بها لم يسأل اللّـه عنه ولم يؤاخذه بترك المتشابهات. ومن جملة العمل بها عرض المتشابهات عليها وتحكيمها عليها والسكوت عنها. والمتشابه لا يصير ظاهراً بردّه إلى المحكم، فضلاً عن أن يكون محكماً ولابدّ في توضيح المتشابهات من الرجوع إلى أدلّة أُخرى، سيقت لبيان هذا المتشابه بخصوصه بنحو مستقيم أو غيرمستقيم. وهكذا الأمر في متشابهات الأخبار، فلابدّ من عرض متشابهاتها على محكمات الكتاب والسنّة؛ ثمّ شرحها بأدلّة أُخرى من الكتاب والسنّة.

فاتّضح من جميع ما ذكرنا أنّ معنى الروايات التي وردت في ردّ المتشابه إلى المحكم، هو الأخذ بالمحكم والسكوت عن المتشابه والإيمان به على ما هو عليه في الواقع. فللمحكم مقام المرجعيّة والحاكميّة، يحتجّ به على علوم القرآن ويحتجّ به على أهل الآراء الباطلة والأهواء المبتدعة.

٥

# المنهج الصحيح في التفسير

- معنى التفسير
- نقد منهجيّة تفسير القرآن بالقرآن

## معنى التفسير

التفسير لغة: كشف الغطاء، قال في *لسان العرب*:

الفَسرُ: كَشفُ المُغَطّىٰ. والتفسير: كَشفُ المراد عن اللَّفظِ المُشكِلِ.[1]

ليس من الضروريّ أن يُفسّر الكلام أو الكتاب إلّا إذا كان مانعاً وحجاباً في دلالته على مراد المتكلّم أو الكاتب؛ فإن كان الكلام صريحاً أو ظاهراً في معناه، فإنّ تبيينه لايعدّ تفسيراً؛ لأنّ الكلام الصريح أو الظاهر، لا يوجد حجاب عليه كي يرُفع بالتفسير. ولو لم يكن الظهور البدويّ للكلام حجّةً لجهات، فإنّه يجب على المخاطب ـ للوصول إلى مراد المتكلّم أو الكاتب ـ أن يفحص عن القرائن الحاليّة والمقاليّة المخالفة للظهور البدويّ في كلّ موضع يحتمل وجودها؛ والمعنى الذي ظهر له أو قطع به بعد الفحص الدقيق والتأمّل والتعقّل، يكون تفسيراً له.

فكما قلنا في بحث حجّيّة ظواهر القرآن، إنّ القرآن له خطابان: خطاب عامّ وخطاب خاصّ.

---

١. *لسان العرب*، ج٥، ص٥٥.

أمّا في الخطاب العامّ ـ الذي لا يكون إلّا في دلالات نصوص القرآن وظواهره ـ فإنّ الله سبحانه وتعالى أثار عقل الإنسان وفطرته عن طريق بيان الموضوعات العقليّة والأحكام والمسائل الفطريّة ودعاه إلى التدبّر في الخليقة وآياته الموجودة في الطبيعة. وبما أنّ الأمور العقليّة والفطريّة لا تُنسخ ولا تُخصَّص ولا تُقيَّد، فإنّ الظهور الابتدائيّ لهذه الآيات، يكون حجّة ويمكن الاستفادة من معناها وما أُريد منها بمحض الرجوع إليها؛ فلا تحتاج هذه الآيات إلى التفسير والتبيين.

وأمّا في الخطاب الخاصّ، فبما أنّ الله سبحانه وتعالى يذكر فيه المعارف الدقيقة وجزئيّات الأحكام، فإنّه لا يمكن التمسّك بالظهور الابتدائيّ لهذه الآيات، لأنّه يمكن أن تكون الآية في صدد بيان موضوع عامّ أو مطلق وورد تخصيصه أو تقييده في آيات أُخرى أو في السنَّة الشريفة بل يمكن أن تكون الآية منسوخة.

فإذن التفسير عبارة عن تبيين مراد الله سبحانه وتعالى والكشف عنه، عبر الطرق العلميّة والاستفادة من الأدلّة العقليّة والقرائن المتّصلة والمنفصلة المذكورة في الآيات والروايات.

فمن اتّبع هذه الطريقة في تعيين مراد الله سبحانه وتعالى في القرآن، كان مفسِّراً وإنّ هذه الطريقة المسمّاة بالطريقة الاجتهادية المبتنية على العقل والكتاب والسُّنة هي الطريقة الصحيحة والمقبولة عند الأصوليين من فقهاء الشيعة المسجَّلة في تاريخهم.

إلّا أنّه مضافاً إلى هذه الطريقة، فإنّ القرآن قد فُسِّر بطرق مختلفة أُخرى، بعضها ناقصة والبعض الآخر منها وقعت في الانحراف والاشتباه؛ وإنّ إحدى هذه الطرق طريقة تفسير القرآن بالقرآن.

إنّ بعض من اتّبع هذه الطريقة من أهل السُّنة سلك طريقاً مبتنٍ على الاستغناء من بيان الرسولﷺ والأئمةعليهم السلام، وشذوذ هذه الطريقة أمر بديهيّ لا نحتاج إلى بيانها. والمدافعين عن طريقة تفسير القرآن بالقرآن مع انتماءاتهم المختلفة واتّحاد شعارهم لم يسلكوا طريقاً ومنهجاً واحداً؛ وأنّ ابن تيميّة يُعدّ من أتباع هذه الطريقة التفسيريّه، حسب رأى بعض المؤلّفين.

## نقد منهجيّة تفسير القرآن بالقرآن

قال في تفسير *الميزان*:

> فالحقّ أنّ الطريق إلى فهم القرآن الكريم غير مسدود، وأنّ البيان الإلهيّ والذكر الحكيم بنفسه هو الطريق الهادي إلى نفسه؛ أي: إنّه لايحتاج في تبيين مقاصده إلى طريق، فكيف يتصوّر أن يكون الكتاب الذي عرّفه اللّه تعالى بأنّه هدى وأنّه نور، وأنّه تبيان لكلّ شيء مفتقراً إلى هاد غيره ومستنيراً بنور غيره ومبيّناً بأمر غيره؟[1]

يرد على هذه النظريّة أمور:

**أوّلاً**: أنّ للقرآن الكريم كما ذكرنا مقامين: مقام مخاطبة عامّة الناس، فإنّ الطريق إلى فهمه غير مسدود. ومقام مختص برسولﷺ وأئمّة أهل بيتهعليهم السلام،

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٨٦.

ولابدّ من الالتزام فيه بما ورد عنهم عليهم السلام وعدم جواز العدول عنه. قال تعالى:

﴿لَاتُحَرِّك به لسَانَكَ لتَعجَلَ به * إنَّ عَلَينَا جَمعَهُ وقُرآنَهُ * فَإذَا قَرَأناهُ فَاتَّبِع قُرآنَهُ * ثُمَّ إنَّ عَلَينَا بَيانَهُ﴾.[1]

لقد وعد سبحانه في هذه الآيات أن يبيّن القرآنَ ويعلّمه لرسوله صلى الله عليه وآله، كي يقوم الرسول صلى الله عليه وآله بتعليم القرآن لأمّته، فهو سبحانه صادق الوعد وقد وفى بوعده وبيّن القرآن لرسوله ولذا لابدّ أن يكون تبيين القرآن وتعليمه للأُمّة بتعليم الرسول صلى الله عليه وآله والمعصومين عليهم السلام. قال تعالى:

﴿وأنزَلنَا إلَيكَ الذِّكرَ لتُبَيِّنَ للنَّاسِ مَانُزِّلَ إلَيهِم ولَعَلَّهُم يَتَفَكَّرُون﴾؛[2]

﴿ربَّنَا وابعَث فيهِم رَسُولاً منهُم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاتِكَ ويُعَلِّمُهُمُ الكتَابَ والحكمَةَ ويُزَكِّيهِم إنَّكَ أنتَ العَزيزُ الحَكيمُ﴾؛[3]

﴿كَمَا أرسَلنَا فيكُم رَسُولاً منكُم يَتلُوا عَلَيكُم آيَاتِنَا ويُزَكِّيكُم ويُعَلِّمُكُمُ الكتَابَ والحكمَةَ ويُعَلِّمُكُم مَا لَم تَكُونُوا تَعلَمُونَ﴾؛[4]

﴿لَقَد مَنَّ اللَّهُ عَلَى المُؤمنينَ إذ بَعَثَ فيهِم رَسُولاً من أنفُسِهم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاته ويُزَكِّيهِم ويُعَلِّمُهُمُ الكتَابَ والحكمَةَ وإن كَانُوا من قَبلُ لَفي ضَلَالٍ مُبينٍ﴾؛[5]

---

١. القيامة (٧٥)، الآيات ١٦ ـ ١٩.
٢. النحل (١٦)، الآية ٤٤.
٣. البقرة (٢)، الآية ١٢٩.
٤. البقرة (٢)، الآية ١٥١.
٥. آل عمران (٣)، الآية ١٦٤.

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنهُم يَتلُوا عَلَيهِم آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِم وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[1]

إنّ قوله تعالى: ﴿يُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكمَةَ﴾؛ أصدق شاهد على أنّ المراد بالتعليم، هو بيان الحكمة والحقائق الراجعة إلى دين اللّـه، لا بيان قراءة ألفاظه وحروفه. وقد قام رسول اللّـه ﷺ في حياته بهذه الوظيفة الخطيرة التي أمره تعالى بها وأصرّ أيضاً على ذلك في إرجاع الأمر إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام من آله بعد وفاته كما ورد في حديث الثقلين وغيره من الأحاديث القطعيّة. وحينئذ ما يكون معنى الاكتفاء والاستغناء بتفسير القرآن بالقرآن إنّ القول بعدم التنافي بين طريقة تفسير القرآن بالقرآن والاستفادة من بيانات الرسول ﷺ والأئمّة عليهم السلام في بعض الموارد،[2] خُلف واضح.

**ثانياً**: أنّ ما ذكره في *الميزان*، من أنّ القرآن نورٌ وفيه تبيان كلّ شيء، وأنّ النورلا يستبين بغيره وأنّ الهدى لا يستهدى من غيره، يرد عليه أنّ السنّة عِدلٌ للقرآن وأحد الثقلين نور كالقرآن، فيكون اجتماعهما معاً نور على نور.

---

١. الجمعة (٦٢)، الآية ٢.

٢. قال في *الميزان*، ج٣، ص٨٤:

نعم تفاصيل الأحكام ممّا لا سبيل إلى تلقّيه من غير بيان النبيّ ﷺ كما أرجعها القرآن إليه في قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾ [حشر (٥٩)، الآية٧] وما في معناه من الآيات وكذا تفاصيل القصص والمعاد مثلاً.

**ثالثاً**: ما ذكرنا من أنّ النبيّ ﷺ هو المبيّن والمعلّم للقرآن فحسب، لا ينافي عدّة من الآيات المباركة الدالّة على أنّ القرآن بيان وتبيان وشفاء وهُدىً وهداية للعالمين وغيرها. حيث إنّ هذه الآيات مسوقة لبيان فخامة شأن القرآن وجامعيّته وموقعيّته في المجتمعات البشريّة، وكونه قولاً ثقيلاً[1] لا يوازيه ولا يضاهيه ولا يساويه ولا يدانيه شيء؛ بل هو أكبر الثقلين،[2] وآنّه برهان على ذاته بذاته وعلى جميع محتوياته ولكونه مهيمناً،[3] وهو صريح بحاكميّته على تصديق جميع ما ينسب إلى الوحي السماويّ من أوّل الدنيا إلى يوم القيامة. وقد أشرنا الى هذا الأمر في ما ذكرنا في فضل القرآن وشؤونه.

**رابعاً**: لا يصحّ الاستشهاد والاستدلال في تفسير القرآن بالقرآن، بما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج *البلاغة* حيث قال:

> تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ القَضِيَّةُ فِي حُكمٍ مِنَ الأحكَامِ، فَيَحكُمُ فِيهَا بِرَأيِه. وَثُمَّ تَرِدُ تلكَ القَضِيَّةُ بِعَينِهَا عَلَى غَيرِه، فَيَحكُمُ فِيهَا بِخِلَافِ قَولِه. ثُمَّ يَجتَمِعُ القُضَاةُ بِذَلِكَ عِندَ الإمَامِ الَّذِي استَقضَاهُم، فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُم جَمِيعاً، وَإِلَهُهُم وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُم وَاحِدٌ، وَكِتَابُهُم وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُم اللَّهُ سُبحَانَهُ بِالاختِلَافِ فَأَطَاعُوه؟! أم نَهَاهُم عَنهُ

---

١. المزمّل (٧٣)، الآية ٥: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً﴾.

٢. إشارة إلى قوله ﷺ: (إِنِّي مُخلِفٌ فِيكُمُ الثَّقَلَينِ، الثَّقَلُ الأكبَرُ القُرآن)؛ *الغيبة* (للنعمانيّ) ص٤٣؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٨٠؛ ص١٠٢ (الباب الثامن من أبواب فضله و أحكامه... من كتاب القرآن).

٣. المهيمن: الرقيب، الحافظ. ولمزيد من الاطّلاع راجع إلى الدرس الأوّل من هذا الكتاب.

فَعَصَوهُ؟! أم أنزَلَ اللَّهُ سُبحَانَهُ ديناً نَاقصاً، فَاستَعَانَ بهم عَلَى إتمَامه؟! أم كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ، فَلَهُم أن يَقُولُوا، وَعَلَيه أن يَرضَى؟! أم أنزَلَ اللَّهُ سُبحَانَهُ ديناً تَامّاً، فَقَصَّرَ الرَّسُولُ ﷺ عَن تَبليغه وَأَدَائه؟! وَاللَّهُ سُبحَانَهُ يَقُولُ: ﴿مَا فَرَّطنا فِي الكتاب من شَيءٍ﴾[1] وَفيه تبيَانٌ لكُلِّ شَيءٍ وَذَكَرَ أنَّ الكتَابَ يُصَدِّقُ بَعضُهُ بَعضاً وَأَنَّهُ لَا اختِلَافَ فيه فَقَالَ سُبحَانَهُ: ﴿ولَو كانَ من عند غَير اللَّه لَوَجَدُوا فيه اختلافاً كَثيراً﴾[2]... .[3]

لأنّ الخطبة الشريفة سيقت لِتوبيخ الجاهلين الذين تصدّوا لمقام القضاء والفتوى واختلفوا في فتياهم وقضائهم، لجهلهم بالكتاب ومدارك الأحكام. وهو ﷺ يحتجّ عليهم بأنّ كتاب اللّـه سبحانه ليس فيه ما يوجب اختلافهم، وأنّ البيان الإلهيّ منار الحجّة وواضح المحجّة. وأنّ كتاب اللّـه أجلّ شأناً وأرفع مقاماً من أن يُتوهّم التناقض والتخالف فيه. وفيه كمال الملائمة وتمام المناسبة في مقاصده ومراميه. وتشهد بعض الآيات على صدق ما تضمّنته الأُخرى، فأين التناقض والتكاذب فيه؟!

وكذلك قوله ﷺ في الخطبة:

كِتَابُ اللَّه تُبصِرُونَ بِه، وتَنطِقُونَ بِه، وتَسمَعُونَ بِه، ويَنطِقُ بَعضُهُ

---

١. الأنعام (٦)، الآية ٣٨.

٢. النساء (٤)، الآية ٨٢.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨، ص ٦٠ .

بِبَعض، ويَشهَدُ بَعضُهُ عَلَى بَعض... .[١]

لأنّ الشهادة والتصديق بين آيات القرآن، لا يتحقّقان إلّا إذا كان للآية المصدَّقة ـ بالكسر ـ والمصدَّقة ـ بالفتح ـ ظهور في مفادهما. فلو لم يثبت لهما ظهور ولم يبيّن المراد منهما فإنّه لا يكون موضوع لتصديق وشهادة إحداهما على الأُخرى.

فتبيّن أنّ مورد التصديق والشهادة، إنّما هو بعد تثبيت الظهورات وتبيين المرادات. وهاتان الخطبتان تدلّان على أنّ للمفسِّر بعد الأخذ بمفاد آية، أن يأتي عليها بشواهد من آيات أُخرى، لأنّه إذا ظفر على هذه الشواهد وتيسّر له كسب تلك القرائن، كان تفسيره أسدّ بُنياناً وأوثق برهاناً. فـ «إنّ على كلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً»،[٢] فلو لم يجد في تفسير آية، على آية أو آيات تؤيّدها وتصدّقها، فإنّ الآية بوحدها تكون حجّة على مفادها. وأين هذا من تفسير القرآن بالقرآن؟! وتسمية هذا تفسيراً ليس في محلّه، إذ التفسير ـ كما تقدّم ـ عبارة عن كشف القناع والاستظهار من اللفظ؛ وهو مقدّم رتبةً على شهادة آية على آية وتصديقها بها، فإنّ التصديق والشهادة ـ كما قلنا ـ يتحقّقان بعد الاستظهار وتحقّق الظهور.

وكذلك الأمر فيما ورد في الروايات، من إرجاع المتشابه إلى المحكم، فإنّه ليس المراد منه تفسير المتشابه بالمحكم، إذ لا وجه للقول بأنّ ما أُريد من المتشابه هو عين ما أُريد من المحكم، ولا يكون هذا القول إلّا رجماً بالغيب، بل المراد

---

١. *نهج البلاغة*، الخطبة ١٣٣، ص١٩٢.

٢. *المحاسن*، ج١، ص٢٢٦، ح ١٥٠؛ *بحار الأنوار*، ج٢، ص٢٤٣، ح٤٤ (الباب ٢٩ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم).

منه، هو أنّ المحكم يدفع الظهور البدويّ عن المتشابه ويبطله؛ فعلى هذا يلزم العمل والإيمان بالمحكم والسكوت عن المتشابه إلى أن يأتي له بيانٌ آخر.

ولذا لا يمكن الاستدلال بكلام الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام على تفسير القرآن بالقرآن. وأمّا إن كان المراد من الحديث الشريف إمكان استفادة ظهور آية من آية أُخرى، بمعنى أنّه لو كانت آية مطلقة أو عامّة وآية أُخرى مقيِّدة أو خاصّة، تكون الآية الخاصّة والمقيِّدة، بياناً وتفسيراً للآية المطلقة والعامّة، فإنّ هذا الكلام صحيح، ولكنّه لا يكون مؤيّداً لتفسير القرآن بالقرآن، لأنّ فحص المفسِّر عن القرائن والمقيِّدات في القرآن سواء كان في الأحكام أو غيرها من المعارف والحقائق، شرط لازم ولكنّه ليس بكاف، لأنّ الفحص كما يجب عن القرائن والمقيِّدات في القرآن، كذلك يجب في السنّة المعتبرة وفي القرائن العقليّة التي يجب الالتزام بها أيضاً. والأخذ بأحدهما وترك الآخر إبطال لحقّه وإسقاط عن مقامه وموقعه وحجّيّته.

ولايخفى أنّ القرآن والسنّة، هما المرجع في العلوم الشرعيّة والمعارف والعقائد الإسلاميّة؛ وعليه، فمن ادّعى أمراً أو أحدث حدثاً في الدين، لابدّ من استيضاح حجّته من مسلّمات الكتاب والسنّة، فلو خالفها فالذي جاء به فهو أولى به، يضرب به وجه صاحبه. مثلاً ينادي القرآن الكريم بندائه العامّ على تنزيه الله تعالى عن آثام العباد وجناياتهم.[1] وينادي أيضاً أنّ له

---

١. كقوله تعالى في سورة العنكبوت(٢٩)، الآية ٤٠: ﴿فَكُلاًّ أَخَذنا بِذَنبِهِ فَمِنهُم مَن أَرسَلنا عَلَيهِ حاصِباً وَمِنهُم مَن أَخَذَتهُ الصَّيحَةُ وَمِنهُم مَن خَسَفنا بِهِ الأَرضَ وَمِنهُم مَن أَغرَقنا وَما كانَ اللَّـهُ لِيَظلِمَهُم وَلكِن كانُوا أَنفُسَهُم يَظلِمُونَ﴾.

تعالى سخطاً على المعاصي[١] ورضى للطاعات والمحسّنات،[٢] فلا يجوز أن يُنسب إليه تعالى جنايات الكافرين والطاغين؛ فمن ادّعى ذلك وقال بالجبر في أفعال العباد والتوحيد الأفعاليّ[٣] فلا يقبل منه.

وهكذا؛ من جاء بحديث أو تمسّك بآية من كتاب اللّه واستظهر منها برأيه ما يخالف صريح القرآن وضرورة السنّة، فهو كاذبٌ مضلّ لا يقبل منه.

---

١. كقوله تعالى في سورة الأعراف(٧)، الآية١٥٢: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِن رَبِّهِمْ﴾.

٢. كقوله تعالى في سورة الفتح (٤٨)، الآية١٨: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ وقوله تعالى في سورة آل عمران (٣)، الآية ٣١: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

٣. كما ورد في *الحكمة المتعالية*، ج٨، ص٣١٢:

... والفعل الاختياريّ لا يتحقّق ولا يصحّ بالحقيقة إلّا في واجب الوجود وحده وغيره من المختارين لا يكونون إلّا مضطرّين في صورة المختارين.

ولمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *سدّ المفرّ على القائل بالقدر*، ص١٠٣ ـ ٢٢٥.

٦

# التفسير بالرأي

- المنع عن التفسير بالرأي
- معنى التفسير بالرأي
- تبعات التفسير بالرأي
- وقفة مع منهج الصحابة والتابعين في التفسير

## المنع عن التفسير بالرأي

لقد ورد المنع عن التفسير بالرأي في أحاديث كثيرة. نذكر بعضها: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

مَن فَسَّرَ القُرآنَ برأيه، فَليَتَبَوَّءْ مَقعَدَهُ مِن النَّارِ.[1]

في *العيون*، عن محمّد بن موسى مسنداً عن الريّان بن الصلت، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ: مَا آمَنَ بِي مَن فَسَّرَ برأيه كَلَامِي، ومَا عَرَفَنِي مَن شَبَّهَنِي بِخَلقِي، ومَا عَلَى دِينِي مَن استَعمَلَ القِيَاسَ فِي دِينِي.[2]

وفي *كمال الدين*، عن محمّد بن عليّ ما جيلويه مسنداً عن عبد الرحمن بن سمرة قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

---

١. *تفسير الصافي*، ج١، ص٣٥.

٢. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام، ج١، ص١١٦، ح٤ (الباب ١١)؛ *بحار الأنوار*، ج٢، ص٢٩٧، ح١٦ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

... ومَن فَسَّرَ القُرآنَ برأيه، فَقَد افترَى عَلَى اللّه الكَذبَ، ومَن أفتَى النَّاسَ بغَير علم، فَلَعَنَتهُ مَلَائكَةُ السَّمَاوَات والأرض... .[1]

وفي *تفسير العيّاشيّ*، عن عمّار بن موسى، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

...ومَن فَسَّرَ [برأيه] آيَةً من كتَاب اللّه، فَقَد كَفَرَ.[2]

وفي *تفسير العيّاشيّ*، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال:

مَن فَسَّرَ القُرآنَ برأيه فَأصَابَ، لم يُؤجَر وإن أخطَأ، كَانَ إثمُهُ عَلَيه.[3]

## معنى التفسير بالرأي

إنّ التفسير المنهيّ عنه في هذه الروايات، هو تفسير القرآن في مقام استنباط العلوم والأحكام والمعارف الخاصّة، لا ما يتعلّق بمرتبة الدعوة العامّة؛ فإنّ القرآن في هذه المرتبة خطاب واحتجاج، وتوبيخ وتشويق، وإنذار وتبشير، وهداية وتذكرة، يدلّ عليها الكلام إمّا بالتنصيص أو بالظهور، فلا معنى لإطلاق التفسير عليه، ولا دليل على تحريمه. والأدلّة متكاثرة بالحثّ

---

١. *كمال الدين وتمام النعمة*، ج١، ص٢٥٧، ح١؛ *بحار الأنوار*، ج٣٦، ص٢٢٧، ح٣ (الباب ٤١ من أبواب النصوص على أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام) وفيه: «لعنه» بدل «فلعنته».

٢. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٨، ح٦؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١١١، ح١٥ (الباب العاشر من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٣. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٧، ح٢؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص١١٠، ح١١.

والتمسّك عليه بهذه المرحلة. قال تعالى:

﴿أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ أم عَلَى قُلُوب أقفالُهَا﴾؛[١]

﴿يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهَانٌ من ربِّكُم وأنزَلنَا إلَيكُم نُوراً مُبيناً﴾؛[٢]

﴿يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَوعظَةٌ من رَبِّكُم وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحمَةٌ لِلمُؤمنين﴾.[٣]

فالأخبار المصرّحة بتحريم التفسير بالرأي على كثرتها وشيوعها إنّما هي ناظرة إلى تفسير القرآن في مرتبة علومه الخاصّة فقط لا غير. وإنّ إعمال الرأي والاستنباط في هذه المرتبة لا مجوّز له بوجهٍ أصلاً. ولا يجوز الاقتحام في تلك المرتبة والاستقلال في الإفتاء والقضاء والنظر القطعيّ في العلوم الراجعة إلى تلك المرتبة. وإرجاع الآيات بعضها إلى بعض رجم بالغيب وقول بلا علم، فرُبّ عامٍّ في الكتاب خاصٌّ في السنّة أو في آيات أُخرى. ورُبّ فريضةٍ في الكتاب، مستحبّ في السنّة، والأمر بهذا الشكل في أبواب العلوم والمعارف التي لا تكون من المستقلّات العقليّة وتحتاج إلى تفسير وبيان الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام.

وما ينبغي الالتفات إليه كما ذكرنا سابقاً أنّ انحصارمقام تفسير القرآن في المرتبة الخاصّة بالنبيّ وأهل بيته عليهم السلام لا ينافي حجّيّة القرآن الكريم لجميع أهل العالم من الجنّ والإنس، فلا تزاحم بين أدلّة حجّيّة القرآن وبين

---

١. محمّد (٤٧)، الآية ٢٤.

٢. النساء (٤)، الآية ١٧٤.

٣. يونس (١٠)، الآية ٥٧.

الروايات المانعة عن التفسير بالرأي والتأويل، فكلٌّ حقٌّ في بابه؛ لأنّ الأدلّة المانعة عن تفسير القرآن خاصّة والمثبتة لحجيّة القرآن عامّة، ولا تنافي بين الخاصّ والعامّ، فيجب تحكيم الخاصّ على العامّ.

في *الوسائل*، عن *تفسير الإمام العسكري*عليه السلام قال عليه السلام:

... أَتَدرُونَ مَن المُتَمَسِّكُ الَّذي لَهُ بتَمَسُّكه هَذَا الشَّرَفُ العَظيمُ؟ هُوَ الَّذي أخَذَ القُرآنَ وتَأويلَهُ عَنَّا أهلَ البَيت، عَن وَسَائطنَا السُّفَرَاء عَنَّا إلَى شيعَتنَا لا عَن آرَاء المُجَادلينَ وقيَاس الفَاسقين. فَأمَّا مَن قَالَ في القُرآن برأيه، فَإن اتَّفَقَ لَهُ مُصَادَفَةُ صَوَاب، فَقَد جَهلَ في أخذه عَن غَير أهله وكَانَ كَمَن سَلَكَ مَسبَعاً من غَير حُفَّاظ يَحفَظُونَهُ؛ فَإن اتَّفَقَت لَهُ السَّلَامَةُ، فَهُوَ لا يَعدَمُ منَ العُقَلَاء الذَّمَّ والتَّوبيخَ وإن اتَّفَقَ لَهُ افتراسُ السَّبُع، فَقَد جَمَعَ إلَى هَلَاكه سُقُوطَهُ عندَ الخَيِّرينَ الفَاضلينَ وعندَ العَوَامِّ الجَاهلين؛ وإن أخطَأَ القَائلُ في القُرآن برأيه فَقَد تَبَوَّأَ مَقعَدَهُ منَ النَّار؛ وكَانَ مَثَلُهُ مَثَلَ مَن ركبَ بَحراً هَائجاً بلَا مَلَّاح ولَا سَفينَة صَحيحَة لا يَسمَعُ بهَلَاكه أحَدٌ إلَّا قَالَ: هُوَ أهلٌ لمَا لَحقَهُ ومُستَحقٌّ لمَا أصَابَه... .[1]

واضح أنّه ليس للقرآن في مرتبة دعوته العامّة ما يحتاج إلى قياس الفاسقين وآراء المجادلين. ولا يوجد في تلك المرتبة استنباط كي يصيب أو يخطئ بل في

---

١. *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص٢٠١، ح٦٣ [٣٣٥٩٤]؛ *تفسير الإمام الحسن العسكري*عليه السلام، ص١٤، ح١٤ باختلاف يسير.

هذه وأمثالها، قرينةٌ على أنّ الحرام والممنوع في الأحاديث إعمال الرأي في العلوم التي تحتاج إلى الاستنباط. وضروريّ أنّه لا سبيل إلى ذلك في الأحكام وغيره من العلوم والمعارف إلّا الأخذ عن أهل البيت عليهم السلام.

## تبعات التفسير بالرأي

مع وجود المنع الشديد من التفسير بالرأى وحرمته، إلّا أنّ البعض، قال بالرأي واستغنى عن بيان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وفسّر الآيات القرآنيّة بأمور توافق آرائه وتخرّصاته ولأجل رفع التهافت الموجود في آرائه وأفكاره، قام مجبَراً بتأويلات لا أساس لها. فعلى سبيل المثال لقد فسّروا الوحي باتّصال نفس النبيّ بعالم العقل وأنّ المَلِك من خواصّ نفس الرسول[1]، وأنّ المعجزات لابدّ من تطبيقها على قانون العلّيّة والمعلوليّة. وحاصل مقالاتهم أنّ القوانين الفلسفيّة والعرفانيّة في كلّ باب من أبواب المعارف الإلهيّة من المبدأ والمعاد، حاكمة على القرآن والسنّة ولابدّ من تنزيل الآيات والروايات من مقامها الشامخ وتأويلها إذا كانت مخالفة لتلك القوانين.

في هذه الطريقة التفسيريّة ـ الواضح بطلانها ووهنها ـ يُفَسّر القرآن في غير الأحكام، بالآراء الشخصيّة، هذا من جانب؛ ومن جانب آخر أنّ مفسّري أهل السنّة تشبّثوا بكلمات القدماء من المتكلّمين في خلق القرآن

---

١. قال ميرداماد في كتابه *القبسات*، ص٤٠٢: وحقيقة الإيحاء والوحي مخاطبة العقل الفعّال للنفس الناطقة بألفاظ منظَّمة مسوّغة مفصّلة.

وقِدَم الكلام،[١] ومخلوقيّة أفعال العباد واستقلال العباد في أعمالهم وأفعالهم،[٢] وكلّ واحد منهم يؤيّد مذهبه بآية وينقض ما يخالفه بآية أُخرى. إنّهم يفسّرون آيات الأحكام بما عندهم من المباني ويعرضون القرآن على ما عندهم من العلوم والآراء، فإن طابق مع ما عندهم فبها، وإلّا أوّلوا الآيات الشريفة، لتطابق آرائهم العقائديّة والفكريّة.

فالواجب على أهل الاسلام أن يعرضوا جميع العقائد والآراء والأنظار على القرآن في مرتبة دعوته العامّة من نصوصه ومحكماته وأصوله المسلّمة الواضحة، وفي مرتبة علومه الخاصّة فإنّه يجب عرضها على القرآن بعد تفسيره وتوضيحه بتعليم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام من أهل بيته؛ فإن طابق القرآن اعتقدوا وتمسّكوا به وإن لم يطابقه، فلابدّ من التوقّف والتثبّت وإيكال علمه إلى اللّه وأوليائه عليهم السلام. وليعلموا أنّ القرآن لا يكون آيات بيّنات إلّا في صدور الذين أُوتوا العلم وهو ضلال لغيرهم في مرتبة الدعوة الخاصّة.

---

١. قال الإمام الطحاويّ في *شرح العقيدة الطحاويّة*، ص١٦٩ بعد ما ذكر تسعة أقوال في المسألة يقول في القول التاسع إنّ هذا القول مأثور عن أئمة الحديث والسنّة وهو:
إنّه تعالى لم يزل متكلّماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلّم به بصوت يسمع، وأنّ نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً.
لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: *سدّ المفر على قائل بالقَدَر*، ص٢٣.

٢. قال إمام الحرمين أبو الحسين البصريّ:
إنّ أفعال العباد بقدرة خلقها الله تعالى في العبد.
لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب: *مرآة العقول*، ج٢، ص١٩٥ ـ ٢١٣؛ *الملل والنحل* (للشهرستانيّ)، ج١، ص٥٦ (الفصل الأوّل، المعتزلة).

يقول الإمام عليّ عليه السلام ضمن احتجاجه مع زنديق حول آية متشابهة:

وَقَد جَعَلَ اللَّهُ للعلمِ أهلاً، وَفَرَضَ عَلَى العِبَادِ طَاعَتَهُم بِقَولِه؟ ﴿أطيعُوا اللَّهَ وأطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ منكُم﴾[١] وبِقَوله: ﴿وَ لَو رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الأمرِ منهُم لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَستَنبِطُونَهُ منهُم﴾[٢] وبِقَوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادقين﴾[٣] وبِقَوله: ﴿وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العلمِ﴾[٤] [وَ بِقَوله:] ﴿وَأتُوا البُيُوتَ من أبوابِها﴾[٥] وَالبُيُوتُ هِيَ بُيُوتُ العلمِ الَّذي استُودِعَتهُ الأنبِيَاءُ وَأبوَابُهَا أوصِيَاؤُهُم، فَكُلُّ مَن عَمِلَ من أعمَالِ الخَيرِ، فَجَرَى عَلَى غَيرِ أيدِي أهلِ الاصطفَاءِ وَعُهُودِهم وَشَرَائِعِهم وَسُنَنِهم وَمَعَالِمِ دينِهم، مَردُودٌ وَغَيرُ مَقبُولٍ وَأهلُهُ بِمَحَلِّ كُفرٍ وَإن شَمِلَتهُم صِفَةُ الإيمَان... .[٦]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً، فَختَمَ بِه الأنبِيَاءَ فَلَا نَبِيَّ بَعدَهُ وَأنزَلَ عَلَيه كِتَاباً، فَختَمَ بِه الكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعدَهُ أحَلَّ فِيه حَلَالاً

---

١. النساء (٤)، الآية ٥٩.
٢. النساء (٤)، الآية ٨٣.
٣. التوبة (٩)، الآية ١١٩.
٤. آل عمران (٣)، الآية ٧.
٥. البقرة (٢)، الآية ١٨٩.
٦. الإحتجاج، ج١، ص٢٤٨؛ بحار الأنوار، ج٦٥، ص٢٦٦، ح٢٣ (الباب ٢٤ من أبواب الإيمان والإسلام والتشيّع و... من كتاب الإيمان والكفر).

وَحَرَّمَ حَرَاماً، فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَومِ القِيَامَةِ فيه شَرعُكُم وَخَبَرُ مَن قَبلَكُم وَبعدكُم.

وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَماً بَاقياً فِي أوصيَائه فَتَركَهُمُ النَّاسُ وهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى أهلِ كُلِّ زَمَان، وَعَدَلُوا عَنهُم ثُمَّ قَتَلُوهُم وَاتَّبَعُوا غَيرَهُم، ثُمَّ أخلصوا لَهُم الطَّاعَةَ، حَتَّى عَانَدُوا مَن أظهَرَ ولَايَةَ وُلَاة الأمر وطَلَبَ عُلُومَهُم قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا ممَّا ذُكِّرُوا به ولاتَزالُ تَطَّلِعُ عَلى خائنَة منهُم﴾[1] وذَلكَ أنَّهُم ضَرَبُوا بَعضَ القُرآن بِبَعض، واحتَجُّوا بالمَنسُوخ، وهُم يَظُنُّونَ أنَّهُ النَّاسخُ، واحتَجُّوا بالمُتشَابه، وَهُم يَرَونَ أنَّهُ المُحكَمُ وَاحتَجُّوا بالخَاصِّ، وهُم يُقَدِّرُونَ أنَّهُ العَامُّ، وَاحتَجُّوا بأوَّل الآيَة وَتَركُوا السَّبَبَ فِي تَأويلهَا، ولَم يَنظُرُوا إِلَى مَا يَفتَحُ الكَلَامَ، وَإِلَى مَا يَختمُهُ، ولَم يَعرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادرَهُ، إذ لَم يَأخُذُوهُ عَن أهله فَضَلُّوا وأضَلُّوا.

وَاعلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أنَّهُ مَن لَم يَعرف من كتَاب الله عَزَّ وَجَلَّ النَّاسخَ منَ المَنسُوخ وَالخَاصَّ منَ العَامِّ وَالمُحكَمَ منَ المُتَشَابه وَالرُّخَصَ منَ العَزَائم وَالمَكِّيِّ وَالمَدَنِيِّ وَأسبَابَ التَنزيل وَالمُبهَمَ من القرآن فِي ألفَاظه المُنقَطعَة وَالمُؤَلَّفَة وَمَا فيه من علم القَضَاء وَالقَدر وَالتَّقديم وَالتَّأخير وَالمُبَيَّن وَالعَميق وَالظَّاهر وَالبَاطن وَالابتدَاء وَالانتهَاء وَالسُّؤَال وَالجَوَاب وَالقَطع وَالوَصل وَالمُستَثنىٰ منهُ وَالجَارى فيه وَالصِّفَة لمَا قَبلُ ممَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعد وَالمُؤَكِّد منهُ

---

١. المائدة (٥)، الآية ١٣.

وَالمُفَصَّل، وَعَزَائمه وَرُخَصه، وَمَواضع فَرَائضه وَأحكامه وَمَعنىٰ حَلَاله وَحَرَامه الَّذي هَلَكَ فيه المُلحدُونَ، والمَوصُول منَ الألفَاظ وَالمَحمُول عَلىٰ مَا قَبلَهُ وَعَلىٰ مَا بَعدهُ فَليسَ بعَالَمٍ بالقُرآن وَلَا هُوَ من أهله... .[1]

## وقفة مع منهج الصحابة والتابعين في التفسير

إنّ فئةً من بين مسلمي صدر الاسلام أقبلوا إلى القرآن بقلوبهم واغترفوا من زُلال معارفه التي نبعت من تعاليم الرسولﷺ وارتووا منه، أُولئک الذين كانوا يرون أنفسهم قريبين من الوحي وتعاليم السماء؛ أمثال سلمان وأبي‌ذرّ، السابقين إلى ساحات العلم والعمل؛ إلّا أنّ هذا الأمر لم يَدُم. فبعد رحلة الرسولﷺ ومع المؤامرات الكثيرة التي حيكت من قبل خلفاء الجور، والانحراف في مسألة الإمامة وقيادة الأُمّة الإسلاميّة، فإنّ طرق تعليم القرآن وتفسيره خرجت عن مسارها الصحيح. وهذه الواقعة كانت السبب في خلق آفات وصدمات شتّى على المجتمع الإسلاميّ الذي لم يمضِ على تأسيسه إلّا سنوات. والظاهر أنّ أساس الانحرافات التفسيريّة التالية أو ترجع إلى هذا الزمن.

فإن قيل: قد صحّ وثبت عند رجال المسلمين في صدر الاسلام الغور والخوض في علوم القرآن والتماس عجائبه وغرائبه، واتفق عامّة المسلمين

---

١. *بحارالأنوار*، ج٩٠، ص٣ (الباب ١٢٨ من أبواب فضائل سور القرآن وآياته من كتاب القرآن) سيأتي شرح الحديث في الدرس السابع.

على اخلاصهم. فإنّهم بذلوا غاية مجهودهم في أمر الدين وتشييد مبانيه وتحكيم أصوله، فكيف يجوز التخطّي والتجاوز عن مشيهم؟! وأنّهم الوسائط بيننا وبين الرسول في جميع الشؤون الدينيّة فكيف يمكن أن يقال: إنّ مشيهم في تفسير القرآن واستنباط الأحكام وتحقيق المعارف نابع ومحدَث من عند أنفسهم، من دون متلقٍّ عن الرسولﷺ ؟

قلت: رجال الإسلام مع ما لهم من الشؤون يحرم علينا تقليدُهم، ولا يجوز تصحيح طريقتهم في دراسة العلوم الدينيّة، فالواجب علينا التحرّي وبذل المساعي في إحقاق الحقّ واستنباط العلوم والأحكام من مجراه الصحيح. ولا يجوز لأحدٍ توقيف العلوم على أفهامهم وعقولهم. هذا **أوّلاً**.

**ثانياً**: إنّ التنويه بأسمائهم وشدّة مساعيهم يكذّبه العيان، فإنّهم لم يحفظوا عن رسول اللّهﷺ وضوءه مدّة عمره مع وجودهﷺ بين أظهرهم.[١]

**ثالثاً**: ليس فيهم مقام علميّ يجمع شتاتهم ويقودهم على أمر واحد، حتّى أنّ بعضهم قد منع عن كتابة الحديث ونقل السنّة النبويّة.[٢]

**رابعاً**: إنّ المشهود من كلماتهم ومقالاتهم وكتبهم في الفقه والتفسير، آراء ساذجة[٣] مستندة إلى أصول ضعيفة وقياسات باطلة؛ فهؤلاء لم يعرفوا

---

١. راجع: كتاب *وضوء النبيّ*ﷺ (للسيّد عليّ الشهرستانيّ).

٢. كما ورد عن عائشة أنّها قالت: «جمع أبي الحديث عن رسولﷺ وكانت خمسمائة حديث... قال أبي بنيّه هلمّي الأحاديث التي عندك فجئته بها، فدعا بنار فحرقها...».
لمزيد الاطّلاع راجع كتاب *منع تدوين الحديث* (للسيّد عليّ الشهرستانيّ).

٣. قال جصاص في كتابه *أحكام القرآن*، ج٢، ص١١٣: «... روي عن عائشة أنّها كانت ترى رضاع الكبير موجباً للتحريم كرضاع الصغير».
لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *سنن النسائيّ*، ج٦، ص١٠٤.

الناسخ من المنسوخ في الكتاب والسنّة، والخاصّ من العامّ والمحكم من المتشابه، ولم يُتقِن أحدٌ من الصحابة والتابعين أصول التفسير والاستنباط، ولم يحفظوا عن الرسول ﷺ جميع ما يحتاجون إليه في فهم مسألة واحدة.

ورد في *الكافي*، عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن سليم بن قيس الهلاليّ قال:

قُلتُ لِأميرالمُؤمنين عليه السلام: إنّي سَمعتُ من سَلمَانَ والمقدَاد وأبِيذَرٍّ شَيئاً من تَفسيرِ القُرآنِ وأحَاديثَ عَن نَبيِّ اللّه غيرَ مَا فى أيدي النَّاس، ثُمَّ سَمعتُ منكَ تَصديقَ مَا سَمعتُ منهُم ورَأيتُ فِي أيدي النَّاسِ أشيَاءَ كَثيرَةً من تَفسيرِ القُرآنِ ومِنَ الأحَاديث عَن نَبيِّ اللّه ﷺ أنتُم تُخَالفُونَهُم فيهَا، وتَزعُمُونَ أنَّ ذَلكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ؛ أفَتَرَى النَّاسَ يَكذبُونَ عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ مُتَعَمِّدينَ ويُفَسِّرُونَ القُرآنَ بآرَائهم؟

قَالَ: فَأقبَلَ عَلَيَّ. فَقَالَ: قَد سَألتَ فَافهَم الجَوَابَ:

إنَّ فِي أيدي النَّاس حَقّاً وبَاطلاً، وَصدقاً وكَذباً، وَنَاسخاً وَمَنسُوخاً، وَعَامّاً وَخَاصّاً، وَمُحكَماً وَمُتَشَابِهاً، وَحفظاً وَوَهَماً. وَقَد كُذبَ عَلَى رَسُول اللّه ﷺ عَلَى عَهده حَتَّى قَامَ خَطيباً. فَقَالَ: أيُّهَا النَّاسُ قَد كَثُرَت عَلَيَّ الكَذَّابَةُ، فَمَن كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَليَتَبَوَّأ مَقعَدَهُ مِنَ النَّار؛ ثُمَّ كُذبَ عَلَيه من بَعده.

وَإنَّمَا أتَاكُمُ الحَديثُ من أربَعَة لَيسَ لَهُم خَامسٌ: رَجُل مُنَافق يُظهرُ الإيمَانَ، مُتَصَنِّع بالإسلَام، لا يَتَأثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أن يَكذبَ عَلَى رَسُولِ اللّه ﷺ مُتَعَمِّداً. فَلَو عَلمَ النَّاسُ أنَّهُ مُنَافقٌ كَذَّابٌ،

لم يَقبَلُوا منهُ وَلَم يُصَدِّقُوهُ ولَكنَّهُم قَالُوا: هَذَا قَد صَحِبَ رَسُولَ اللَّه ﷺ وَرَآهُ وسَمِعَ منهُ؛ وأخَذُوا عَنهُ، وَهُم لا يَعرِفُونَ حَالَهُ. وَقَد أخبَرَهُ اللَّهُ عَن المُنَافقِينَ بِمَا أخبَرَهُ ووَصَفَهُم بِمَا وَصَفَهُم فَقَالَ عَزَّ وجَلَّ: ﴿وَإذا رَأيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم وَإن يَقُولُوا تَسمَع لقَولهم﴾[1] ثُمَّ بَقُوا بَعدهُ فَتَقَرَّبُوا إلَى أئمَّة الضَّلَالَة وَالدُّعَاة إلَى النَّار بالزُّور وَالكَذب وَالبُهتَان فَولَّوهُمُ الأعمَالَ وَحَمَلُوهُم عَلَى رقَاب النَّاس، وَأكَلُوا بهمُ الدُّنيَا، وَإنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوك وَالدُّنيَا إلَّا مَن عَصَمَ اللَّهُ؛ فَهَذَا أحَدُ الأربَعَة.

وَرَجُل سَمِعَ من رَسُول اللَّه ﷺ شَيئاً لَم يَحمِلهُ عَلَى وَجهه وَوَهِمَ فيه وَلَم يَتَعَمَّد كَذباً فَهُوَ فى يَده، يَقُولُ به وَيَعمَلُ به وَيَروِيه، فَيَقُولُ: أنَا سَمعتُهُ من رَسُول اللَّه ﷺ فَلَو عَلِمَ المُسلمُونَ أنَّهُ وَهَمٌ لَم يَقبَلُوهُ، وَلَو عَلِمَ هُوَ أنَّهُ وَهَمٌ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُل ثَالث سَمِعَ من رَسُول اللَّه ﷺ شَيئاً أمَرَ به ثُمَّ نَهَى عَنهُ وَهُوَ لا يَعلَمُ، أو سَمِعَهُ يَنهَى عَن شَيءٍ ثُمَّ أمَرَ به وَهُوَ لا يَعلَمُ، فَحَفِظَ مَنسُوخَهُ وَلَم يَحفَظ النَّاسخَ. وَلَو عَلِمَ أنَّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضَهُ. وَلَو عَلِمَ المُسلمُونَ إذ سَمِعُوهُ منهُ أنَّهُ مَنسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَآخَرُ رَابِع لَم يَكذب عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ مُبغِض للكَذب خَوفاً منَ اللَّه وَتَعظيماً لرَسُول اللَّه ﷺ لَم يَنسَهُ، بَل حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجهه فَجَاءَ به كَمَا سَمِعَ لَم يَزِد فيه وَلَم يَنقُص منهُ، وَعَلِمَ النَّاسخَ

---

١. المنافقون (٦٣)، الآية ٤.

مِنَ المَنسُوخِ، فَعَمِلَ بِالنَّاسِخِ وَرَفَضَ المَنسُوخَ؛ فَإِنَّ أمرَ النَّبِيِّ ﷺ مثلُ القُرآنِ نَاسِخٌ وَمَنسُوخٌ [وَخَاصٌّ وَعَامٌّ] وَمُحكَمٌ وَمُتَشابِهٌ قد كَانَ يَكُونُ من رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الكَلَامُ لَهُ وَجهَانِ: كَلَامٌ عَامٌّ وكَلَامٌ خَاصٌّ مثلُ القُرآنِ وَقَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ فِي كِتَابِهِ: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهاكُم عَنهُ فَانتَهُوا﴾[1] فَيَشتَبِهُ عَلَى مَن لَم يَعرِف وَلَم يَدرِ مَا عَنَى اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ﷺ وَلَيسَ كُلُّ أصحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَسأَلُهُ عَنِ الشَّيءِ فَيَفهَمُ وكَانَ مِنهُم مَن يَسأَلُهُ وَلَا يَستَفهِمُهُ حَتَّى إِن كَانُوا لَيُحِبُّونَ أن يَجِيءَ الأعرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَتَّى يَسمَعُوا.

وَقَد كُنتُ أدخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلَّ يَومٍ دَخلَةً وكُلَّ لَيلَةٍ دَخلَةً فَيُخلِينِي فِيهَا أدُورُ مَعَهُ حَيثُ دَارَ. وَقَد عَلِمَ أصحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أنَّهُ لَم يَصنَع ذَلِكَ بِأحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيرِي، فَرُبَّمَا كَانَ فِي بَيتِي يَأتِينِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أكثَرُ ذَلِكَ فِي بَيتِي، وكُنتُ إذَا دَخَلتُ عَلَيهِ بَعضَ مَنَازِلِه أخلَانِي وَأقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ، فَلَا يَبقَى عِندَهُ غَيرِي، وَإِذَا أتَانِي لِلخَلوَةِ مَعِي فِي مَنزِلِي لم تَقُم عَنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أحَدٌ مِن بَنِيَّ؛ وكُنتُ إذَا سَألتُهُ أجَابَنِي وَإِذَا سَكَتُّ عَنهُ وَفَنِيَت مَسَائِلِي ابتَدَأنِي، فَمَا نَزَلَت عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ آيَةٌ مِنَ القُرآنِ إلَّا أقرَأنِيهَا وَأملَاهَا عَلَيَّ فَكَتَبتُهَا بِخَطِّي وعَلَّمَنِي تَأوِيلَهَا وَتَفسِيرَهَا، وَنَاسِخَهَا وَمَنسُوخَهَا، وَمُحكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا، وَخَاصَّهَا

---

١. الحشر (٥٩)، الآية ٧.

وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أن يُعطِيَنِي فَهمَهَا وَحفظَهَا فَمَا نَسيتُ آيَةً من كتَاب اللَّه وَلَا علماً أملَاهُ عَلَيَّ وكَتَبتُهُ مُنذُ دَعَا اللَّهَ لِي بمَا دَعَا، وَمَا تَركَ شَيئاً عَلَّمَهُ اللَّهُ من حَلَال وَلَا حَرَام، وَلَا أمر وَلَا نَهي، كَانَ أو يَكُونُ، وَلَا كتَاب مُنزَل عَلَى أحَد قَبلَهُ من طَاعَة أو مَعصيَة إلَّا عَلَّمَنيه وَحَفظتُهُ، فَلَم أنسَ حَرفاً وَاحداً.

ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدري وَدَعَا اللَّهَ لِي أن يَملَأ قَلبِي علماً وَفَهماً، وَحُكماً ونُوراً. فَقُلتُ: يَا نَبِيَّ اللَّه بأبِي أنتَ وَأُمِّي مُنذُ دَعَوتَ اللَّهَ لي بمَا دَعَوتَ لَم أنسَ شَيئاً وَلَم يَفُتنِي شَيءٌ لَم أكتُبهُ أفَتَتَخَوَّفُ عَلَيَّ النِّسيَانَ فيمَا بَعدُ؟ فَقَالَ: لَا، لَستُ أتَخَوَّفُ عَلَيكَ النِّسيَانَ وَالجَهلَ.[1]

فتلخّص ممّا ذكرنا؛ أنّ مورد التفسير بالرأي المحرّم، هو الاستقلال في تفسيرالقرآن في مرتبة علومه الخاصّة لا سيّما في المقيِّدات والمخصِّصات المودعة عند النبيّ ﷺ. ولا يكفي في هذه المرتبة تفسير القرآن بالقرآن.

---

١. *الكافي*، ج١، ص٦٢، ح١؛ *بحارالأنوار*، ج٢، ص٢٢٨، ح١٣ (الباب ٢٩ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

٧

# التأويل

- التأويل في القرآن
- معنى التأويل
- حقل التأويل
- العالمون بالتأويل
- الراسخون في العلم
- الروايات المانعة عن التفسير والتأويل
- تقييم بعض النظريّات
- بعض التأويلات الباطلة

## التأويل في القرآن

قال الله تعالى:

﴿هُوَ الَّذِي أنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ منهُ آياتٌ مُحكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ فِي قُلُوبهم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ منهُ ابتِغَاءَ الفِتنَة وَابتِغَاءَ تَأويله وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوالأَلبَاب﴾.[1]

لقد صرّح الله تعالى في هذه الآية بانقسام الكتاب إلى المحكم والمتشابه، وصرّح أيضاً بأنّ الآخذين بالكتاب والمتمسّكين به بلحاظ الاعتقاد والعمل به ينقسمون على قسمين:

**القسم الأوّل**: أهل الزيغ والأهواء والانحراف الذين يبغون على سبيل الحقّ، فهم وبتصريح القرآن يتّبعون المتشابهات. ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشابَهَ مِنهُ﴾ أي: من الكتاب. ﴿ابتِغاءَ الفِتنَةِ﴾ أي: طلباً للفتنة. والفتنة، الكفر وما دونه من البِدَع

---

١. آل عمران (٣)، الآية٧.

والضلالات، فطريقة هذه الفرقة الضالّة اتّباع المتشابهات وترك المحكمات لأجل ابتغاء الفتنة وتأسيسها وإقامتها. ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾؛ هذه بغية أُخرى لهم أسوأ عاقبة وأشدّ ضرراً على الدين وأهله؛ وهي التعرّض لتأويل الكتاب محكمه وظاهره ومتشابهه، يؤوّلونه حسب ميولهم وطبقاً لآرائهم ويحرّفون الكَلِم عن مواضع الإفادة والاستفادة، ويغيّرون مناهج الإفهام والتفهيم بالمغالطات، كي تنطبق على ما يأخذونه من المتشابهات؛ فيقيمون بذلك عماد ضلالهم وزلّتهم. ولو أنّهم بعد أخذ المتشابهات لم يؤوّلوا الكتاب وتمسّكوا بمحكماته ونصوصه وظواهر الدين، لما كان ضررهم على الإسلام بهذا المقدار، ولما تمكّنوا من إغواء الضعفاء وإضلال العوامّ؛ فهذه المصيبة هي أعظم مصيبة في الدين وهي باب الضلالات التي ينفتح منها ألف باب من الضلال.

وقد بُلي القرآن الكريم بهذه البليّة العظمى، وباشتدادها صار أمر التأويل شائعاً رائجاً، جائزاً عادياً، فما بقي في القرآن أصل محكم إلّا أصابته بليّة التأويل؛ منها تأويل المعاد والجنّة والنار بالـمُثُل الخياليّة المُنشَأة بإنشاء النفس.[1] ومنها نسبة الفجور والفسوق والكفر والضلال إلى اللّـه سبحانه

---

١. قال الحكيم اللاهوتيّ في *بدايع الأسرار*، ص١٢٩:

إنّ أصحاب السعداء وأصحاب اليمين لصفاء قلوبهم وحسن أخلاقهم، يكون قرينهم في الآخرة الصور الخياليّة، من الحور والقصور والحوض والشراب الطهور وفاكهة كثيرة ولا ممنوعة. وأمّا الأشقياء فلخبث بواطنهم وكدورة ذواتهم ممّا حضرهم في القيامة النار والسموم والعقارب والحيّات التي تحصل في دار المعاد أشدّ تأثيراً وإيلاماً والتذاذاً من هذه المحسوسات.

لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *معاد از ديدگاه قرآن*، *حديث وعقل* (للشيخ حسين الربانيّ الميانجيّ).

مع هذا التوضيح بأنّ فعل المجعول والمعلول منسوب إلى الجاعل أوّلاً وبالذات، وإلى المجعول ثانياً وبالعرض.[١] ومنها تأويل الخلود.[٢] ومنها تأويل حدوث العالَم وإثبات قِدَمه.[٣] ومنها تأويل معجزات الأنبياء وغير ذلك من الأمور.

والعجب أنّهم رموا من كان معتقداً بهذه النصوص والمحكمات من الفقهاء والمتكلّمين والمحدّثين وحَمَلة الدين بالقشريّة ونسبوهم إلى الجهالة والسذاجة. وهذه النسبة خلاف الانصاف والحقّ.

مع أنّ القرآن الكريم له تأويل واحد واقعيّ مقصود لله تعالى، ولا يمكن فهمه إلّا بالرجوع إلى مجراه الصحيح. إلّا أنّ المنحرفين لم يتركوا طلب

---

١. كما قال ابن عربيّ في *الفتوحات*، ج٢، ص١٤٠:

... وفي نفس الأمر، الفعل فِعل الله والقَدَر من الله والحكم بكونها معصية وزلّة ومع هذا، فالأدب يقول له انسبها إلي نفسك.

لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *سدّ المفر على القائل بالقَدَر* (للشيخ محمّد باقر علم الهدى).

٢. كما قال ابن عربيّ في *فصوص الحكم*، ص١٦٩ في فصّ ١٨ يونسيّه:

... وأمّا أهل النار فمآلهم إلى النعيم، ولكن في النار، إذ لابدّ لصورة النار بعد انتهاء مدّة العقاب، أن تكون برداً وسلاماً على من فيها وهذا نعيمهم.

لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *معاد از ديدگاه قرآن*، *حديث و عقل*.

٣. يقول الشيخ محمّد تقيّ الآمليّ في *درر الفوائد*، ج١، ص٢٦٣:

وأمّا على طريقة صدر المتألّهين، فالعقول المفارقة خارجة عن الحكم بالحدوث، لكونها ملحقة بالصنع الربوبيّ لغلبة أحكام الوجود عليها؛ فكأنّها موجودة بوجوده تعالى لابإيجاده.

لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *السنخيّة أم الاتحاد والعينيّة أم التباين*، (للسيّد جعفر السيّدان).

التأويل الواقعيّ فحسب، بل بذلوا قصارىٰ جهدهم في التلاعُب بكتاب الله وأحكامه ومعارفه ولذلك أوّلوا ظواهر الآيات القرآنيّة بأنواع الشيطنة والمغالطات.

وقد وقع الاختلاف بين المفسّرين في مرجع الضمير في قوله تعالى: ﴿ابتِغاءَ تَأويلِهِ﴾. والظاهر من سياق الآية صدراً وذيلاً أنّ الضمير راجع إلى الكتاب لا المتشابه فقط. والشاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا﴾.

ولايخفى أنّ المراد من لفظ التأويل والظاهر منه هو المعنى المصدريّ وهذا لا ينافي ما سيأتي من أنّ جميع الكتاب ـ ظاهره ومتشابهه ـ له تأويل واقعيّ مراد للّـه سبحانه وله بطون وتخوم إلى سبعة أبطن. فإنّ ما يناسب عمل الزائغين من التأويل هو السعي لصرف الآيات عن ظواهرها بالمغالطة والشيطنة لا ابتغاء التأويل الواقعيّ المراد عند اللّـه سبحانه. وما لهم والتأويل الواقعيّ؟! فإنّهم ما قصدوه وما طلبوه. كيف؛ وبغيتهم وغاية آمالهم التلاعب بالكتاب وبما يتضمّن من المعارف والأحكام !؟

**القسم الثاني**: الراسخون المستضيئون بنور العقل، وهم العارفون، بأنّ القول بغير العلم جناية بالضرورة وأنّ تحريف الكَلِم عن مواضعه، كفر بآيات اللّـه بالبداهة؛ فسبيلهم السكوت عن ما لا يعلمون من المتشابه والقيام بما يعرفون من الدين، احتِراماً للحقّ وتشريفاً للعلم وامتثالاً للّـه جلّ شأنه، والإيمان بما يعلمون وما لا يعلمون من آيات اللّـه وسنّة نبيّه والاعتقاد بأنّ طلب العلم فريضة، يدعو إليه العقل ويهدي إليه الشرع.

## معنى التأويل

١ـ ما المراد من التأويل الذي استأثره اللّـه تعالى لنفسه وللراسخين من أوليائه؟ وهل للقرآن ـ بعد مفاد المحكمات والنصوص والظواهر وجوامع الكَلِم التي كلّم اللّـه به خلقه وتجلّى لهم في كلامه ولكنّهم لا يبصرون ـ معانٍ ومداليلُ تسمّى بالتأويل؟

لقد صرّحت محكمات الكتاب بوجود التأويل وتواترت السنّة من الرسولﷺ والأئمّة من أهل البيت الطاهرينعليهم السلام على ذلك. وقد صرّحت تلك النصوص بوجوب الإيمان بظاهر القرآن وباطنه وتنزيله وتأويله فلا يُقبل إيمان الباطنيّة بعد ما أنكروا الظاهر وكفروا به، ولا إيمان الظاهريّة بعد ما ردّوا التأويل الذي بيّن لهم الرسولﷺ وخلفاؤهعليهم السلام، بل الواجب أن يقولوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا﴾.[1] ولا فرق في التأويل بين تأويل الكتاب وتأويل المتشابه من الكتاب، من حيث الأحكام والآثار المترتّبة على حقيقته. نعم بينهما فرق من حيث التحقّق، فتأويل المحكمات والنصوص والظواهر بعد الفراغ عن كاشفيّتها وسنديّتها للمعاني المرادة منها؛ ثمّ تصل النوبة إلى المرادات التأويليّة. بخلاف المتشابه فظواهره ليست مرادة منه ولا يكون اللفظ ظاهراً في معناه التأويليّ إلّا بعد البيان. وستعرف أنّه لم يقصد من هذه المعاني التأويليّة، إفهام عامّة الخلق في عرف التخاطب وإنّهم لا يفهمون منها هذه المعاني وإنّما أفاض اللّـه تعالى علمها على خاصّة أوليائه.

والحقّ أنّ التأويل مدلول كلامي ومفهوم من الألفاظ، عنى به المتكلّم

---

١. آل عمران (٣)، الآية٧.

إفهاماً لمن خاطبه.

والفرق بينه وبين التفسير، إنّما هو في أنّ التفسير أقرب من مقاصد المتكلّم من حيث الإفهام والتفهيم. والتأويل في مرتبة متأخّرة عن التفسير وهو مآل الكلام ومرجعه النهائيّ. وقد صرّح أهل اللغة أنّ «الأوْل» هو الرجوع، ومن هذا الباب ما يقال: «آل» الأمر إلى كذا.[١] فتأويل الكلام من أفراد التأويل العامّ اللغويّ، غاية الأمر أنّ مآل كلّ شيء بحسبه وبما يناسبه ويلائمه، بخلاف التفسير فإنّه في اللغة بمعنى كشف القناع، وينطبق على الكلام الذي يوضّح ويبيّن المراد من كلام آخر، فتقييد المطلق بدليل آخر وتخصيص العامّ بالقرينة المنفصلة داخلان في باب التفسير لا التأويل.

وينبغي الالتفات إلى أنّه قد يطلق أحدهما على الآخر في بعض الموارد، لوجود مناسبة أو بعناية خاصة.

فلا يجوز الأخذ بالمطلق والعامّ، إذا كان دأب المتكلّم وسنّته الاعتماد على القيود والقرائن الخارجيّة المنفصلة عن الكلام، بل الواجب الفحص والبحث عن مواضعها ومظانّها؛ فظهور الكلام قبل الفحص عن القرائن، ظهور بدويّ لا يجوز الأخذ والتمسّك به.

## حقل التأويل

هل التأويل مختصّ بالمتشابه أو أنّه ثابت لجميع القرآن؟

الظاهر من الآية المتقدّمة أنّ التأويل ثابت لجميع القرآن، لما عرفت من

---

١. راجع: *لسان العرب*، ج١١، ص٣٢؛ *المصباح المنير*، ج٢، ص٢٩.

أنّ السياق يقتضي رجوع الضمير في ﴿تَأويله﴾ إلى الكتاب لا المتشابه؛ والشاهد عليه رجوع الضمير فيما بعد أي قوله تعالى: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا﴾[1] إلى الكتاب، هذا أوّلاً.

وثانياً: يدلّ على ذلك آيات أُخرى وروايات كثيرة نشير إليها باختصار:

## الف) الآيات

قوله تعالى:

﴿وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ عَلَى علمٍ هُدىً وَرَحمَةً لِقَومٍ يُؤمِنُونَ * هَل يَنظُرُونَ إِلَّا تَأويلَهُ يَومَ يَأتِي تَأويلُهُ...﴾؛[2]

﴿وَمَا كَانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى مِن دُونِ اللَّه... بَل كَذَّبُوا بِمَا لم يُحِيطُوا بِعلمِهِ ولَمَّا يَأتِهِم تَأويلُهُ﴾.[3]

إنّ ضمير﴿ تَأويلُهُ﴾ في الآية الأولى راجع إلى قوله: ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ﴾ وفي الثانية راجع إلى﴿مَا﴾ في قوله: ﴿بِمَا لَم يُحِيطُوا بِعلمِهِ﴾.

## ب) الروايات

ورد في *بحارالأنوار*، عن *البصائر*، عن أحمد بن محمّد مسنداً عن إسحاق بن عمّار قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول:

---

١. آل عمران (٣)، الآية٧.

٢. الأعراف (٧)، الآيتان ٥٢ ـ ٥٣.

٣. يونس (١٠)، الآيات ٣٧ ـ ٣٩.

إنَّ لِلقُرآنِ تَأويلًا فَمنهُ مَا قَد جَاءَ ومنهُ مَا لَم يَجِئ فَإذَا وَقَعَ التَّأويلُ فِي زَمَانٍ إمَامٍ مِنَ الأئمَّةِ عَرَفَهُ إمَامُ ذَلِكَ الزَّمَانِ.[١]

وفيه أيضاً، عنه، عن محمّد بن الحسين مسنداً عن فُضيل بن يسار قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن هذه الرواية «مَا مِنَ القُرآنِ آيَةٌ إلَّا وَلَهَا ظَهرٌ وَبَطنٌ» فَقَالَ:

ظَهرُهُ تَنزيلُهُ وبَطنُهُ تَأويلُهُ، منهُ مَا قَد مَضَى وَمنهُ مَا لَم يَكُن يَجري كَمَا يَجري الشَّمسُ وَالقَمَرُ؛ كُلَّمَا جَاءَ تَأويلُ شَيءٍ منهُ يَكُونُ عَلَى الأموَات، كَمَا يَكُونُ عَلَى الأحيَاء قَالَ اللَّهُ: ﴿وَمَا يَعلَمُ تَأويلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾ نَحنُ نَعلَمُه.[٢]

وفي *كمال الدين*، عن المظفّر بن جعفر مسنداً عن سليم بن قيس الهلاليّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول:

مَا نَزلَت عَلَى رَسُولِ اللَّه صلى الله عليه وآله آيَةٌ مِنَ القُرآنِ إلَّا أقرَأنيهَا وأملَاهَا عَلَيَّ، وكَتَبتُهَا بِخَطِّي، وَعَلَّمَنِي تَأويلَهَا، وَتَفسِيرَهَا وَنَاسِخَهَا وَمَنسُوخَهَا وَمُحكَمَهَا وَمُتَشَابِهَهَا... .[٣]

---

١. *بصائر الدرجات*، ص١٩٥، ح٥؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٩٧، ح٦٢ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢. *بصائر الدرجات*، ص١٩٦، ح٧؛ *بحار الأنوار*، ج٨٩، ص٩٧، ح٦٤.

٣. *كمال الدين وتمام النعمة*، ج١، ص٢٨٤، ح٣٧؛ *بحار الأنوار*، ج٣٦، ص٢٥٧، ح٧٥ (الباب ٤١ من أبواب نصوص على أمير المؤمنين عليه السلام... من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

وفي *الإحتجاج*، عن عليّ عليه السلام قال:

سَلُوني عَن كتَاب اللّه عَزَّ وجَلَّ فَوَ اللّه مَا نَزلَت آيَةٌ من كتَاب اللّه فِي لَيل وَلَا نَهَار، وَلَا مَسير وَلَا مَقَام إلَّا وَقَد أقرَأنيهَا رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله وَعَلَّمَنِي تَأويلَهَا؛ فَقَامَ إلَيه ابنُ الكَوَّاء فَقَالَ: يَا أميرَالمُؤمنينَ فَمَا كَانَ يَنزلُ عَلَيه وَأنتَ غَائبٌ عَنهُ؟ قَالَ: كَانَ [يحفظ عَلَيّ] رَسُولُ اللّه صلى الله عليه وآله مَا كَانَ يُنزَلُ عَلَيه منَ القُرآن وَأنَا غَائبٌ عَنهُ، حَتَّى أقدَمَ عَلَيه فَيُقرئُنيه وَيَقُولُ لِي يَا عَلِيُّ، أنزَلَ اللّهُ عَلَيَّ بَعدَكَ كَذَا وَكَذَا وَتَأويلُهُ كَذَا وَكَذَا فَيُعَلِّمُنِي تَنزيلَهُ وَتَأويلَهُ.[1]

وفي *تفسير القمّي*، عن أبيه مسنداً عن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر عليه السلام قال:

إنَّ رَسُولَ اللّه صلى الله عليه وآله أفضَلُ الرَّاسخينَ فِي العلم ـ قَد عَلمَ جَميعَ مَا أنزَلَ اللّهُ عَلَيه منَ التَّنزيل والتَّأويل ـ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُنزلَ عَلَيه شَيئاً، لَم يُعَلِّمهُ تَأويلَهُ وَأوصيَاؤُهُ من بَعده يَعلَمُونَهُ كُلَّه... .[2]

وفي *تفسير العيّاشيّ*، عن أبي عبدالرحمن السلميّ:

إنَّ عَلِيّاً عليه السلام مَرَّ عَلَى قَاض، فَقَالَ: هَل تَعرفُ النَّاسخَ منَ المَنسُوخ؟ فَقَالَ: لا. فَقَالَ: هَلَكتَ وَأهلَكتَ، تَأويلُ كُلِّ حَرف منَ

---

١. *الإحتجاج*، ج١، ص٢٦١؛ *بحارالأنوار*، ج١٠، ص١٢٥، ح٤ (الباب الثامن من أبواب احتجاجات امير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإحتجاج).

٢. *تفسير القمّي*، ج١، ص٩٦؛ *بحارالأنوار*، ج٢٣، ص١٩٢، ح١٥ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامة).

القُرآنِ عَلَى وُجُوه.[١]

وفيه، عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه عليهم السلام قال: قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

إنَّ فِيكُم مَن يُقَاتِلُ عَلَى تَأويلِ القُرآنِ، كَمَا قَاتَلتُ عَلَى تَنزِيلِه وَهُوَ عَلِيُّ بنِ أبِي طَالب عليه السلام.[٢]

وفيه، عن يوسف بن السخت البصريّ قال: رأيت التوقيع بخط محمّد بن محمّد بن عليّ فكان فيه:

الَّذي يَجبُ عَلَيكُم ولَكُم أن تَقُولُوا: إنَّا قُدوَةُ الله وأئمَّته وخُلَفَاءُ اللَّه فِي أرضه، وأُمَنَاؤُهُ عُلَى خَلقه، وَحُجَجُهُ فِي بِلَادِه؛ نَعرِفُ الحَلَالَ وَالحَرَامَ وَنَعرِفُ تَأويلَ الكِتَابِ وفَصلَ الخِطَاب.[٣]

وفيه، عن أبي الصباح قال: قال أبوعبد اللّه عليه السلام:

إنَّ اللَّهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله التَّنزِيلَ وَالتَّأوِيلَ، فَعَلَّمَهُ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام.[٤]

---

١. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٢، ح٩؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص٩٥، ح٤٩ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

٢. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٢، ح٦؛ *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص٢٠٤، ح٧٥ [٣٣٦٠٦] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي من كتاب القضاء).

٣. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٦، ح١٠؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص٩٦، ح٥٨ (الباب الثامن من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن) وفيه: «إنّا قدوة و الأئمّة».

٤. *تفسير العيّاشيّ*، ج١، ص١٧، ح١٣؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص٩٧، ح٦١.

فالمتحصّل من جميع هذه الروايات الشريفة وغيرها من الروايات أنّ القرآن كلّه؛ محكمه ومتشابهه له تأويل. ولا مانع من إرجاع الضمير في قوله تعالى: ﴿ابتِغاءَ تَأويلِهِ﴾ و﴿وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ﴾[1] إلى الكتاب كلّه لا المتشابه فقط.

## العالمون بالتأويل

إنّ القرآن الكريم يذكرالمؤمنين والمنحرفين وكيفيّة تعاملهم مع الآيات المحكمة والمتشابهة ويوبّخ المنحرفين لاتّباعهم الآيات المتشابهة ويؤكّد على أنّ علم التأويل مختصّ بالله والراسخين في العلم.

يقول الله تبارك تعالى: ﴿وَمَايَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلَّا اللَّـهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الألبابِ﴾.[2]

يظهر بعد التأمّل أنّ الآية الكريمة، ليست في مقام إثبات علم التأويل للّه تعالى فقط، بل إنّها في مقام بيان نفي الاستقلال والتفويض عن العالمين بالتأويل؛ أي كما أنّ الله سبحانه وتعالى هو السبب الأصليّ في الأفعال الواقعة منه في نظام الأسباب والمسبّبات؛ ولم يفوّض الأمور إلى الأسباب، كذلك يجب أن يكون العالِم بالتأويل مأذوناً من الله سبحانه؛ وعليه لا فرق في كون «الواو» في قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾ للعطف أو الاستئناف. فالعلم بالتأويل من خصائص الرسول وأهل بيته عليهم السلام؛ وغيرهم وإن كان عالماً وراسخاً في القرآن، لا يكون عالماً وراسخاً في علم التأويل،

---

١. آل عمران (٣)، الآية ٧.

٢. آل عمران (٣)، الآية ٧.

ولذلك لا يمكن أن يعرف العلماء التأويل إلّا بالرجوع إليهم عليهم السلام.

وقد فُسّر ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾ في كثير من الروايات بالنبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام وفيها تحذير ومنع من تأويل القرآن بالرأي.

بيان ذلك: إنّه لابدّ من نفي الاستقلاليّة عن الأسباب في الأفعال التي تصدر عن الله ـ ما عدا أفعال العباد الاختياريّة ـ في نظام الأسباب والمسبّبات. فمدبّرات الأمور الموكّلة لإجراء أمره تعالى وإنفاذ حكمه، أسباب لابدّ من تأثيرها في المسبَّبات بإذنه. فعلى سبيل المثال إنّ الموكَّلين لقبض الأرواح وتوفّي النفوس، مأمورون بإنفاذ أمره تعالى ولا استقلال لهم في ذلك ولا تفويض فيصحّ أن يقال: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها﴾[1] وكذا يصحّ أن يقال: ﴿قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُم﴾[2]، وعليه يصحّ أن يقال: لا قابض إلّا اللّه. ويصحّ أيضاً أن يقال: إنّ قابض الأرواح هو عزرائيل عليه السلام؛ وهكذا في غيره من أفعاله سبحانه الواقعة في نظام الأسباب. فمعنى الحصر في هذه الموارد ليس إلّا إثبات التوحيد وإبطال توهّم الاستقلال والتفويض لا نفي الأسباب بالكليّة. ومن هذا الباب، باب الرزق والشفاء والعافية. فلو كان أحد هذه الأسباب أو شرائطها تحت الاختيار فلا محالة يكون متعلّقاً للتكليف، فيجب أو يستحبّ على المكلّف تنظيم الأسباب المقدورة لكسب الرزق مثلاً.

---

١. الزمر (٣٩)، الآية ٤٢.

٢. السجدة (٣٢)، الآية ١١.

إذا تقرّر ذلك فنقول: لا فرق في المقام بين كون «الواو» للعطف أو للاستئناف، فإن كان للعطف يكون المعنى: إنّ اللّـه تعالى والراسخين في العلم يعلمون تأويل الكتاب، لا عامّة المخاطبين. وإن كان للاستئناف يكون المعنى: إنّ اللّـه تعالى يعلم تأويل الكتاب استقلالاً؛ وأمّا غيره تعالى، فلابدّ في إثبات علم التأويل له من دليل منفصل ولا يكون إلّا في الراسخين في العلم.

وبما أنّ العلم بتأويل الكتاب، خارج عن حدود التعاليم العاديّة الأوّليّة لكلّ أحد ولا يعلمه إلّا الراسخون في العلم، فإنّ الناس غير مسؤولين عن تعلّم التأويل، خلافا إلى أنّ جميع من خاطبهم القرآن ـ من الإنس والجنّ ـ مسؤولون عن القرآن من حيث الإيمان به والاتّقاء من الله وبما عرفوا وعلموا من دعوته وندائه العام إلى شرق العالَم وغربه.

فهذه الآية الكريمة نصّ في أنّ التأويل لم يكلّف به كلّ واحد مباشرة. وهي صريحة في أنّ التأويل لا يطلق على مداليل المحكمات والظواهر والنصوص إلّا بضرب من العناية والتجوّز.

ولايهمّنا البحث في أنّ علم الرسولﷺ الذي هو أفضل الراسخين في العلم بالتأويل، يكون من مجرى هذه الكلمات والحروف أو أنّ له طريق آخر غير الألفاظ والحروف؟

لأنّه بديهيّ أنّ الكلمات والألفاظ ليست طريقاً متعارفاً للتأويل، إذ لو كان كذلك لكان يناله الكلّ ولما كان للاستثناء وجه، فتعيّن أنّ الراسخين من أهل بيتهﷺ أخذوا علم التأويل عنهﷺ ولا يمكن هذا الرسوخ في العلم لهم من تلقاء أنفسهم.

إن قيل: ما المانع من القول بأنّ الراسخين في العلم يعلمون تأويل القرآن أو آياته المتشابهة بالتدبّر والتفكّر، كما أنّهم يعلمون تنزيل الكتاب كذلك؟

قلت: قام الدليل على حجّيّة كلام الله لمدلوله، سواء كان نصّاً أو ظاهراً، أفاد اليقين أو الاطمئنان؛ فصار حجّة وسنداً بين اللّـه وبين عباده في العمل بالكتاب، وأمّا الوصول إلى تأويل الكتاب، فلا دليل على التديّن به بالحجج العقلائيّة من ظواهر الألفاظ وأمثالها؛ فتبيّن أنّ من ادّعى الرسوخ في العلم وادّعى العلم بتأويل القرآن لا يُصغىٰ إليه أصلاً إلّا إذا تعلّمه من الرسولﷺ، وهذا قطعيّ في باب الأحكام وأمّا في غير باب الأحكام فكذلك أيضاً.

وكيف كان فطريق العلم بتأويل الكتاب لا يكون إلّا بالتعلّم من رسول اللّـهﷺ وأهل بيته المعصومينعليهم السلام الراسخين في العلم. فعِلمُ التأويل مختصّ باللّـه تعالى وبرسولهﷺ ومن تعلّم منه تعليماً وافياً جامعاً، لجميع جوانب علوم القرآن وشُعَبه ومراميه لا من سمع منهﷺ شيئاً وغابت عنه أشياء.

## الراسخون فى العلم

واضح أنّ الراسخين الذين يعلمون التأويل كلّه ـ بناءً على العطف أو بحسب الأدلّة المنفصلة الأُخرى ـ هم بعض العلماء خاصّة، لا كلّ من له رسوخ في علم التفسير؛ إذ الراسخ في تفسير القرآن في مرحلة الدعوة العامّة غير الراسخ في علم التأويل، سواء قلنا بصحّة إطلاق التأويل على التفسير أم لا؛ فإنّ هذا القسم من علم القرآن الذي استأثر اللّـه بعلمه دون جميع

خلقه، غير الذي أفاضه على الناس برّهم وفاجرهم.

والظاهر أنّ مرتبة تأويل المتشابه نفس مرتبة تأويل الكتاب والمرجع في تعلّم تأويل الكتاب هو نفس المرجع في تعلّم تأويل الآيات المتشابهة، لا أن يكون المرجع مفاد المحكمات والظواهر والنصوص. وهذا المرجَع هو رسول اللّـهﷺ الذي هو أفضل الراسخين، وما كان اللّـه لينزل عليه شيئاً لم يعلّمه تأويله، وقد توارث أوصياؤهعليهم السلام ذلك منه. فلابدّ للناس من التعلّم والأخذ من رسول اللّـهﷺ وأوصيائه الحَفَظَةَ، وإنّ مكانة علم التأويل بعينها مكانة علم الأحكام فيكون طريق تعلّمهما بالتعبّد فقط.

وممّا ينبغي الالتفات إليه أنّ تعاليم الرسولﷺ العامّة للناس ليست على حدّ يشفي الغليل ويغني الفقير. نعم لقد تعلّم بعض الصحابة منه شيئاً أو أشياء ولكن غاب عنه آلاف أُلوف. وليس فيهم من يقدر على استنباط علوم القرآن حلاله وحرامه وأحكامه والجمع بين عناوينه الأوليّة والثانويّة في جميع الأزمان والأيّام إلى يوم القيامة. وليس فيهم من يتفوّه في إلهيّات القرآن والمعارف الربوبيّة والمعاد. ولا يخفى على أهل الانصاف، موقع علماء التفسير من الصحابة والتابعين وعلماء الفقه، وميزان أفكارهم ومعارفهم؛ فكأنّهم لمْيُنزَل القرآن على ساحتهم! ولم يكن رسول اللّـهﷺ بين أظهرهم! فمن ادّعى من الناس أنّه تعلّم جميع جوانب القرآن وعلومه وتنزيله وتأويله وظهره وبطنه وأحكامه ومعارفه منهﷺ، إنّما هو مفتر كاذب؛ إلّا أوصياؤهﷺ فإنّهم يتوارثونه كابر عن كابر، وصادق عن صادق وعندهم معاقل العلم وأصوله وموادّه.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

نَحنُ الرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ، ونَحنُ نَعلَمُ تَأوِيلَهُ.[١]

وقال الإمام عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَمَايَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ﴾:

فَرَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله أفضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلمِ، قَد عَلَّمَهُ اللَّهُ جَمِيعَ مَا أنزَلَهُ عَلَيه مِنَ التَّنزِيلِ وَالتَّأوِيلِ. وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُنزِلَ عَلَيه شَيئاً، لَم يُعَلِّمهُ تَأوِيلَهُ، وَأوصِيَاؤُهُ مِن بَعدِه يَعلَمُونَهُ كُلَّهُ وَالَّذِينَ لَا يَعلَمُونَ تَأوِيلَهُ، إذَا قَالَ العَالِمُ فيه بِعلمٍ فَأجَابَهُمُ اللَّهُ بِقَولِه: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِه كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا﴾ وَالقُرآنُ لَهُ خَاصٌّ وَعَامٌّ وَمُحكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ وَنَاسِخٌ وَمَنسُوخٌ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَعلَمُونَهُ.[٢]

وورد في توقيع عن الإمام المهدي عجل الله فرجه:

الَّذي يَجِبُ عَلَيكُم وَلَكُم أن تَقُولُوا: إنَّا قُدوَةُ الله وَأئِمَّةٌ وَخُلَفَاءُ اللَّه فِي أرضِه وَأُمَنَاؤُهُ عُلَى خَلقِه وَحُجَجُهُ فِي بِلَادِه نَعرِفُ الحَلَالَ وَالحَرَامَ وَنَعرِفُ تَأوِيلَ الكِتَابِ وَفَصلَ الخِطَابِ.[٣]

---

١. *الكافي*، ج١، ص٢١٣، ح١٠؛ *بحارالأنوار*، ج٢٣، ص١٩٩، ح٣٢ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامة).

٢. *بصائر الدرجات*، ص٢٠٣، ح٤؛ *بحارالأنوار*، ج٢٣، ص١٩٩، ح٣٣ (الباب العاشر من أبواب الآيات النازلة فيهم... من كتاب الإمامة).

٣. *تفسير العيّاشيّ*، ج ١، ص ١٦، ح١٠؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص٩٦، ح٥٨ (الباب الثامن من أبواب فضله و أحكامه و إعجازه... من كتاب القرآن) وفيه: «إنّا قدوة والأئمّة».

## الروايات المانعة عن التفسير والتأويل

ورد في *العيون*، عن عليّ بن الحسين مسنداً عن الريّان بن الصلت قال: حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرو، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق وخراسان. فقال المأمون: أخبروني عن معنى هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَورَثْنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصطَفَينا مِن عِبادِنا﴾؟[1] فقالت العلماء: أراد الله عزّ وجلّ بذلك الأمّة كلّها. فقال المأمون: ما تقول يا أبا الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام:

لا أقُولُ كَمَا قَالُوا، ولَكنِّي أقُولُ: أرَادَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ بذَلكَ العترَةَ الطَّاهرَةَ. فَقَالَ المَأمُونُ: وكَيفَ عَنَى العترَةَ من دُون الأُمَّة؟ فَقَالَ لَهُ الرِّضَا عليه السلام: إنَّهُ لَو أرَادَ الأُمَّةَ، لَكَانَت أجمَعُهَا فِي الجَنَّة لقَول اللَّه عَزَّ وجَلَ: ﴿فَمنهُم ظَالمٌ لنَفسه ومنهُم مُقتَصدٌ ومنهُم سَابقٌ بالخَيرَات بإذن اللَّه ذَلكَ هُوَ الفَضلُ الكَبيرُ﴾،[2] ثُمَّ جَمَعَهُم كُلَّهُم فِي الجَنَّة؛ فَقَالَ عَزَّ وجَلَ: ﴿جَنَّاتُ عَدن يَدخُلُونَها يُحَلَّونَ فيهَا من أسَاورَ من ذَهَب﴾[3] الآيَة، فَصَارَت الورَاثَةُ للعترَة الطَّاهرَة لَا لغَيرهم. فَقَالَ المَأمُونُ: مَن العترَةُ الطَّاهرَةُ؟ فَقَالَ الرِّضَا عليه السلام: الَّذينَ وَصَفَهُمُ اللَّهُ فِي كتَابه؛ فَقَالَ عَزَّ وجَلَ: ﴿إنَّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذهبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيت ويُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾،[4] وهُمُ الَّذينَ قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله: إنِّي

---

١. فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.
٢. فاطر (٣٥)، الآية ٣٢.
٣. فاطر (٣٥)، الآية ٣٣.
٤. الأحزاب (٣٣)، الآية ٣٣.

مُخَلِّفٌ فيكُمُ الثَّقَلَين كتابَ اللّه وعترَتِي أهلَ بَيتِي. ألَا وَإنَّهُمَا لَن يَفترِقَا حَتَّى يَردَا عَلَيَّ الحَوضَ فَانظُرُوا كَيفَ تَخلُفُونِّي فِيهِمَا، أيُّهَا النَّاسُ لَا تُعَلِّمُوهُم فَإنَّهُم أعلَمُ منكُم... .[١]

في الرواية الشريفة تصريح بأنَّ هذا الاختصاصَ والوراثةَ للكتاب لهم عليهم السلام، وهو راجعٌ إلى العلوم المتناسبة لمقام الإمامة والخلافة. وبالحقيقة إنّه تحدٌّ منهم عليهم السلام لخلافتهم. وهو برهان لرسالة جدّهم الأعظم بالأصالة، وكذلك برهان نيّر على خلافتهم له بالوراثة. والاستدلال بالآية إنّما هو لإثبات هذا المقام الشامخ لأنفسهم واختصاصهم بمقام تحمّل العلوم الإلهيّة من الكتاب الكريم. والكتاب في مرحلة الدعوة العامّة، نصّ وحجّة لخلافتهم ووراثتهم، وهم القيّمون على الكتاب والمعلّمون لعلومه التفصيليّة التي تقصر عن نيلها ودركها عقول الرجال من مفصّلات المعارف الربوبيّة واليوم الآخر، وتفاصيل الأحكام.

وفي *روضة الكافي*، عن العدّة مسنداً عن زيد الشحّام قال:

دَخَلَ قَتَادَةُ بنُ دِعَامَةَ عَلَى أبِي جَعفَرٍ عليه السلام، فَقَالَ: يَا قَتَادَةُ أنتَ فَقِيهُ أهلِ البَصرَةِ؟

فَقَالَ :هَكَذَا يَزعُمُونَ.

فَقَالَ أبُوجَعفَرٍ عليه السلام: بَلَغَنِي أنَّكَ تُفَسِّرُ القُرآنَ؟

فَقَالَ لَهُ قَتَادَةُ: نَعَم.

---

١. *عيون أخبار الرضا* عليه السلام، ج١، ص٢٢٩ ح ١؛ *بحار الأنوار*، ج٢٥، ص٢٢٠، ح٢٠ (الباب السابع من أبواب علامات الإمام وصفاته من كتاب الإمامة).

فَقَالَ لَهُ أَبُوجَعفَر عليه السلام: بِعلمٍ تُفَسِّرُهُ أم بِجَهلٍ؟

قَالَ: لَا، بِعلمٍ.

فَقَالَ لَهُ أَبُوجَعفَر عليه السلام: فَإن كُنتَ تُفَسِّرُهُ بِعلمٍ، فَأنتَ أنتَ وأنَا أسألُكَ... وَيحَكَ يَا قَتَادَةُ! إن كُنتَ إنَّمَا فَسَّرتَ القُرآنَ من تلقَاءِ نَفسكَ، فَقَد هَلَكتَ وأهلَكتَ، وإن كُنتَ قَد أخَذتَهُ منَ الرِّجَال، فَقَد هَلَكتَ وأهلَكتَ... وَيحَكَ يَا قَتَادَةُ، إنَّمَا يَعرِفُ القُرآنَ مَن خُوطِبَ بِهِ.[1]

إنّ إنكاره عليه السلام على قتادة في تفسيره القرآن بأنّه هالك ومهلك لغيره، إنّما هو لأجل تعرّضه لما يختصّ به الرسول وأوصيائه عليهم السلام أي؛ معرفة القرآن كلّه بجميع مراتبه. ويشهد على ذلك قوله عليه السلام في ذيل الحديث: «إنَّمَا يَعرِفُ القُرآنَ مَن خُوطِبَ بِهِ». ويشهد عليه أيضاً كلمة التفسير، فإنّ معرفة القرآن في مرتبة الدعوة العامّة ليس تفسيراً وليس فيه كشف القناع؛ بل هو خطاب يحتاج إلى التدبّر والتعقّل والتبصّر والتفهّم. وأنّه يوجد دون مرتبة العلوم الخاصّة ـ للمخاطبين بالقرآن ـ في مرتبة الدعوة العامّة علوم وأنوار بحسب مراتب الأشخاص في الفهم والإيمان والتقوى والطهارة. قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَديث كتاباً مُتَشابهاً مَثانيَ تَقشَعِرُّ منهُ جُلُودُ الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم ثُمَّ تَلينُ جُلُودُهُم وقُلُوبُهُم إلى ذكرِ اللَّهِ ذلكَ هُدَى اللَّهِ يَهدي بِهِ مَن يَشاء...﴾.[2]

---

١. *الكافي*، ج٨، ص٣١١، ح٤٨٥؛ *بحارالأنوار*، ج٢٤، ص٢٣٧، ح٦ (الباب ٥٩ من أبواب الآيات النازلة فيهم من كتاب الإمامة).

٢. الزمر (٣٩)، الآية ٢٣.

وفي *العلل*، عن أبيه ومحمّد بن الحسن مسنداً عن أبي زهير بن شبيب بن أنس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام... فقال(لأبي حنيفة):

أنتَ فَقيهُ أهلِ العِراق؟ قَالَ: نَعَم، قَالَ: فَبِمَا تُفتيهم؟ قَالَ: بِكِتَابِ اللَّه وسُنَّة نَبيِّه صلى الله عليه وآله. قَالَ: يَا أَبَا حَنيفَةَ تَعرِفُ كِتَابَ اللَّه حَقَّ مَعرِفته، وتَعرِفُ النَّاسخَ والمَنسُوخَ؟ قَالَ: نَعَم قَالَ: يَا أَبَا حَنيفَةَ لَقَد ادَّعَيتَ علماً، وَيلَكَ مَا جَعَلَ اللَّهُ ذَلكَ إلَّا عندَ أهلِ الكِتَاب الَّذينَ أُنزلَ عَلَيهم، وَيلَكَ ولَا هُوَ إلَّا عندَ الخَاصِّ من ذُرِّيَّة نَبيِّنَا صلى الله عليه وآله مَا وَرَّثَكَ اللَّهُ من كِتَابه حَرفاً... .[1]

ظاهر أنّ هذا الإنكار الشديد على أبي حنيفة، إنّما هو لأجل تصدّيه لِمقام الإفتاء واستقلاله في الاستنباط واستغنائه في علوم القرآن والأحكام والمعارف عنهم عليهم السلام. والانصاف أنّ استنباط الأحكام من القرآن وما في هذه المرتبة من علومه وحقائقه استقلالاً من دون الرجوع إلى تفسير الأئمّة عليهم السلام، خبط واضح وحرام بيّن.

وفي *الوسائل*، عن *المحاسن*، عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ثعلبة بن ميمون، عمّن حدّثه، عن المعلّى بن خنيس قال: قال أبوعبد اللّه عليه السلام في رسالة:

---

١. *علل الشرائع*، ج١، ص٩٠، ح٥ (الباب ٨١)؛ *بحار الأنوار*، ج٢، ص٢٩٣، ح١٢ (الباب ٣٤ من أبواب العلم من كتاب العقل والعلم والجهل).

فَأَمَّا مَا سَأَلتَ عَنِ القُرآنِ، فَذَلِكَ أيضاً من خَطَرَاتِكَ المُتَفَاوِتَةِ المُختَلِفَةِ لِأَنَّ القُرآنَ لَيسَ عَلَى مَا ذَكَرتَ، وكُلُّ مَا سَمِعتَ فَمَعنَاهُ عَلَى غَيرِ مَا ذَهَبتَ إلَيه. وإنَّمَا القُرآنُ أمثَالٌ لقَومٍ يَعلَمُونَ دُونَ غَيرِهم، ولقَومٍ يَتلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِه؛ وهُمُ الَّذِينَ يُؤمِنُونَ بِه ويَعرِفُونَهُ. وأمَّا غَيرُهُم فَمَا أشَدَّ إشكَالَهُ عَلَيهِم وأبعَدَهُ من مَذَاهِبِ قُلُوبِهِم، ولذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: إنَّهُ لَيسَ شَيءٌ أبعَدَ من قُلُوبِ الرِّجَالِ من تَفسِيرِ القُرآن. وَفِي ذَلِكَ تَحَيَّرَ الخَلَائِقُ أجمَعُونَ إلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ. وإنَّمَا أرَادَ اللَّهُ بتَعمِيَتِه فِي ذَلِكَ أن يَنتَهُوا إلَى بَابِه وَصِرَاطِه، وَأن يَعبُدُوهُ ويَنتَهُوا فِي قَولِه إلَى طَاعَةِ القُوَّامِ بِكِتَابِه، وَالنَّاطِقِينَ عَن أمرِه، وَأن يَستَنبِطُوا مَا احتَاجُوا إلَيه من ذَلِكَ عَنهُم لَا عَن أنفُسِهِم.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَو رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وإلَى أُولِي الأمرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ مِنهُم﴾[1] فَأمَّا غَيرُهُم فَلَيسَ يَعلَمُ ذَلِكَ أبَداً وَلَا يُوجَدُ. وقَد عَلِمتَ أنَّهُ لا يَستَقِيمُ أن يَكُونَ الخَلقُ كُلُّهُم وُلَاةَ الأمرِ، لِأَنَّهُم لَا يَجِدُونَ مَن يَأتَمِرُونَ عَلَيه ومَن يُبَلِّغُونَهُ أمرَ اللَّه ونَهيَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ الوُلَاةَ خَوَاصَّ لِيُقتَدَى بِهِم، فَافهَم ذَلِكَ إن شَاءَ اللَّهُ. وإيَّاكَ وإيَّاكَ وتِلَاوَةَ القُرآنِ برَأيِكَ. فَإنَّ النَّاسَ غَيرُ مُشتَرِكِينَ فِي عِلمِه كَاشتِرَاكِهِم فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الأُمُورِ، وَلَا قَادِرِينَ عَلَى تَأوِيلِه إلَّا مِن

---

١. النساء (٤)، الآية ٨٣.

حَدٌّ وبَابه الَّذي جَعَلَهُ اللَّهُ لَهُ ـ فَافهَم إن شَاءَ اللَّهُ. وَاطلُب الأمرَ من مَكَانه تَجدهُ ـ إن شَاءَ اللَّهُ.[١]

احتجّ عليه السلام في هذا الحديث بأنّه لا يمكن أن يكون المعنى من «الردّ إلى الرسول والولاة» الذين أمر الله بالردّ إليهم؛ أن يكون عامّاً. فلو كان الناس ولاة ومراجع لأنفسهم في استنباط العلوم لا يكون معنى لكونهم عليهم السلام قرناء لمرجعيّة الرسول صلى الله عليه وآله واستنباطه. ومعلوم أنّ الناس عامّةً لا يقدرون على هذا الاستنباط. بداهة أنّ طريق العلم بهذه المعاني والتفسير والتأويل، ليس طريق دلالة الألفاظ المتعارف ليدلّ عليها الكلام دلالة مطابقيّة أو تضمّنيّة أو التزاميّة، كي تكون الحجّة بين المفسِّر وبين اللّه تعالى هي ظهور الكلام أو نصّه. فإنّ منها ما لا يُعلم إلّا من الوحي، مثل تفاصيل الأحكام؛ وما هو من الغيوب مثل الحقائق الخارجة عن الشهود كتفاصيل عالم الآخرة وتفاصيل القضاء والقدر، والمشيئة والإرادة، والبدء والختم، وحقيقة العرش والكرسيّ، والحُجُب واللوح والقلم، وحروف القرآن المقطّعة، وكيفيّة إيجاد العوالم وموادّها وأنوارها وساكنيها من الإنس والجنّ، والملائكة والكرّوبيّين والروحانيّين إلى ما لا يحُصيها إلّا اللّه تعالى. ومن أخذها وفسّرها برأيه ونسب ذلك إلى القرآن فقد كذب وافترى على اللّه.

---

١. *وسائل الشيعة*، ج٢٧، ص١٩٠، ح٣٨ [٣٣٥٦٩] (الباب ١٣ من أبواب صفات القاضي... من كتاب القضاء)؛ *المحاسن*، ج١، ص٢٦٨، ح٣٥٦؛ وورد في بعض الأحاديث كما في *المحاسن*، ج٢، ص٣٠٠، ح٥: (لَيسَ شَيءٌ أبعَدَ مِن عُقُولِ الرِّجَالِ مِنَ القُرآن).

وفي *الإحتجاج*، مسنداً عن علقمة بن محمّد الحضرمي، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث قال:

مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا القُرآنَ وَافهَمُوا آيَاتِه، وَانظُرُوا إِلَى مُحكَمَاتِه وَلَا تَتَّبِعُوا مُتَشَابِهَهُ، فَوَ اللَّه لَن يُبَيِّنَ لَكُم زَوَاجِرَهُ وَلَا يُوَضِّحُ لَكُم تَفسِيرَهُ إِلَّا الَّذِي أَنَا آخِذٌ بِيَدِه وَمُصعِدُهُ إِلَيَّ وَشَائِلٌ بِعَضُدِه.[1]

إنّ في هذه الخطبة المباركة تصريح بالتمسّك بالقرآن بكلا الوجهين، حيث صرّح صلى الله عليه وآله في مقام مخاطبة الكلّ: «تَدَبَّرُوا القُرآنَ وافهَمُوا آيَاتِه» وصرّح أيضاً في مقام تفسير علومه الخاصّة بقوله: « فَوَاللَّه لَن يُبَيِّنَ لَكُم زَوَاجِرَهُ...».

وفي *بحارالأنوار*، عن أبي عبدالله محمّد بن إبراهيم بن جعفرالنعمانيّ في كتابه تفسير القرآن مسنداً عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام يقول:

إنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، فَختَمَ بِه الأنبِيَاءَ فَلَا نَبِيَّ بَعدَهُ وَأنزَلَ عَلَيه كِتَاباً، فَختَمَ بِه الكُتُبَ فَلَا كِتَابَ بَعدَهُ، أحَلَّ فيه حَلَالاً وَحَرَّمَ حَرَاماً فَحَلَالُهُ حَلَالٌ إِلَى يَومِ القِيَامَة وَحَرَامُهُ حَرَامٌ إِلَى يَومِ القِيَامَة فيه شَرعُكُم وَخَبَرُ مَن قَبلَكُم وَبَعدَكُم. وَجَعَلَهُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله عَلَماً بَاقِياً فِي أوصِيَائِه، فَتَرَكَهُمُ النَّاسُ وهُمُ الشُّهَدَاءُ عَلَى

---

١. *الإحتجاج*، ج١، ص٦٠؛ *بحارالأنوار*، ج٣٧، ص٢٠٩، ح٨٦ (الباب ٥٢ من أبواب النصوص الدالّة على الخصوص من كتاب تاريخ أمير المؤمنين عليه السلام).

أهل كُلِّ زَمَانٍ وَعَدَلُوا عَنهُم، ثُمَّ قَتَلُوهُم وَاتَّبَعُوا غَيرَهُم، ثُمَّ أخلَصوا لَهُم الطَّاعَةَ، حَتَّى عَانَدُوا مَن أظهَرَ وِلَايَةَ وُلَاةِ الأمرِ وطَلَبَ عُلُومَهُم قَالَ اللهُ سُبحَانَهُ: ﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنهُم﴾[1] وذَلِكَ أَنَّهُم ضَرَبُوا بَعضَ القُرآنِ بِبَعضٍ واحتَجُّوا بِالمَنسُوخِ وهُم يَظُنُّونَ أَنَّهُ النَّاسِخُ واحتَجُّوا بِالمُتَشَابِهِ وَهُم يَرَونَ أَنَّهُ المُحكَمُ وَاحتَجُّوا بِالخَاصِّ وهُم يُقَدِّرُونَ أَنَّهُ العَامُّ وَاحتَجُّوا بِأَوَّلِ الآيَةِ وَتَرَكُوا السَّبَبَ فِي تَأوِيلِهَا وَلَم يَنظُرُوا إِلَى مَا يَفتَحُ الكَلَامَ وَإِلَى مَا يَختِمُهُ وَلَم يَعرِفُوا مَوَارِدَهُ وَمَصَادِرَهُ، إذ لَم يَأخُذُوهُ عَن أهلِهِ فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

وَاعلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ، أَنَّهُ مَن لَم‌يَعرِف مِن كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ النَّاسِخَ مِنَ المَنسُوخِ وَالخَاصَّ مِنَ العَامِّ وَالمُحكَمَ مِنَ المُتَشَابِهِ وَالرُّخَصَ مِنَ العَزَائِمِ وَالمَكِّيَّ وَالمَدَنِيَّ وَأَسبَابَ التَّنزِيلِ وَالمُبهَمَ مِنَ القرآنِ فِي أَلفَاظِهِ المُنقَطِعَةِ وَالمُؤَلَّفَةِ وَمَا فيه مِن عِلمِ القَضَاءِ وَالقَدرِ وَالتَّقدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالمُبَيَّنِ وَالعَمِيقِ وَالظَّاهِرِ وَالبَاطِنِ وَالابتِدَاءِ وَالانتِهَاءِ وَالسُّؤَالِ وَالجَوَابِ وَالقَطعِ وَالوَصلِ وَالمُستَثنَى مِنهُ وَالجَارِي فيه وَالصِّفَةِ لِمَا قَبلُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَا بَعد وَالمُؤَكَّد مِنهُ وَالمُفَصَّلِ، وَعَزَائِمِهِ وَرُخَصِهِ، وَمَوَاضِعِ فَرَائِضِهِ وَأَحكَامِهِ وَمَعنَى حَلَالِهِ وَحَرَامِهِ الَّذِي هَلَكَ فيه المُلحِدُونَ، والمَوصُولِ مِنَ الأَلفَاظِ

---

١. المائدة (٥)، الآية ١٣.

وَالمَحمُولِ عَلى مَا قَبلَهُ وَعَلىٰ مَا بَعدهُ، فَلَيسَ بِعَالِمٍ بِالقُرآنِ وَلَا هُوَ مِن أهلِه... .[١]

الرواية الشريفة في مقام الشكوىٰ والتظلُّم والإنكار من الأئمّةعليهم السلام على من تكلّف مقام تفسير القرآن. وفيها إشعار بأنّ معنى ضرب القرآن بعضه ببعض إنّما هو لجهلهم بطور الاستنباط، إذ المخصّصات والمقيّدات وسائر القرائن التي لابدّ من وجودها في التفسير والاستنباط، بيّنها الرسولصلى الله عليه وآله وأودعها عند أهله. وفيها تصريح بأنّ التصدي لتفسير القرآن مع عدم معرفة الناسخ والمنسوخ، والعامّ والخاصّ، والمحكم والمتشابه، ضلال وإضلال. وفيها تصريح أيضاً أنّ الضلال والإضلال من حيث إنّهم لم يأخذوا تفسير القرآن من أهله. وأنّ هذا الضلال والإضلال إنّما هو في استنباط الحلال والحرام وتشخيص الفرائض من الرخص وبيان معنى القضاء والقدر الذي هو من أغمض المسائل في العلوم الإلهيّة ولم يخرج ممّن ورد فيها سالماً إلّا الفقهاء المستضيؤون بعلوم آل الرسولصلى الله عليه وآله، الذين لم يخلطوا بعلومهمعليهم السلام شيئاً عن سواهم.

و يظهر من قولهعليه السلام: «وَعَزَائِمه وَرُخَصه، وَمَواضِعِ فَرَائِضه وَأحكامه وَمَعنىٰ حَلَاله وَحَرَامه الَّذي هَلَكَ فيه المُلحِدُونَ»؛ أنّ هلاكهم وإلحادهم إنّما هو

---

١. *بحارالأنوار*، ج٩٠، ص٣ (الباب ١٢٨ من أبواب فضائل سور القرآن وآياته من كتاب القرآن).

من حيث اقتحامهم تفسير الحلال والحرام واستنباط العلوم مع جهلهم بمدارك الأحكام وينابيع العلوم ومأخذها. وقد بيّن عليه السلام شرائط خاصّة لتفسير العلوم واستنباط الأحكام وصرّح أنّها تراث رسول اللّه صلى الله عليه وآله.

وأنت كما ترى هذه الرواية الشريفة أيضاً، أجنبيّة عن منع التمسّك بالقرآن في مرتبة الدعوة العامّة. وإنّ منعها الأكيد خاصّ بباب الاستنباط وشرح العلوم والتطاول على مقامهم العلميّ.

فقد تلخّص من جميع ما ذكرنا، أنّ خلافة القرآن والأئمّة عليهم السلام خلافة اجتماعيّة انضماميّة لا انفراديّة. فالقرآن بمحكماته وظواهره يصرّح بوجوب الحجّ مثلاً ولم يذكر أنّ الطواف مثلاً أُسبوع وفي أيّ مورد، وغيره من أحكامه، والرسول صلى الله عليه وآله هو المفسِّر لِتلك الأحكام. والقرآن يدلّ بنصوصه ومحكماته على وجود وليّ معصوم مفروض الطاعة ولم يسمّ أحداً بعينه، وفسّر رسول اللّه صلى الله عليه وآله شأن ذلك الرجل بخصوصه. وصرّح بوجود جنّة عرضها كعرض السماوات والأرض ولم يبيّن التفاصيل الراجعة إليها، وكذلك صرّح بوجود النار والعذاب ولم يفسّر مكانها وكيفيّة خلقها ومواطنها وموادّها، والرسول صلى الله عليه وآله فسّر ذلك كلّه. وهكذا حال جميع العلوم الخاصّة. ولو أردنا إحصاء جميع الروايات المصرّحة باختصاص هذه المرتبة من علوم القرآن بالرسول صلى الله عليه وآله أصالةً ولأوصيائه عليهم السلام وراثةً، لخرجنا عن البحث وفيما ذكرنا كفاية لأولي الألباب.

## تقييم بعض النظريّات

إختلفت الكلمات واضطربت الأقوال في تفسير التأويل؛ منها ما في *الميزان*، قال:

إنّ التأويل ليس من المفاهيم التي هي مداليل الألفاظ، بل هو من الأمور الخارجيّة العينيّة. واتّصاف الآيات بكونها ذات تأويل من قبيل الوصف بحال المتعلّق.[١]

وقال في بيان هذا المعنى:

ويدلّ على ذلك قوله تعالى في قصّة موسى والخضر عليهما السلام: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيهِ صَبراً﴾[٢] وقوله: ﴿ذٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيهِ صَبراً﴾[٣].[٤]

وقال بعد نقل ما فعله الخضر عليه السلام وسؤال موسى عليه السلام والذي نبّأ به الخضر من التأويل وكذا بعد نقل ما ورد من لفظ التأويل في عدّة مواضع من قصّة يوسف الصدّيق عليه السلام:

فقد استعمل التأويل في جميع هذه الموارد من قصّة يوسف عليه السلام فيما يرجع إليه الرؤيا من الحوادث، وهو الذي كان يراه النائم فيما يناسبه من الصورة والمثال، فنسبة التأويل إلى ذي التأويل نسبة المعنى إلى صورته التي يظهر بها، والحقيقة المتمثّلة إلى مثالها الذي تتمثّل به. كما كان الأمر يجري هذا المجرى فيما أوردناه من الآيات في قصّة موسى

---

١. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٢٧.
٢. الكهف (١٨)، الآية ٧٨.
٣. الكهف (١٨)، الآية ٨٢.
٤. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٢٥.

والخضر عليه السلام، وكذا في قوله تعالى: ﴿وَأَوفُوا الكَيلَ إذا كِلتُم... وَأَحسَنُ تَأويلاً﴾[١].[٢]

ومنها ما قال في *المنار*، بعد نقل الآيات التي ورد فيها لفظ التأويل وبيان معنى التأويل فيها:

فتبيّن من هذه الآيات، أنّ لفظ التأويل لم يرد في القرآن إلّابمعنى الأمر العمليّ الذي يقع في المآل تصديقاً لخبر أو رؤيا أو لعمل غامض يقصد به شيء في المستقبل، فيجب أن تفسّر آية آل عمران بذلك. ولا يجوز أن يحمل التأويل فيها على المعنى الذي اصطلح عليه قدماء المفسّرين؛ وهو جعله بمعنى التفسير ـ كما يقول ابن جرير: القول في تأويل هذه الآية كذا ـ ولا على ما اصطلح عليه متأخّروهم من جعل التأويل عبارةً عن نقل الكلام عن وضعه إلى ما يحتاج في إثباته إلى دليل لولاه ما ترك ظاهر اللفظ، ومثله قول أهل الأصول: التأويل صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح لدليل.[٣]

يمكن أن يقال في نقد هذه النظريّات: إنّه قد تقرّر في محلّه أنّ استعمال اللفظ في مورد لا يدلّ إلّا على كونه من مصاديق المعنى اللغويّ له، أو من الموارد التي استعمل فيها اللفظ بضربٍ من التجوّز والعناية، فاستظهار

---

١. الإسراء (١٧)، الآية ٣٥.
٢. *الميزان في تفسير القرآن*، ج٣، ص٢٦.
٣. *تفسير المنار*، ج٣، ص١٧٤.

معنى في مورد من موارد إستعمال لفظ التأويل في الآيات الكريمة لا يدلّ على كون هذا المعنى هو المراد في غيره من موارد استعماله.

## بعض التأويلات الباطلة

قلنا إنّ من شؤون المعصومين عليهم السلام تأويل القرآن، ولا مجال لتجنّب النبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والإعراض عنهم لِمعرفة تأويله.

إنّ بعض الفِرَق ـ في طيّ القرون الماضية ـ قامت بتأويل وتوجيه الآيات القرآنيّة من دون الالتفات إلى هذه الحقيقة العلميّة، فأوَّلوا المفاهيم القرآنيّة وفقاً لآرائهم ونظريّاتهم بَدَل أن يطبّقوها مع القرآن.

إليك بعض التأويلات الباطلة مضافاً إلى ما ذكرنا:

أوَّلَ الملّا عبدالرزاق الكاشانيّ لفظ الحمار في قوله تعالى: ﴿وَانظُر إِلَى حِمَارِكَ﴾[1] إلى جسم النبيّ عُزَير،[2] ولفظ «الصفا» و«المروة» إلى قلب الإنسان ونفسه.[3]

وإنّه يقول إنّ المراد من الغلامَين في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَينِ يَتيمَينِ فِي الـمَدينَةِ﴾[4] هو العقل النظريّ والعمليّ وأوَّل اليتيم في الآية إلى افتراق العقل النظريّ والعمليّ من روح القُدُس.[5]

---

١. البقرة (٢)، الآية ٢٥٩.
٢. تفسير ملّا عبد الرزاق (تفسير ابن عربيّ)، ج١، ص٨٦.
٣. تفسير ملّا عبد الرزاق (تفسير ابن عربيّ)، ج١، ص٦١ .
٤. الكهف (١٨)، الآية ٨٢.
٥. تفسير ملّا عبد الرزاق (تفسير ابن عربيّ)، ج١، ص٤١١.

ويقول إنّ المراد من النفس الواحدة في قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِن نَفس واحِدَة﴾[١] هي النفس الناطقة الكلّيّة التي يتشعّب منها النفوس الجزئيّة وأنّ النفس الحيوانيّة هي المعنيُّ بها في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ مِنها زَوجَها﴾[٢].[٣]

ويقول ابن عربيّ في تأويل قصّة بني إسرائيل وعبادتهم للعجل في القرآن، في الفصّ الهارونيّة:

كان موسى[لموضوع عبادة العجل] أعلم بالأمر من هارون، لأنّه علم ما عبَده أصحاب العجل. وما حكم الله بشيء إلّا وقع فكان عَتَب موسى أخاه هارون لما وقع الأمر في إنكاره وعدم اتّساعه، (فإنّ العارف من يرى الحقّ في كلّ شيء، بل يراهُ عين كلّ شيء، فكان موسى يُربّي هارون تربية علم).

وقال القيصريّ في شرحه:

أي، كان عَتَبُ موسى أخاه هارون لأجل إنكاره عبادةَ العجل، وعدم اتّساع قلبه لذلك.[٤]

يقول ملّا صدرا:

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً﴾[٥] أي: العقول السابِقة على الممكنات ﴿فَالمُدَبِّرَاتِ

---

١. النساء (٤)، الآية ١.
٢. النساء (٤)، الآية ١.
٣. *تفسير ملّا عبد الرزاق* (*تفسير ابن عربيّ*)، ج٢، ص١٣٧.
٤. *شرح فصوص الحكم للقيصريّ*، ص١٠٩٦.
٥. النازعات (٧٩)، الآية ٤.

أمراً»[١] أي: النفوس المدبّرة للأجرام الغالبة؛ فدلّت الآية على هذين النوعين من الموجودات الشريفة.[٢]

وينقل العلّامة المجلسيّ عن المرحوم ميرداماد أنّه قال:

العرش هو الأفلاك... والكرسيّ هو فلك الثوابت.

ثمّ يقول العلّامة المجلسيّ:

ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله.[٣]

يقول الحاج ملّا هادي السبزواريّ:

إنّ الأفلاك الكلّيّة تسعة: الأوّل هو فلك الأفلاك، الثاني فلك الثوابت والباقي هم الكرات السبعة المشهورة؛ وأنّ جميع هذه الأفلاك لها حيوة ناطقة.

ويقول توضيحاً في الحاشية:

لا يوجد تناف بين هذه الأفلاك التسعة التي أثبتها العقل مع ما ورد في القرآن بأنّ السماوات سبعة، لأنّ المراد من فلك الأطلس (فلك الأفلاك) وفلك الثوابت في لسان الشريعة، العرش والكرسيّ.[٤]

---

١. النازعات (٧٩)، الآية ٥.

٢. *مفاتيح الغيب*، ص ٤٤٦.

٣. *بحارالأنوار*، ج٥٨، ص٥، ذيل الحديث الثانى (الباب الرابع من أبواب كلّيّات أحوال العالم من كتاب السماء والعالم).

٤. *شرح المنظومة*، ص ٢٦٩.

٨

# النسخ

- معنى النسخ
- النسخ في التكوينيّات
- النسخ و المشيّة الأزليّة
- المعنى الاصطلاحيّ للنسخ

## معنى النسخ

قال في *لسان العرب*:

> النسخ: إبطال الشيء وإقامة آخر مقامه... . ابن الأعرابيّ: النسخ تبديل الشيء من الشيء وهو غيره. ونسخ الآية بالآية: إزالة مثل حكمها. والنسخ: نقل الشي ء من مكان إلى مكان وهو هو.[1]

إنّ كلّ واحد من المعاني المذكورة قد استعمل فيها لفظ النسخ ولا يهمّنا تحقيق أنّ ذلك بحسب الوضع أو بضرب من العناية. والظاهر أنّ الأصل المأخوذ في الموارد المذكورة، هو حيث الإزالة والتغيير والتحويل والتبديل.

قال الله تعالى:

﴿مَا نَنسَخ مِن آيَة أو نُنسهَا نَأت بِخَير مِنها أو مثلِهَا أ لَم تَعلَم أنَّ اللَّهَ عَلى كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ﴾.[2]

قوله تعالى: ﴿مِن آيَة﴾، أي: من علامة. وهي مطلقة شاملة لكلّ ما

---

١. *لسان العرب*، ج٣، ص٦١ .

٢. البقرة (٢)، الآية ١٠٦.

تصدق عليه العلامة، سواء كانت تشريعيّة أو تكوينيّة؛ فالتشريعيّة مثل الآية الدالّة على حكم من الأحكام فتكون حاكية عن جعله. والتكوينيّة مثل ما يدلّ على وجود الصانع أو على شيء من نعوته وأسمائه جلّ ثناؤه من الأعيان.

قوله تعالى: «نَأت بِخَيرٍ مِنها أو مِثلِها»، أي: نأتِ بشيء خير في الحكمة والمصلحة من المنسوخ.

ثمّ إنّه من الممكن بحسب الواقع والثبوت، أن تكون للآية المنسوخة أمثال ونظائر في عرضها يتساوىٰ بعضها مع البعض الآخر في الحكمة والمصلحة ، فله تعالى أن يأتي بواحدة من هذه الآيات المتساوية من حيث المصلحة سواء كانت تكوينيّة أوتشريعيّة، ثمّ يأتي بواحدة أُخرى بعد رفع الأُولى. والكلام في تخصيص كلّ منها بزمان دون زمان عينُ الكلام في اختيار الأمور المترجّحة المتساوية. ولا دليل على انحصار المِثل في الآية، بأن يكون الناسخ في طول المنسوخ ومنفرداً؛ فالمعتمد في ذلك هو ظهور الآية وإطلاقها.

ينبغي الالتفات إلى أنّ اطلاق النسخ على الآيات بدليّ، بمعنى أنّ الآيات في معرض النسخ دائماً؛ إلّا أنّ هذا الإطلاق في معرض التقييد لأنّ من آياته لا يجري عليها النسخ، مثل الأحكام الثابتة كوجوب التقوى وحرمة الفجور.

## النسخ في التكوينيّات

إنّ اليهود يعتقدون باستحالة النسخ في الأحكام، كما يعتقدون باستحالة التغيير والتبديل في التكوين وفي شيء من النظام الموجود. وقد ورد

توبيخهم في القرآن الكريم. قال تعالى:

﴿وقالَت اليَهُودُ يَدُ اللَّه مَغلُولَةٌ غُلَّت أيديهم ولُعِنُوا بما قالُوا بَل يَداهُ مَبسُوطَتانِ يُنفِقُ كَيفَ يَشاءُ﴾.[1]

ورد في *العيون*، مسنداً عن أبي عمرو محمّد بن عمرو بن عبد العزيز الكجيّ قال: حدّثني مَن سمع الحسن بن محمّد النوفليّ يقول:... قال الرضاعليه السلام:

...ثُمَّ التَفَتَ إلَى سُلَيمَانَ. فَقَالَ: أحسَبُكَ ضَاهَيتَ اليَهُودَ فِي هَذَا البَاب.

قَالَ: أعُوذُ باللَّه من ذَلكَ، ومَا قَالَت اليَهُودُ؟

قَالَ: ﴿قالَت اليَهُودُ يَدُ اللَّه مَغلُولَةٌ﴾،[2] يَعنُونَ أنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَد فَرَغَ منَ الأمرِ فَلَيسَ يُحدِثُ شَيئاً، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّوجَلَّ: ﴿غُلَّت أيديهم ولُعِنُوا بما قالُوا...﴾.

قَالَ سُلَيمَانُ: لِأَنَّهُ قَد فَرَغَ منَ الأمرِ، فَلَيسَ يَزِيدُ فيه شَيئاً.

قَالَ الرِّضَاعليه السلام: هَذَا قَولُ اليَهُود، فَكَيفَ قَالَ تَعَالَى: ﴿أُدعُونِي أستَجِب لَكُم﴾.[3]

قَالَ سُلَيمَانُ: إنَّمَا عَنَى بذَلكَ أنَّهُ قَادرٌ عَلَيه.

قَالَ: أفَيَعِدُ مَا لَا يَفِي بِه فَكَيفَ قَالَ: يَزِيدُ فِي الخَلقِ ما يَشاءُ وقَالَ

---

١. المائدة (٥)، الآية ٦٤.

٢. المائدة (٥) آية ٦٤.

٣. غافر (٤٠)، الآية ٦٠.

عَزَّ وجَلَّ: ﴿يَمحُوا اللّهُ ما يَشاءُ ويُثبِتُ وعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾[١] وقَد فَرَغَ مِنَ الأمرِ؟! فَلَم يُحِر جَوَاباً.[٢]

إذن إنّ اللّـه تعالى كلّ يوم في شأن جديد من إحداث بديع لم يكن، وإذهاب أمر قد كان. وهكذا سنّته تعالى في جميع ما يحيط به علمه من الحوادث الحكيمة القيّمة، فيأتي بشيء منها ويذهب بآخر، وهو تعالى يُعطي ويمنع، ويُحيي ويُميت، ويُؤاخذ ويَعفو، فقدرته تعالى التى لا تناهي لها ومالكيّته لجميع من سواه وما سواه، فعليّة؛ يأتي سبحانه بشيء بعد تحقّقه شيئاً آخر، لعلّة وحكمة أرادها في الأوّل والثاني، ولا يمكن أن يمنعه تعالى مانع من هذا الفعل الحكيم. فلو شاء اللّـه أن أمحى ما كان مكتوباً أوّلاً وأثبت ما لم يكن مكتوباً بوجه أصلاً، وهذا المكتوب الثاني وهذا الخلق الجديد إنّما يكون من العلم المكنون.

## النسخ والمشيّة الأزليّة

إن قلت: إنّ هذا التبديل والتحويل والإتيان بالمِثل أو الأفضل منه بدل المنسوخ، مستند إلى المشيئة الأزليّة فيكون الإتيان بالمثل إظهاراً وإبرازاً لزوال المنسوخ وانمحائه بانتهاء أمده، ويكون الإتيان بالناسخ إيجاداً لما كان ثابتاً في الأزل بالمشيئة الأزليّة.

---

١. الرعد (١٣)، الآية ٣٩.

٢. *عيون أخبار الرضا*ﷺ، ج١، ص١٨٢، ح١ (الباب ١٣)؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص٩٦، ح٢ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

قلت: فعلى هذا لا يكون النسخ بمعنى التغيير والإزالة والإبطال بل يكون إظهاراً لزوال عينٍ أو حكمٍ، وكذلك لا يكون هناك إتيان شيء لم يكن بل هو إيجاد ما كان ثابتاً في الأزل؛ وهذا عين الالتزام بمقالة اليهود ومبتنٍ على كون مشيئته تعالى بعينها، علمه سبحانه وأنّه تعالى شاء كلّ شيء بالمشيئة الأزليّة. ولكنّ البراهين الإلهيّة من الآيات والروايات قائمة على استحالة أزليّة المشيئة، وأنّ مشيئته تعالى فعلُه وهو عين تعيّن النظام الحكيم بالعلم الحادث، ونسبته إلى علمه تعالى نسبة المتناهي إلى غير المتناهي.

## المعنى الاصطلاحيّ للنسخ

إنّ هذا المعنى الذي ذكرناه للنسخ هو المعنى اللغويّ والظاهر من الآية الكريمة؛ وهو شامل للتكوينيّات والتشريعيّات. وله معنى اصطلاحيّ وهو رفع ما هو ثابت في الشريعة من الأحكام فلا يشمل المجعولات التكوينيّة. ويقابله البداء الذى يكون في التكوينيّات.

وحيث إنّ الدين الذي اختاره اللّه وارتضاه سبحانه لأنبيائه وأصفيائه صلوات الله عليهم الجمعين هو الإسلام: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسلامُ وَمَا اختَلَفَ الَّذينَ أُوتُوا الكِتَابَ إِلَّا مِن بَعدِ ما جاءَهُمُ العِلمُ بَغياً بَينَهُم وَمَن يَكفُر بِآيات اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَريعُ الحِساب﴾،[1] فنسخ حكم في الشريعة السابقة بشيء من أحكام الشريعة اللاحقة، ليس إلّا كنسخ حكم في الشريعة الواحدة بشيء من تلك الشريعة بعينها.

---

١. آل عمران (٣)، الآية ١٩.

وممّا ذكرنا يُعلم أنّه لا إشكال في مقام الثبوت في نسخ حكم في شريعة وإتيان حكم آخر خير منه أو مثله مكانه. والقول بأنّ النسخ إنّما يكون بعد مضيّ مدّة الامتثال وأمّا قبله فلا يجوز؛ ليس بصحيح، إذ يمكن أن تكون المصلحة والحكمة في نفس الحكم. وبديهيّ أنّه ليس للفقيه البحث عن مناطات الأحكام وعللها وإنّما وظيفته الجري على طبق الظواهر.

هذا في مقام الثبوت، أمّا في مقام الإثبات فقد تقدّم في الروايات ما يدلّ على وجود الناسخ والمنسوخ في كتاب اللّـه تعالى. وسيجيء البحث[1] في أنّ قوله تعالى: ﴿فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّى يَأتِيَ اللَّهُ بِأمرِهِ إنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾؛[2] منسوخ بآية السيف وهو قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِاليَومِ الآخِرِ﴾[3] وأمّا الفرق بين النسخ والتخصيص والتقييد فليطلب من كتب الأصول.

---

١. راجع: *مناهج البيان*، الجزء الأوّل، ص٣٠٩.

٢. البقرة (٢)، آية ١٠٩.

٣. التوبة (٩)، آية ٢٩.

# ٩

# البداء

- معنى البداء
- أهمّيّة البداء
- المشيَّة الأزليّة في منظار الوحي
- العلم منشأ البداء الإلهيّ
- آثار الاعتقاد بالبداء

## معنى البداء*

إنّ مسألة البداء من المسائل المهمّة الاعتقاديّة التي قد أبدى العلماء فيها آراء مختلفة وذلك حسب اختلاف مبانيهم الفكريّة، إلّا أنّهم لم يصلوا إلى عمق هذه المسألة والزوايا الخفيّة الموجودة فيها بنحو مطلوب، ولم يتضّح موضع الحقّ في الفكر الشيعيّ في ذلك. سَعْيُنا في هذه الصفحات أن نستكشف قليلاً مسألة البداء بواسطة الآيات والأحاديث، لكي تنفتح على الباحثين وطلاب العلم والحقيقة آفاقٌ جديدة ومتميزة.

## معرفة البداء

البداء في اللغة بمعنى نشوء الرأي. قال في *لسان العرب*:

قال الجوهريّ: بدا له في الأمر بداء ممدودة أي نشأ له فيه رأي.[1]

---

* هذا البحث مقتطف من كتاب *توحيد الإمامية*، ص٣٤٩. ولمزيد من الاطّلاع راجع كتاب *البداء آية عظمة الله* (للشيخ محمّد باقر علم الهدى).

١. *لسان العرب*، ج١٤، ص٦٦

إنّ الله سبحانه وتعالى هو المالك والقادر الأزليّ والأبديّ كما هو واضح ولا يجب عليه الإيجاد ولا الإبقاء بعد الإيجاد إلّا فيما وعد به. وإنّ علم الله وقدرته المطلقة لا تُحدّ بهذا النظام الموجود. وهو عالم وقادر ذاتاً على إيجاد الأنظمة غير المحدودة وذلك حسب الأدلّة العقليّة وصريح القرآن والحديث. وقدرته ذاتيّة، فهو قادر ذاتاً على إيجاد أيّ فعل، كما أنّه قادر على نقيضه. ولا يصدر فعل من الله من دون إعمال مالكيّته وقدرته، وكلّ ما تعلّقت مشيّته به فإنّه يوجد في الخارج بلاريب، وإنّما فعله الذي هو عبارة عن تعيّن نظام بالعلم. وبما أنّ الله حكيم، فإنّ مشيّته تتعلّق دائماً بالأفعال المؤسّسة على الحكمة؛ إلّا أنّة ظاهر أنّ الحكمة في الفعل لا تكون علّة لإيجاده، لأنّ قدرة الله حاكمة عليها. فمشيّة الله سبحانه وتعالى المستندة إلى العلم والقدرة والحكمة هي السبب في انتخاب نظام واحد من بين الأنظمة اللامتناهية. وبما أنّ الله لا يكون ملزماً في إيجاد أيّ فعل وتعيين أيّ نظام، فإنّه يقدر أن يمحو ما عيَّنه بالعلم والقدرة والحكمة سابقاً في أيّ مرحلة من مراحل المشيّة والإرادة والقَدَر والقضا أو أن يغيّره ويبدّله أو يوجد ما لم يكن أصلاً.

وهذا ما يُعرف بالبداء في المعارف الإلهيّة. ومعناه أن يمحو الله المشيّة السابقة بالمشيّة الجديدة أو أن يغيّر أجزائها. وبتعبير آخر: أن يبدّل ما أراده سابقاً بالمشيّة الجديدة ويوجِد ما لم تتعلّق به المشيّة سابقاً. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَمحُوا اللَّـهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتاب﴾.[1]

إنّ متعلّق المحو في الآية المباركة هو ما تعلّقت به المشيّة. فالله سبحانه

---

١. رعد (١٣)، الآية ٣٩.

وتعالى يمحو ما يشاء من المشيّة الأوليّة. وبعبارة أُخرى: إنّ المراد من المحو، إمحاء ما ثبت في مرتبة المشيّة والإرادة والقضاء والقدر. وإنّ المراد من الإثبات هو أن يثبت الله سبحانه وتعالى بالمشيّة الجديدة ما لم يكن موجوداً ولم تتعلّق به المشيّة ولم يكتب في الصحيفة النوريّة الإلهيّة.

يقول الإمام الصادق عليه السلام في تفسير الآية المباركة :

وَهَل يُمحَى إلَّا مَا كَانَ ثَابتاً، وَهَل يُثبَتُ إلَّا مَا لَم يَكُن؟![1]

وقال الإمام السجاد عليه السلام:

لَولَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ، لَحَدَّثتُكُم بِمَا يَكُونُ إلَى يَومِ القِيَامَةِ.
فَقُلتُ: أيَّةُ آيَةٍ؟
قَالَ: قَولُ اللَّهِ: ﴿يَمحُوا اللَّهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾.[2]

## أهميّة البداء

إنّ لازم القدرة الإلهيّة المطلقة هو البداء الناشئ عن العلم والمعرفة. فلا يمكن الاعتقاد بعلم الله وقدرته وإنكار مسألة البداء. وفي الحقيقة إنّ إنكار البداء ـ الذي هو علامة قدرة الله ومالكيّته ـ هو عين إنكار قدرته ومالكيّته. فمعرفة البداء والوصول إلى عمقه وأسراره والتسليم له، عبادة ذاتيّة لا تصل إليها عبادة. ولأجل أهمّيّة البداء وموقعيّته في باب معرفة الله سبحانه

---

١. *الكافي*، ج١، ص١٤٧، ح٢؛ *الفصول المهمّة*، ج١، ص٢١٩، ح١٨٩.
٢. *تفسير العيّاشيّ*، ج٢، ص٢١٥، ح٥٩؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١١٨، ح٥٢ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

وتعالى أُمر جميع الأنبياء بالإذعان والاعتراف به.

عن زرارة عن أحدهما عليهما السلام:

مَا عُبِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيءٍ، مِثلِ البَدَاءِ.[١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

مَا عُظِّمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِمِثلِ البَدَاءِ.[٢]

وقال الإمام الرضا عليه السلام:

مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيّاً قَطُّ، إلَّا بِتَحرِيمِ الخَمرِ وَأن يُقِرَّ لَهُ بِالبَدَاءِ.[٣]

## المشيّة الأزليّة في منظار الوحي

يمكن أن يقال: إنّ المراد من الآية المتقدّمة والروايات المذكورة ذيلها أنّ أعيان وحوادث العالم ثابتة بالمشيّة الإلهيّة ـ التي هي عين علمه ـ في أُمّ الكتاب، وأنّها متعلّقة بمشيّة الله، ولا يُعقل تصوّر التغيير والتبديل فيما تعلّق به العلم والمشيّة والإرادة والقدر والقضاء الإلهيّ، لأنّ الله سبحانه وتعالى قد فرغ من تنظيم العالم وتدبيره بالمشيّة الأزليّة فقدّر الأحكام والخصوصيّات المقتضية لكلّ شئ طبقاً للمشيّة الثابتة الأزليّة، بنحو لا يمكن التغيير والتبديل فيه. فجميع حوادث العالم تجري بيد الله سبحانه

---

١. *التوحيد*، ص٣٣٢، ح١؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١٠٧، ح١٩ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

٢. *التوحيد*، ص٣٣٣، ح٢؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١٠٧، ح٢٠.

٣. *التوحيد*، ص٣٣٣، ح٦؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١٠٨، ح٢٥.

وتعالى طبقاً للأحكام الثابتة في أُمّ الكتاب؛ فيأت بالليل بعد النهار والموت بعد الحياة ولذا يمكن القول بأنّ الله يمحو الحكم الثاني بالحكم الأوّل.

يرد على هذا الاستنباط من الآية المتقدَّمة الإشكالات التالية:

١. إنّ هذه النظريّة مبتنية على أنّ فاعليّة الله بالعناية والرضا في حين أنّ فاعليّته حسب الأدلّة الموجودة بالإبداء والإنشاء عن القدرة والمالكيّة.

٢. بناءً على هذه النظريّة تكون مشيّة الله عين علمه وكلّ شيء متعلّق بالمشيّة الأزليّة، وهذه النظريّة تخالف البراهين والأدلّة القائمة على استحالة أزليّة مشيّته سبحانه وتعالى.

٣. ثبت في محلّه أنّ مشيّة الله سبحانه وتعالى فعله، وهو عبارة عن تعيّن النظام في العلم الحادث[1] الذي علّمه الله لأنبيائه وملائكته. وإنّ نسبة هذا النظام إلى علم الله، نسبة المتناهي إلى غير المتناهي؛ فعلم الله لا يكون بمعنى المشيّة ـ التي هي عبارة عن تدبير وتنظيم أمور الخليقة ـ. وإنّ تطبيق العلم على المشيّة، يوجب الالتزام بقِدَم العالَم وأزليّة فعل الله ونفي مالكيّته وقدرته بالنسبة إلى الفعل وتركه؛ وهذا مخالف لضرورة الأديان.

٤. على هذا يكون تفسير الآية بالحوادث المكتوبة في الأزل، لا بالمحو والإثبات الحقيقيّ الذي هو الانمحاء المستند إلى المشيّة الازليّة.

بعبارة أُخرى: يكون المحو والإثبات بمعنى انقضاء الأجل المكتوب وإظهار أمر ثابت ومكتوب في الأزل وهذا مخالف لما ورد في الحديث عن

---

١. المراد من العلم الحادث هو العلم الذي تعيّن إجمالاً أو تفصيلاً وتعلّق رأي الله سبحانه وتعالى به؛ مثل المشيّة، الإرادة، القدر والقضاء.

الإمام الصادق عليه السلام فإنّه قال:

وَهَل يُمحَى إلَّا مَا كَانَ ثَابِتاً وَهَل يُثبَتُ إلَّا مَا لَم يَكُن.[١]

فالصحيح أن يقال: إنّ المحو هنا بمعناه الحقيقيّ وأنّ متعلّقه هو الأمر الموجود الثابت ـ الأعمّ من الحوادث والأعيان ـ وهكذا يكون متعلّق الإثبات، الشيء الذي لم يكن موجوداً بأيّ وجه من الوجوه؛ لا أنّه إظهار لما كان ثابتاً في الأزل. ويستفاد من الأحاديث أيضاً أنّ من موارد المحو والإثبات تقديم الأمر المؤخَّر وتأخير الأمر المقدَّم.

وليس من لوازم قبول المشيّة الحادثة أن لا يكون للعالَم تقدير ونظم ثابت عند الله سبحانه وتعالى وأن يكون نظام الخليقة موجوداً بالصدفة بغير تدبير وتقدير؛ لأنّ جميع ما خلقه الله تعالى تعيّن بالمشيّة الحادثة، وهو متعلّق بإرادة الله العليم الحكيم وتقديره. ولذا تكون مشيّة الله فعله المتعيّن، والمشيّة الجديدة هي تعيين الخلق الجديد أو محو الأمر الثابت في المشيّة السابقة، وإنّ كلا المشيّتان الحادثتان تتوافق مع الحكمة والمصلحة وتتطابق مع العلم الحادث الذي أفاضه الله على أنبيائه وملائكته.

## البداء في المعارف الإلهيّة والبشريّة

يظهر ممّا ذكرنا الفرق بين المعارف الإلهيّة وحصيلة العلوم البشريّة في الموارد التالية:

١. علم الله تبارك وتعالى غير متناه بحسب الكتاب والسنّة؛ أي أنّه لا يجوز تحديد علم الله وتعيّنه بالنظام الواحد الأحسن.

---

١. *الكافي*، ج١، ص١٤٧، ح٢؛ *الفصول المهمّة*، ج١، ص٢١٩، ح١٨٩.

٢. إنّ قدرة الله تعالى ومالكيّته على النظام الموجود، الذي تعلّقت به مشيّته وعلى الأنظمة غير المتناهية ونقايضها وأضدادها، على نحو سواء.

٣. يحدث النظام الواحد بمشيّة الله وإرادته وتقديره، وهي أفعال الله التي تحصل من دون توهّم التحديد والتعيّن في علمه.

٤. إنّ جميع ما سوى الله حقيقتاً حادث ومسبوق بالعدم المحض من المنظار الدينيّ؛ والأزليّة منحصرة بالله تعالى بمعنى أنّه لم يكن مع الله شيء ـ لا في مرتبة الأُلوهيّة ولا في مرتبة المخلوقات ـ ثمّ خلق الموجودات والمخلوقات. وما يُعيِّن النظام الموجود عن الأنظمة اللامتناهية في علم الله سبحانه وتعالى وقدرته، تعلّق مشيّته به.

٥. إنّ الله سبحانه وتعالى لم يفرغ من الخلق في منظار الأديان الإلهيّة، ولذا يستطيع أن يغيّر ويبدّل فيه. مع أنّه من منظار اليهود ومن يحذو حذوهم كلّ ما يجري في النظام الموجود من أفعال الله، يكون على طبق المشيّة الأزليّة وعلم الله تعالى محدود به ولا يمكن التغيير والتبديل فيه.

## العلم منشأ البداء الإلهيّ

يقول الإمام الصادق عليه السلام:

إنّ لِلّه علمَين: علمٌ مَكنُونٌ مَخزُونٌ، لَا يَعلَمُهُ إلَّا هُوَ؛ من ذَلكَ يَكُونُ البَدَاءُ. وَعِلمٌ عَلَّمَهُ مَلَائكَتَهُ وَرُسُلَهُ وَأنبيَاءَهُ، فَنَحنُ نَعلَمُهُ.[1]

---

١. *الكافي*، ج١، ص١٤٧، ح٨؛ بحار *الأنوار*، ج٢٦، ص١٦٣، ح٩ (الباب ١٢ من أبواب علومهم عليهم السلام من كتاب الإمامة).

و ورد عنه عليه السلام إنّه قال:

مَن زَعَمَ أنَ اللّهَ يَبدُو لَهُ فِي شَيءٍ اليَومَ، لَم يَعلَمهُ أمسِ فَابرَءُوا مِنهُ.[1]

هذان الحديثان يشيران إلى أنّ البداء يكون بالعلم والمعرفة فقط. وكما ذكرنا فإنّ البداء هو تبديل التقدير الأوّل بالتقدير الثاني، بالله سبحانه وتعالى. وبما أنّ التقديرين يكونان بمشيّة الله وإرادته وقضائه وقدره ـ وكلّها أفعاله الحسنة التي صدرت عن علم وحكمة ـ لا يمكن القبول بأنّ البداء وقع عن جهل الله بالموضوع. ولذا ما نُسب إلى الشيعة من أنّهم يعتقدون بالبداء الصادر عن الجهل، تهمة واضحة لا أساس لها.

البداء بالمعنى الذي أخذ به الشيعة من الأئمّة الهداة عليهم السلام من مفاخر علوم القرآن وآية لمجد الله وعظمته وقدرته ومالكيّته. وكلّ عقيدة غير هذه تنتهي إلى مغلوليّة يد الله وأنّه قد فرغ من الأمر.

## آثار الاعتقاد بالبداء

في ظلّ الاعتقاد بالبداء تظهر مكانة الدعاء ويظهر أنّ صلة الأرحام والصدقة وزيارة سيد الشهداء عليه السلام وغيرها من الأعمال الصالحة يردّ القضاء، والأعمال السيّئة توجب سخط الله ومضاعفته؛ نشير إلى بعض الروايات باختصار.

---

١. *كمال الدين*، ج١، ص٧٠؛ *بحار الأنوار*، ج٤، ص١١١، ح٣٠ (الباب الثالث من أبواب الصفات من كتاب التوحيد).

**الف ) الأحاديث الدالّة على أنّ الدعاء يبدّل القضاء**

قال الإمام الصادق عليه السلام:

الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ الَّتِي قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي سَيَدخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرِين﴾[1] ادعُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تَقُل إنَّ الأمرَ قَد فُرِغَ مِنه.[2]

وورد عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام:

إنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم يُقَدَّر. قَالَ: قُلتُ جُعِلتُ فِدَاكَ، هَذَا مَا قُدِّرَ قَد عَرَفنَاهُ أَ فَرَأَيتَ مَا لَم يُقَدَّر؟ قَالَ: حَتَّى لَا يُقَدَّرَ.[3]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

الدُّعَاءُ يَرُدُّ القَضَاءَ، بَعدَ مَا أُبرِمَ إبرَاماً.[4]

تدلّ هذه الأحاديث على فضل الدعاء وتحثّ العباد على الارتباط بالله والمسألة منه. فالدعاء إقرار عمليّ للداعي بالفقر والاحتياج إلى الله تعالى،

---

١. غافر (٤٠)، الآية ٦١.

٢. *الكافي*، ج٢، ص٤٦٧، ح٧؛ *وسائل الشيعة*، ج٧، ص٢٤، ح٤ [٨٦٠٢] (الباب الأوّل من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة).

٣. *بحار الأنوار*، ج٩٠، ص٢٩٧، ح٢٧ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن)؛ *مستدرک الوسائل و مستنبط المسائل*، ج٥، ص١٦٥، ح١٣ [٥٥٧١] (الباب الثاني من أبواب الدعاء من كتاب الصلاة).

٤. *الكافي*، ج٢، ص٤٧٠، ح٧؛ *بحار الأنوار*، ج٩٠، ص٢٩٥، ح٢٣ (الباب ١٦ من أبواب الدعاء من كتاب القرآن).

لأنّ الله هو المنجي من المصائب والابتلائات؛ وإنّ رفع المصائب وقضاء الحوائج ونزول البركات يكون بيد قدرته؛ وإنّه هو المكرِم عباده المؤمنين بأنواع الكرامات؛ فلا يوجد مفرّ للموحّدين من التوسّل إلى الله بواسطة الدعاء والتضرّع إليه والإيمان بأنّه عالم بحوائج الجميع وقادر على قضائها.

إنّ الشيطان أحياناً يُلقي الناس في وادي اليأس من الله وذلك بواسطة الشبهات، وللخلاص من هذه المصيدة، يجب الإيمان بأنّ الله لا يقطع أمل الراجين به، ولا يردّ دعوة عبده، وإنّه لم يفرغ من الأمر، وإنّه أمرنا بالدعاء ووعدنا الإجابة:

﴿وَإذا سَأَلَكَ عِبادي عَنّي فَإنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعوَةَ الدّاعِ إذا دَعانِ فَلْيَستَجيبُوا لِي وَلْيُؤمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرشُدُون﴾.[1]

## ب) الأحاديث الدالّة على وقوع البداء بواسطة صلة الأرحام وإعطاء الصدقة وزيارة سيّد الشهداء عليه السلام

قال الإمام الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله:

صِلَةُ الرَّحِمِ، تَزِيدُ فِي العُمُرِ.[2]

وقال الإمام الباقر عليه السلام:

البِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنفِيَانِ الفَقرَ، وَيَزِيدَانِ فِي العُمُرِ، وَيَدفَعَانِ تِسعِينَ مِيتَةً

---

١. البقرة (٢)، الآية ١٨٦.

٢. *معاني الأخبار*، ص٢٦٤، ح١؛ *بحار الأنوار*، ج٧١، ص٩٤، ح٢٤ (الباب الثالث من أبواب آداب العشرة بين ذوي الأرحام و... من كتاب العشرة).

السَّوء.[١]

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

يَا عَبدَ المَلِک! لَا تَدَع زِيَارَةَ الحُسَين بن عَلِيٍّ عليه السلام، وَمُر أصحَابَکَ بِذَلِکَ يَمُدُّ اللَّهُ فِي عُمُرِکَ، وَيَزِيدُ اللَّهُ فِي رِزقِکَ وَيُحيِيکَ اللَّهُ سَعِيداً وَلَا تَمُوتُ إلَّا سَعِيداً وَيَکتُبُکَ سَعِيداً.[٢]

١. *الكافي*، ج٤، ص٢، ح٢؛ *بحارالأنوار* ج٩٣، ص١١٩، ح١٧ (الباب ١٤ من أبواب الصدقة من كتاب الزكاة و الصدقة).

٢. *كامل الزيارات*، ص١٥١، ح٥؛ *بحارالأنوار*، ج٩٨، ص٤٧، ح١٢ (الباب السادس من أبواب فضل زيارة سيّد شباب أهل الجنة... من كتاب المزار).

# ١٠

# تحدّي القرآن وإعجازه

- ضرورة الإعجاز
- إعجاز القرآن
- وجه التحدّي والإعجاز
- نماذج تاريخيّة من تأثير القرآن
- إعجاز القرآن في علومه ومعارفه
- القرآن كلام الله

## ضرورة الإعجاز

في سياق بيان قصص الأنبياء وأحوالهم مع أُممهم، يثبت القرآن الكريم أنّ أُولئك الأنبياء كانت لهم الآيات والمعاجز التي جاؤوا بها بإذن الله تعالى لإثبات النبوّة وصدق الرسالة.

وفي الحقيقة أنّ النبوّة والرسالة ثبوتاً، هي النور والتعليم والهداية الإلهيّة، فهي خارجة عن وجود النبيّ أو الرسول، يفيضها الله على أنبيائه ورسله على نحو خرق العادة خلافاً لقانون الطبيعة، ولا فرق في ذلك بين أن يكون النبيّ أُمّيّاً أو لا .

وواضح أنّ التعليم الإلهيّ للأنبياء تعليم خاصّ، وسنخه وحقيقته مباين لجميع العلوم الفلسفيّة والعرفانيّة والتجريبيّة. هذا النوع من التعليم فعل الله وهو حجّة ذاتاً.

وأمّا إثباتاً بما أنّ حقيقة النبوّة والرسالة محجوبة عن عامّة الناس ولا

يمكن وجدانها عبر الحواس والعقول، فإنّ الأُمم أنكروا دعوة أنبيائهم واستهزؤوا بها. ولأجل إيمان الناس بهذه الدعوة وتصديقها يلزم على الأنبياء أن يملكوا دلائل وآيات تفيد العلم بنبوّتهم.

إنّ معرفة صدق الأنبياء وكذبهم والإيمان بهم ممكن بواسطة العقل، وأنهم لأجل صدق ادّعائهم قاموا بالتحدّي بما جاؤوا به من الآيات والمعاجز الواضحة.

وممّا يجب الالتفات إليه أنّه لا نحتاج إلى المعجزة للتصديق بتعاليم الأنبياء، لأنّ الإيمان بقسم من هذه التعاليم جائز، شريطة معرفة صدق النبوّة ومعرفة الأنبياء، وبقسم آخر نحتاج إلى العلم والتذكّر والتدبّر، وبقسم ثالث كالأحكام الفرعيّة يكفي التعبّد.

إنّ السرّ في كاشفيّة المعجزة عن مقام الرسالة والنبوّة إثباتاً، هو أنّ الرسالة والنبوّة كسائر المعاجز، أمر غير عاديّ خارج عن نظام الأسباب والمسبَّبات لا يمكن تصديقها بصرف الادّعاء. وظهور المعجزة بواسطة النبيّ في مقام التحدّي هو طريق ووسيلة لِتصديق إعجاز آخر يُسمّىٰ بالنبوّة والرسالة، يشارك نفس المعجزة في كونه خارقاً لنظام الأسباب، لأنّ حكم الأمثال فيما يجوز وما لا يجوز واحدٌ.

غاية الأمر أنّ المعجزة الأُولى ـ أي نفس إعطاء نور النبوّة والرسالة ـ خارجة عن إدراك الناس وفهمهم فعلاً وآثاراً، وأمّا المعجزة الثانية التي استدلّ بها الأنبياء لإثبات ادّعائهم، لها آثار محسوسة يمكن لهم أن يفهموها. فلو جاء مدّعي النبوّة والرسالة بمعجزة وآية واضحة، فإنّه لا

يبقى سبب لإنكار النبوّة والرسالة، بالأخصّ إذا كان في مقام التحدّي.

ومن العجيب أنّ معجزة نبيّنا الأعظمﷺ ليست كمعاجز الأنبياء السابقين، بل هي عين الرسالة والوحي الإلهيّ. فالقرآن الذي قرأه جبريلعليه السلام على النبيّﷺ هو عين مصداق الرسالة ومعجزة واقعاً.

وليس القرآن حجّة وبرهان لإثبات رسالة أُخرى بل هو حجّة وبرهان لإثبات نفسه؛ فهو علم ونور وحجّة بالذات لنفسه، لا يحتاج إلى غيره من المعاجز. وقد تحدّى الموافق والمخالف من الجنّ والإنس، بأنّه كلام الله وأنّه نازل من عنده، ووصفهم بالعجز عن الإتيان بمثله.

## إعجاز القرآن

قال الله تعالى:

﴿وَإن كُنتُم فِي رَيبٍ ممَّا نَزَّلنَا عَلى عَبدنا فَأتُوا بسُورَةٍ من مثله وادعُوا شُهَداءَكُم من دُونِ اللَّه إن كُنتُم صادقينَ * فَإن لَم تَفعَلُوا ولَن تَفعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ أُعدَّت للكافرينَ﴾[1]

و﴿قُل لَئن اجتَمَعَت الإنسُ والجنُّ عَلَى أن يَأتُوا بمثلِ هذَا القُرآنِ لَا يَأتُونَ بمثله وَلَو كَانَ بَعضُهُم لبَعضٍ ظَهيراً﴾.[2]

---

١. البقرة (٢)، الآيتان ٢٣ ـ ٢٤.

٢. الإسراء (١٧)، الآية ٨٨.

لايخفى على الباحثين والمتعلّمين أنّ هـاهنا مقامان: مقام العجز عن الإتيان بمثل القرآن، ومقام المعرفة والعلم بأنّ القرآن حقّ لا ريب فيه وأنّه بيّنات وبصائر، وشفاء ورحمة، وبرهان من اللّـه ونور مبين؛ ولا يجوز الخلط بين المقامين، إذ مقام معرفة حقانيّته مختصّ بمن تربّىٰ واهتدىٰ، واستنار بأنواره.

فلابدّ لمن أراد معرفة القرآن أن يعرفه حقّ المعرفة وأن لا يكابر عقله ولا يعاند فطرته، وأن يهتدي بهُدىٰ الفطرة الضروريّة، ويجتنب عن المنكرات الضروريّة والفطريّة، فمن خالف عقله ولم يهتد بما أودعه اللّـه فيه من الهُدىٰ فهو من الصمّ البُكم الذين لا يعقلون، فليس مَن عجز عن الإتيان بمثل القرآن يكون عارفاً وعالماً بأنواره وتجلّياته. إنّ من يدّعي التحدّي والتعجيز على نحو خارق للعادة وناقض للطبيعة، لابدّ من تعميم دعواه وتحدّيه، إذ ليس هو في مقام تحدّي الأشخاص، بل هو في مقام تحدّي المجتمع البشريّ ومبارزته ومغالبته، لا الأفراد والأشخاص. فلو غلب القرآن فرداً من الأفراد أو عدّة منهم ولم يغلب الكلّ فليس بغالب. بداهة أنّ عجزالمجتمع بمجموعه، دليل قطعيّ على عجز كلّ فرد فرد منهم، فملاك الأمر هو عجزهم وخذلانهم، سواء علموا أنّه من عند اللّـه وأنّه نورٌ وهُدىٰ للعالمين أم لا.

فالدهريّة والمعطّلة الذين ينكرون الصانع والتوحيد والعقل والعلم، أشدّ عجزاً عن الإتيان بمثل هذه المعارف الإلهيّة والحقائق النوريّة من المبدأ والتوحيد وأسماء اللّـه تعالى وصفاته وكمالاته ونعوته، والعوالم الأُخرويّة السرمديّة من الجنّة والنار وسكّانها وما يرجع إليه عاقبة أمر المؤمنين والملحدين.

ودونهم في العجز والخذلان، أهل الكتاب وغيرهم من الأُمم الذين ألحدوا في طريق عرفانه تعالى، بعد نداء القرآن بهذه المعارف العالية وبعد تنوّر أهل العالَم بهذا النور المبين.

وأمّا الأُمّة الإسلاميّة؛ فمن كان عارفاً بعظمائها، يعلم أنّهم ما بلغوا من المجد والكمال إلّا في ظلّ تربية القرآن، وأنّهم خطوا خطوات سامية في هذا المجال؛ فهم شهداء الحقّ على أنّ الرسولﷺ قد أتى بهذا النور القاهر، والبرهان الساطع الذي تحيّرت فيه العقول والألباب.

ومن هذه الأُمّة أيضاً من قد اشتبه عليه الأمر وتوهّم أنّ القرآن المبين ومعارفه من سنخ تصوّرات اليونانيّين ولم يعرف أُفق أنوار القرآن ومعارفه، ومباينته لما قاله المتصوّفون والمتفلسفون.[1]

فتبيّن ممّا ذكرنا أنّ الحقّ هو تعميم مورد التحدّي والتعجيز، لكلّ من كان مكلَّفاً من العرب والعجم، والخواصّ والعوامّ، والجنّ والإنس، والحاضر عصر النزول والغائب عنه، لا فُصَحاء العرب خاصّة، ولا العرب خاصّة، ولا الخواصّ فقط، ولا الإنس خاصّة.

## وجه التحدّي والإعجاز

يظهر ممّا ذكرنا في مورد التحدّي والتعجيز وجه التحدّي أيضاً، فإنّه إذا كان مورد التحدّي عامّاً لِلإنس والجنّ أجمعين، لا فصحاء العرب وبلغاءهم فقط؛ يظهر أنّ وجه التحدّي والتعجيز أيضاً ليس هو الفصاحة والبلاغة

---

١. لمزيد من الاطّلاع راجع كتاب أبواب *الهدى* (لميرزا مهديّ الإصفهانيّ)، ص٢٣٥ ـ ٢٨١.

خاصّة، سواء كان التعجيز بمجموع القرآن أو بأبعاضه.

فالقول بأنّ وجه التحدّي هو الفصاحة، باطل رأساً لا شاهد عليه. وسرّ هذا القول ليس إلّا أنّ القائل به لما رأى أنّ مرتبة فصاحة القرآن وبلاغته فوق طاقة الفصحاء والبلغاء، وخارق للعادة، حمل أدلّة التحدّي والتعجيز على ذلك. ولكن بالتوجّه إلى مقام الرسالة أو القرآن، يُعلم أنّ التحدّي والتعجيز بالفصاحة لأمثال امرئ القيس، تحقير لمقام الرسالة والقرآن الكريم، فإنّ امرئ القيس ونُظَراءه، أنزل قَدَراً من أن يريد اللّـه تعالى تعجيزهم وتحدّيهم بالقرآن. وليس هذا هو شأن خاتم الأنبياء المصلح الوحيد في المجتمع البشريّ؛ هذا **أوّلاً**.

**ثانياً**: إنّ الإعجاز لا يتمّ إلّا بتعجيز الكلّ في جميع الشؤون، فلو لم يعجز الكلّ فلا يكون إعجازاً على الإطلاق، بل يكون إعجازاً للعرب في مسألة الفصاحة والبلاغة؛ فكيف يكون تعجيزهم دليلاً وحجّة على سائر الملل والأُمم؟! وعليه لا يمكن الاستناد إلى عجز العرب لمعرفة إعجاز القرآن ولا يكون عجزهم دليل على إعجازه.

**ثالثاً**: لو كانت الفصاحة والبلاغة وجهاً لتحدّي القرآن، فلازمه أن يكون كلام اللّـه من سنخ كلامهم، وفصاحته أيضاً من سنخ فصاحتهم، وأدلّة الباب من الآيات والروايات تتأبّى عن ذلك، إذ مفادها أنّ اللّـه تعالى ليس كمثله شيء من جميع الوجوه،[1] وأنّ كلامه تعالى لا يشابه كلام البشر؛

---

١. لمزيد من الاطّلاع من هذه الآيات والروايات راجع كتاب *ميزان المطالب*، (لميرزا جواد الطهرانيّ)، ص٣٣ ـ ٤٢.

لا أن يكون كلامه تعالى أعلى من كلام مخلوقاته على وجه التشكيك والاختلاف في الضعف والشدّة، والإعجاز بهذا النحو. بل أنّ كلامه تعالى لا يقاس أصلاً بكلام غيره، كما أنّ ذاته لا يقاس بشيء من مخلوقاته.[١]

نعم، لا إشكال في القول بفصاحة القرآن بالمعنى اللغويّ وبلاغته؛ فإنّ الفصاحة في اللغة، الإبانة والخلوص والظهور والتكلّم بالعربيّة.

قال في *لسان العرب*:

فَصُح الأعجميُّ ـ بالضمّ ـ فَصاحةً: تكلّم بالعربيّة وفُهِمَ عنه... . وَالفَصِيحُ في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يَعرف جَيِّدَ الكلام من رَدِيئِه... . وَأفصَحَتِ الشاةُ وَالناقة: خَلَصَ لَبَنُهُما... . وَأفصَحَ الصُّبحُ: بدا ضوؤُه واستبان. وكلّ ما وَضَحَ، فقد أفصَحَ. وكلُّ واضح: *مُفصِحَ*.[٢]

وفيه أيضاً:

والبَلاغةُ: الفَصاحةُ. وَالبَلغُ وَالبِلغُ: البَلِيغُ من الرجال. ورجل بَلِيغٌ وبَلَغٌ وبِلغٌ، حَسَنُ الكلام: فَصِيحُه يبلغ بعبارة لسانه كُنهَ ما في قلبه.[٣]

فلا كلام في بلوغ فصاحة القرآن وبلاغته حدّ الإعجاز التامّ بالمعنى اللغويّ.

---

١. لمزيد من الاطّلاع راجع: *رسالة في وجه إعجاز كلام الله المجيد* في كتاب *رسائل شناخت قرآن* (لميرزا مهديّ الإصفهانيّ)، ص١٧٧ ـ ١٨٤.

٢. *لسان العرب*، ج٢، ص٥٤٤.

٣. *لسان العرب*، ج٨، ص٤٢٠.

وأمّا وجه تحدّي القرآن وإعجازه، فالواجب استنباطه من لسان الكتاب والسنّة وتاريخ نزول القرآن والحوادث التي جرت بين النبيّ ﷺ والمكابرين والمعاندين.[١]

## نماذج تاريخيّة من تأثير القرآن

ورد في *السيرة النبويّة* لابن هشام:

ثمّ إنّ الوليد بن المغيرة اجتمع إليه نفر من قريش، وكان ذا سنّ فيهم، وقد حضر الموسم. فقال لهم: يا معشر قريش، إنّه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب ستقدّم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذّب بعضكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً.

قالوا: فأنت ـ يا أبا عبد شمس ـ فقُل وأقِم لنا رأيًا نَقُل به. قال: بل أنتم فقولوا، أسمع.

قالوا: نقول: كاهن. قال: لا واللّه، ما هو بكاهن. لقد رأينا الكهّان؛ فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه.

قالوا: فنقول: مجنون. قال: ما هو بمجنون. لقد رأينا الجنون وعرفناه؛ فما هو بخَنقه ولا تخالجه ولا وسوسته.

قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كلّه؛ رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه؛ فما هو بالشعر.

---

١. لمزيد من الاطّلاع راجع: *رسالة رسائل القرآن والفرقان* في كتاب *رسائل شناخت قرآن* (لميرزا مهديّ الإصفهانيّ).

قالوا: فنقول: ساحر. قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السُحّار وسحرهم؛ فما هوبنفثهم ولا عقدهم.

قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: واللّـه إنّ لقوله لحلاوة. وإنّ أصله لَعذق. وإنّ فرعه لجناة... وإنّ أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.

فتفرّقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسُبُل الناس، حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلّا حذّروه إيّاه وذكروا لهم أمره. فأنزل اللّـه تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله:

﴿ذَرنِي وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً * وَجَعَلتُ لَهُ مَالاً مَمدُوداً * وَبَنِينَ شُهُوداً * وَمَهَّدتُ لَهُ تَمهِيداً * ثُمَّ يَطمَعُ أَن أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآياتِنَا عَنِيداً﴾[1].[2]

ورد في *تفسير القمّي*، ذيل الآية:

فإنّها نزلت في الوليد بن المغيرة. وكان شيخاً كبيراً مجرّباً من دُهاة العرب. وكان من المستهزئين برسول اللّـه ﷺ. وكان رسول اللّـه ﷺ يقعد في الحجرة ويقرأ القرآن. فاجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة فقالوا: يا أبا عبد شمس ما هذا الذي يقول محمّد؟أشعر هو

---

١. المدثر (٧٤)، الآيات ١١ ـ ١٦.

٢. *السيرة النبويّة*، ج١، ص٢٧٠.

أم كهانه أم خطب؟فقال: دعوني أسمع كلامه. فدنا من رسول اللّـه ﷺ فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك.

قال: ما هو شعر ولكنّه كلام اللّـه الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه.

فقال: اتل عليّ منه شيئاً.

فقرأ رسول اللّـه ﷺ حم السجدة، فلمّا بلغ قوله: ﴿فَإِن أعرَضُوا﴾[1] ـ يا محمّد أعني قريشاً ـ ﴿فقل﴾ لهم؛ ﴿أنذَرتُكُم صَاعِقَةً مِثلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وثَمُودَ﴾[2] قال: فاقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته. ومرّ إلى بيته ولم يرجع إلى قريش من ذلك.

فمشوا إلى أبي جهل فقالوا: يا أبا الحكم إنّ أبا عبد شمس صبا إلى دين محمّد. أما تراه لم يرجع إلينا؟

فغدا أبوجهل إلى الوليد فقال له: يا عمّ نكّست رؤوسنا وفضحتنا، وأشمتّ بنا عدوّنا، وصبوت إلى دين محمّد.

فقال: ما صبوت إلى دينه، ولكنّي سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود!

فقال له أبوجهل: أخطب هو؟قال: لا، إنّ الخطب كلام متّصل. وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً.

قال: أفشعر هو؟ قال: لا، أما إنّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها، ورملها ورجزها وما هو بشعر.

---

١. فصّلت (٤١)، الآية ١٣.

٢. فصّلت (٤١)، الآية ١٣.

قال: فما هو؟ قال: دعني أُفكّر فيه، فلمّا كان من الغد؛ قالوا: يا أبا عبد شمس ما تقول فيما قلناه؟قال: قولوا: هو سحر فإنّه أخذ بقلوب الناس، فأنزل اللّه على رسوله في ذلك: ﴿ذَرنِي وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً﴾[١].[٢]

وفي *بحارالأنوار*، عن عليّ بن إبراهيم بن هاشم أنّه قال:

قدم أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد قيس في موسم من مواسم العرب وهما من الخزرج وكان بين الأوس والخزرج، حرب قد بقوا فيها دهراً طويلاً وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بعاث، وكانت للأوس على الخزرج.

فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكّة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة. فنزل عليه فقال له: إنّه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناك نطلب الحلف عليهم.

فقال له عتبة: بعدت دارنا من داركم، ولنا شغل لا نتفرّغ لشيء.

قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدّعي أنّه رسول اللّه سفّه أحلامنا،

---

١. المدّثر (٧٤)، الآية ١١.

٢. *تفسير القمّي*، ج٢، ص٣٩٣؛ *بحارالأنوار*، ج٩، ص٢٤٤، ح١٤٨ (الباب الأوّل من كتاب الإحتجاج).

وسبّ آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا. فقال له أسعد: من هو منكم؟

قال: ابن عبدالله بن عبد المطّلب، من أوسطنا شرفاً، وأعظمنا بيتاً. وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير وقريظة وقينقاع، أنّ هذا أوان نبيّ يخرج بمكّة يكون مهاجره بالمدينة لنقتلنّكم به يا معشر العرب. فلمّا سمع ذلک أسعد وقع في قلبه ما كان سمع من اليهود، قال: فأين هو؟

قال: جالس فى الحجر، وإنّهم لا يخرجون من شعبهم إلّا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلّمه فإنّه ساحر يسحرک بكلامه وكان هذا فى وقت محاصرة بني هاشم فى الشعب.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لابدّ لى أن أطوف بالبيت؟

قال: ضع فى أذنيک القطن.

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه بالقطن. فطاف بالبيت ورسول اللهﷺ جالس في الحجر مع قوم من بنى هاشم، فنظر إليه نظرةً فجازه. فلمّا كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل منّى.[1] أيكون مثل هذا الحديث بمكّة فلا أتعرّفه حتّى أرجع إلى قومي فأخبرهم؟

---

١. في نسخة: ما أحد أجهل منيّ.

ثمّ أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول اللّهﷺ: أنعم صباحاً. فرفع رسول اللّهﷺ رأسه إليه وقال: قد أبدلنا اللّه به ما هو أحسن من هذا. تحيّة أهل الجنّة: السلام عليكم.

فقال له أسعد: إنّ عهدك بهذا لقريب. إلى ما تدعو يا محمّد؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلّا اللّه، وأنّى رسول اللّه، وأدعوكم إلى ﴿أن لا تُشرِكُوا به شَيئاً وَبالوالدَين إحساناً وَلَا تَقتُلُوا أولَادَكُم من إملَاق نَحنُ نَرزُقُكُم وإيَّاهُم وَلَا تَقرَبُوا الفَواحشَ مَا ظَهَرَ منها وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقتُلُوا النَّفسَ الَّتي حَرَّمَ اللَّهُ إلَّا بالحَقِّ ذلكُم وَصَّاكُم به لَعَلَّكُم تَعقلُونَ وَلَا تَقرَبُوا مَالَ اليَتيم إلَّا بالَّتي هيَ أحسَنُ حَتَّى يَبلُغَ أشُدَّهُ وأوفُوا الكَيلَ والميزَانَ بالقسط لَا نُكَلِّفُ نَفساً إلَّا وُسعَهَا وَإذَا قُلتُم فَاعدلُوا ولَو كَانَ ذَا قُربَى وَبعَهد اللَّه أوفُوا ذَلكُم وَصَّاكُم به لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ﴾.[1]

فلمّا سمع أسعد هذا قال له: أشهد أن لا إله إلّا اللّه. وأنّك رسول اللّه... . فلمّا قرب أسيد منهم قال: يا أبا أمامة يقول لك خالك: لا تأتنا في نادينا، ولا تفسد شبابنا واحذر الأوس على نفسك. فقال مصعب: أو تجلس فنعرض عليك أمراً، فإن أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحّينا عنك ما تكره. فجلس فقرأ عليه سورةً من القرآن فقال: كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الأمر؟

---

١. الأنعام (٦)، الآيتان ١٥١ ـ ١٥٢.

قال: نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين، ونشهد الشهادتين، ونصلّي ركعتين، فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر، ثمّ خرج وعصر ثوبه ثمّ قال: اعرض عليّ، فعرض عليه شهادة أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه فقالها ثمّ صلّى ركعتين... .[١]

## إعجاز القرآن في علومه ومعارفه

إنّ بعض المعاندين رمى القرآن بأنّه أساطير الأوّلين وادّعى أنّ رسول اللهﷺ تقوّله واختلقه من نفسه. قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَا ذَا أَنزَلَ رَبُّكُم قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؛[٢]

﴿وَإِذَا تُتلى عَلَيهِم آيَاتُنَا قَالُوا قَد سَمِعنَا لَو نَشَاءُ لَقُلنَا مِثلَ هَذَا إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾؛[٣]

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن هَذَا إِلَّا إِفكٌ افتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيهِ قَومٌ آخَرُونَ فَقَد جَاؤُا ظُلماً وَزُوراً * وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكتَتَبَهَا فَهِيَ تُملى عَلَيهِ بُكرَةً وأَصِيلاً﴾؛[٤]

﴿إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَولِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤمِنُونَ

---

١. *بحارالأنوار*، ج١٩، ص٨، ح٥ (الباب الخامس من أبواب احواله‌ﷺ من البعثة إلى نزول المدينة من كتاب تاريخ نبيّناﷺ)؛ *إعلام الورى بأعلام الهدى*، ص٥٥.

٢. النحل (١٦)، الآية ٢٤.

٣. الأنفال (٨)، الآية ٣١.

٤. الفرقان (٢٥)، الآيتان ٤ ـ ٥.

* وَلَا بِقَولِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِن رَبِّ العَالَمِينَ * وَلَو تَقَوَّلَ عَلَينَا بَعضَ الأَقَاوِيلِ * لَأَخَذنَا مِنهُ بِاليَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعنَا مِنهُ الوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِن أَحَدٍ عَنهُ حَاجِزِينَ﴾.[1]

فرمي القرآن بأنّه إفك أو أساطير الأوّلين أو أنّه قول شاعر مجنون أو قول كاهن، وأمثال ذلك؛ وكذلك رمي رسول اللّـهﷺ بأنّه مسحور أومجنون، كلّه راجع إلى مفاد القرآن ودعوته ومقاصده لا فصاحته وبلاغته. وكذلك إنكار وحدانيّة الله واتّخاذ الشريك له واستبعاد المعاد الجسمانيّ وسائر معاندة المشركين ولجاجتهم يرجع إلى علوم القرآن ومعارفه.

قال الله تعالى:

﴿وَقَالَ الكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ * أَ جَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً واحِداً إنَّ هذا لَشَيءٌ عُجابٌ﴾؛[2]

و﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ قالَ مَن يُحيِ العِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُل يُحيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيمٌ﴾.[3]

فتبيّن ممّا ذكرنا أنّ المكابرين والمعارضين للقرآن إنّما رموه واعترضوا عليه لأجل مقاصده ومواعظه وهداياته.

فإن قيل: ما هو المحذور من تحدّي القرآن بالفصاحة والبلاغة المصطلحة المستحدثة ؟

---

١. الحاقة (٦٩)، الآيات ٤٠ ـ ٤٧.

٢. ص (٣٨)، الآيتان ٤ ـ ٥.

٣. يس (٣٦)، الآيتان ٧٨ ـ ٧٩.

قلت: الكلام في التحدّي بالمعنى المصطلح، يقع تارةً بالنظر إلى مقام الإثبات وتارةً بالنظر إلى مقام الثبوت؛ وأمّا الجهة الأُولى فقد قدّمنا شطراً من الكلام فيه وأنّه لا شاهد ولا دليل عليه بحسب الكتاب والسنّة. وأمّا بحسب الواقع والثبوت، فبديهيّ أنّ المهمّ عقد البحث في أنّه هل يمكن أن تكون الفصاحة والبلاغة بالمعنى المصطلح وجهاً للتحدّي أم لا؟

فنقول: الفصاحة والبلاغة والتحدّي بهما لخصوص فصحاء العرب أو لجميع الناس ممّا لا فائدة فيه؛ فإنّ الشؤون الراجعة إلى مقام النبوّة ومنزلة السفارة والخلافة، هي إصلاح المجتمع البشريّ وتطهيرهم من القذارات، وتعديلهم عن الانحرافات، وسوقهم وهدايتهم إلى الكمالات الراقية؛ فلا محالة يكون إعجازه من جنس ما بعث لأجله.

فإن قيل: فأيّ مانع من أن لا يكون التعجيز ـ الذي مرجعه إلى التعجيز بالعلم والقدرة الخارقَين للعادة والطبيعة ـ من جنس الشؤون الراجعة إلى مقام الرسالة، فإنّ إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، وقلب العصا ثُعباناً، وشقّ البحر وأمثالها، ليس من سنخ ما بعث الرسول لأجله، وإنّما هي آيات وبراهين لإثبات النبوّة.

قلت: نعم، إلّا أنّ الفصاحة والبلاغة المصطلحة لا تقاس بآيات الأنبياء وبراهينهم؛ لأنّ الإعجاز لابدّ أن يكون خارقاً للعادة والطبيعة ومباينا ذاتاً وسنخاً لسنخ أفعال البشر، والفصاحة والبلاغة لهما حدود مقدورة للبشر والحدّ الأعلى منهما خارج عن قدرة البشر، ومع ذلك من سنخ ما يكون تحت قدرة البشر، وقد صرّح بذلك من قال بأنّ وجه التحدّي هو الفصاحة

والبلاغة. فالمقايسة بين الفصاحة وإحياء الموتى وغيره من آيات الأنبياء ممّا لا وجه له. فإنّ إحياء الموتى وسائر براهين الأنبياء ليس أمراً قابلاً للتشكيك، بأن يكون قسماً منه فوق طاقة البشر وقسماً منه مقدور له، بل هي حقيقة واحدة مختصّة به تعالى ومن أفعاله جلّ شأنه، وأفعاله تعالى لا كيف لها ولا يمكن تعقّلها وتصوّرها وتوهّمها. وهكذا فصاحة القرآن، فإنّه وإن لم يُتحدَّ بها ولكنّها فوق فصاحة البشر وخارقة لها، لا بمعنى كونها أعلى درجات الفصاحة المصطلحة، وإنّما هي كما مرّ ليست من نفس السنخ، فهي فعل من أفعال اللّـه التي ليس لها مثيل.

إن قلت: رواية ابن السكّيت عن أبي الحسن الرضا عليه السلام دالّة على أنّ الإعجاز في القرآن إنّما هو بالفصاحة.

ففي *الكافي*، عن الحسين بن محمّد، عن أحمد بن محمّد السيّاريّ، عن أبي يعقوب البغداديّ قال: قال ابن السكّيت لأبي الحسن عليه السلام: لماذا بعث الله موسى بن عمران عليه السلام بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر؟ وبعث عيسى بآلة الطبّ؟ وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام:

> إنَّ اللَّهَ لَمَّا بَعَثَ مُوسَى عليه السلام كَانَ الغَالِبُ عَلَى أهلِ عَصرِهِ السِّحرَ، فَأَتَاهُم مِن عِندِ اللَّهِ بِمَا لم يَكُن فِي وُسعِهِم مِثلُهُ، وَمَا أبطَلَ بِهِ سِحرَهُم، وَأَثبَتَ بِهِ الحُجَّةَ عَلَيهِم. وَإنَّ اللَّهَ بَعَثَ عِيسَى عليه السلام فِي وَقتٍ قَد ظَهَرَت فِيهِ الزَّمَانَاتُ وَاحتَاجَ النَّاسُ إلَى الطِّبِّ فَأَتَاهُم مِن عِندِ اللَّهِ بِمَا لم يَكُن عِندَهُم مِثلُهُ، وَبِمَا أحيَا لَهُمُ المَوتَى،

وَأبرأَ الأكمَهَ وَالأبرَصَ بإذن اللّه، وَأثبَتَ به الحُجَّةَ عَلَيهم. وَإنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداًﷺ فِي وَقت كَانَ الغَالبُ عَلَى أهل عَصره الخُطَبَ وَالكَلَام ـ وَأظُنُّهُ قَالَ: الشِّعرَ ـ فَأتَاهُم من عند اللّه من مَوَاعظه وَحكَمه مَا أبطَلَ به قَولَهُم وَأثبَتَ به الحُجَّةَ عَلَيهم... .[1]

قلت: كلّا، فإنّ الرواية الشريفة تبحث عن سنّة اللّـه تعالى وصنعه الحكيم في آيات الأنبياء وتذكّر أنّ اللّـه تعالى اختار لكلّ من أنبيائه، براهين وآيات متناسبة مع زمانهم. وليست فيها دلالة على أنّ برهان موسى من سنخ السحر، وبرهان عيسى من سنخ الطبابة، وبرهان نبيّناﷺ من سنخ الكلام البشريّ، وأنّ ما جاء به موسى هو الطرف الأعلى من السحر، وكذلك ما جاء به عيسى هو الطرف الأعلى من الطبابة، وما جاء به رسول اللّـهﷺ هو الطرف الأعلى من الفصاحة المصطلحة.

وفي الحديث الشريف نصّ على أنّ رسول اللهﷺ جاء من عند اللّـه بالمواعظ والحِكَم، وبما أبطل به قولهم. وليس فيه أنّ إعجاز الكلام بالفصاحة والبلاغة المصطلحة، بل إنّ في عدولهعليه السلام من لفظ «الكلام» إلى قوله: «مَوَاعظه وَحكَمه» دلالة على أنّ كلامه مواعظ وحِكَم.

## القرآن كلام الله

اتّضح من جميع ما ذكرنا أنّه لا دليل على أنّ وجه التحدّي هو الفصاحة

---

١. *الكافي*، ج١، ص٢٤، ح٢٠؛ *بحارالأنوار*، ج١٧، ص٢١٠، ح١٥ (الباب الأوّل من أبواب معجزاتهﷺ من كتاب تاريخ نبيّناﷺ).

والبلاغة المصطلحة. وعُلِمَ أنّ جنس الإعجاز بعد الفراغ عن كونه خارقاً للعادة والطبيعة، لابدّ أن يكون مبايناً لأفعال البشر. فإنّ الإعجاز فِعل اللّـه تعالى وهو خارج عن السنن الطبيعيّة مستنداً إلى مشيّته جلّ ثناؤه. والآيات والأخبار تصرّح بأنّ القرآن كلام اللّـه سبحانه. قال تعالى:

﴿أَفَتَطمَعُونَ أن يُؤمِنُوا لَكُم وَقَد كانَ فَرِيقٌ مِنهُم يَسمَعُونَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُم يَعلَمُونَ﴾[١]

و ﴿وَإِن أَحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ استَجارَكَ فَأَجِرهُ حَتَّى يَسمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبلِغهُ مَأمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُم قَومٌ لَا يَعلَمُونَ﴾.[٢]

ورد في *التوحيد* عن سالم سألت أبا عبد الله عليه السلام عن القرآن، فقال:

هُوَ كَلَامُ اللَّهِ وَقَولُ اللَّهِ وكِتَابُ اللَّهِ وَوَحيُ اللَّهِ وَتَنزِيلُه... .[٣]

وفيه، عن أحمد بن زياد مسنداً عن الحسين بن خالد قال: قلت للرضا عليّ بن موسى عليه السلام: يا ابن رسول الله أخبرني عن القرآن أخالق أو مخلوق؟ فقال:

لَيسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخلُوقٍ، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ.[٤]

---

١. البقرة (٢)، الآية ٧٥.

٢. التوبة (٩)، الآية ٦ .

٣. *التوحيد*، ص٢٢٤، ح٣ (الباب ٣٠)؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١١٧، ح٣.

٤. *التوحيد*، ص٢٢٣، ح١ (الباب ٣٠)؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١١٧، ح١ (الباب ١٤ من أبواب فضله وأحكامه وإعجازه من كتاب القرآن).

وفيه أيضاً، عن جعفر بن محمّد بن مسرور مسنداً عن الريّان بن الصلت قال: قلت للرضا عليه السلام: ما تقول في القرآن؟ فقال:

كَلَامُ اللَّهِ لا تَتَجَاوَزُوهُ، وَلَا تَطْلُبُوا الهُدَى فِي غَيرِهِ فَتَضِلُّوا.[١]

وفيه، عن أبيه، عن سعد بن عبداللّه بن محمّد بن عيسى بن عبيد اليقطينيّ قال: كتب عليّ بن محمّد بن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى بعض شيعته ببغداد:

بسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ. عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ مِنَ الفتنَة، فَإن يَفعَل فَقَد أعظَمَ بِهَا نعمَةً وَإن لَا يَفعَل فَهِيَ الهَلكَةُ، نَحنُ نَرَى أنَّ الجدَالَ فِي القُرآنِ بدعَةٌ، اشتَرَكَ فيهَا السَّائلُ وَالمُجيبُ. فَيَتَعَاطَى السَّائلُ مَا لَيسَ لَهُ، وَيَتَكَلَّفُ المُجيبُ مَا لَيسَ عَلَيه. ولَيسَ الخَالقُ إلَّا اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ ومَا سوَاهُ مَخلُوقٌ، والقُرآنُ كَلَامُ اللَّه، لا تَجعَل لَهُ اسماً مِن عندكَ فَتَكُونَ مِنَ الضَّالّين. جَعَلَنَا اللَّهُ وإيَّاكَ مِنَ ﴿الَّذينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ وَهُم مِنَ السَّاعَة مُشفقُونَ﴾.[٢][٣]

وفيه أيضاً، عن الحسين بن إبراهيم مسنداً عن سليمان بن جعفر الجعفريّ قال: قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام: يا ابن رسول الله ما تقول في القرآن فقد اختلف فيه من قبلنا؟ فقال قوم إنّه مخلوق. وقال قوم: إنّه غير مخلوق. فقال عليه السلام:

---

١. *التوحيد*، ص٢٢٣، ح٢؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١١٧، ح٢.

٢. الأنبياء (٢١)، الآية ٤٩.

٣. *التوحيد*، ص٢٢٤، ح٤؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١١٨، ح٤.

أمَا إنّي لَا أقُولُ فِي ذَلِكَ مَا يَقُولُونَ: وَلَكِنّي أقُولُ: إنَّهُ كَلَامُ اللَّه.[١]

الذي يظهر من التاريخ وكلمات الأعلام، أنّه شاع بين العامّة مسألة قِدَم القرآن وحدوثه وكونه خالقاً أو مخلوقاً. واشتدّ الخصام والتنازع، وكفّر بعضهم بعضاً ورفع الأمر إلى خلفاء الوقت وانجرّ الأمر إلى الضرب والقتل والتوهين. والأئمّة من أهل البيت عليهم السلام وقعوا في مخمصة هذه الخرافة وأنّهم صرّحوا في خلال كلماتهم بمحض الحقّ مراعاة للتقيّة.

ورد في *الإحتجاج*، عن صفوان بن يحيى أنّه قال: سألني أبوقرّة المحدّث صاحب شبرمة أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن له، فدخل فسأله عن أشياء من الحلال والحرام والفرائض والأحكام حتّى بلغ سؤاله إلى التوحيد فقال له: ... فما تقول في الكتب؟ فقال أبوالحسن عليه السلام:

التَّورَاةُ والإنجيلُ والزَّبُورُ والفُرقَانُ وكُلُّ كِتَابٍ أُنزِلَ كَانَ كَلَامَ اللَّه تَعَالَى، أنزَلَهُ للعَالَمِينَ نُوراً وهُدًى، وهِيَ كُلُّهَا مُحدَثَةٌ وهِيَ غَيرُ اللَّه، حَيثُ يَقُولُ ﴿أو يُحدِثُ لَهُم ذِكراً﴾.[٢]

وقَالَ: ﴿مَا يَأتِيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ إلَّا استَمَعُوهُ وهُم يَلعَبُونَ﴾.[٣] واللَّهُ أحدَثَ الكُتُبَ كُلَّهَا الَّتِي أنزَلَهَا.

فَقَالَ أبُوقُرَّةَ: فَهَل تَفنَى؟

---

١. *التوحيد*، ص٢٢٤، ح٥؛ *بحارالأنوار*، ج٨٩، ص١١٨، ح٥.
٢. طه (٢٠)، الآية ١١٣.
٣. الأنبياء (٢١)، الآية ٢.

فَقَالَ أَبُوالحَسَنِ عليه السلام: أجمعَ المُسلمُونَ عَلَى أنَّ مَا سوَى اللَّه فَان ومَا سوَى اللَّه فعلُ اللَّه، وَالتَّورَاةُ وَالإنجيلُ وَالزَّبورُ وَالفُرقَانُ فعلُ اللَّه؛ أَلم تَسمَعِ النَّاسَ يَقُولُونَ: رَبُّ القُرآن. وَإنَّ القُرآنَ يَقُولُ يَومَ القيَامَة: يَا رَبِّ، هَذَا فُلَانٌ ـ وهُوَ أعرَفُ به منه ـ قَد أظمَأتُ نَهَارَهُ، وَأسهَرتُ لَيلَهُ، فَشَفِّعنى فيه. وكَذَلكَ التَّورَاةُ وَالإنجيلُ وَالزَّبورُ كُلُّهَا مُحدَثَةٌ مَربُوبَةٌ. أحدَثَهَا مَن لَيسَ كَمثله شَيءٌ، هُدًى لقَومٍ يَعقلُونَ. فَمَن زَعَمَ أَنَّهُنَّ لم يَزَلنَ مَعَهُ فَقَد أظهَرَ أنَّ اللَّهَ لَيسَ بأوَّلٍ قَديمٍ وَلَا وَاحِدٍ، وَأنَّ الكَلَامَ لم يَزَل مَعَهُ وَلَيسَ لَهُ بَدءٌ وَلَيسَ بإلَهٍ.[1]

فهذه التصريحات منه عليه السلام إبطال لما تقوّلوا من قِدَم القرآن أو أنّه خالق أو غير مخلوق.

فظهر ممّا ذكرنا من الآيات والروايات أنّ القرآن كلام اللّـه، نزل به الروح الأمين على سيّد المرسلين. وأنّ جسده هذه الحروف والكلمات والجُمَل، وروحه الحقائق والعلوم التي دلّ عليها، وليس النازل على الرسول صلى الله عليه وآله المعاني فقط. وليست الألفاظ والكلمات من الرسول صلى الله عليه وآله، ولا يمكن لقريحة البشر أن تأتي بمثل القرآن كي يلزم ما استشكلوا من أنّ قريحة الإنسان، أمرعاديّ فكيف يعتمد ويستند إليها كلام خارق للعادة، ومن أنّ دلالة الألفاظ على المعاني بالوضع وهو أمر إعتباريّ؛ فكيف يُعقل أن يكون

---

١. *الإحتجاج*، ج٢، ص٤٠٥؛ *بحارالأنوار*، ج١٠، ص٣٤٤، ح٥ (الباب ١٩ من أبواب احتجاجات أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب الإحتجاج).

الإعجاز معلولاً للأمر الوضعيّ الاعتباريّ. فالإشكال والجواب الذي تكلّفوه لا موضوع له أساساً، إذ القرآن كلام إلهيّ وفعل اللّـه سبحانه، وفعله نفس الإعجاز، وإنّ الإعجاز يتحقّق من دون وساطة العلل والأسباب العادية بلا كيف ولا تعقُّل ولا تصوّر ولا توهّم.

وأمّا دلالة تلك الكلمات والجُمَل على العلوم والحقائق، فقد تقدّم أنّ للقرآن مراتب وأنّ مرتبته النازلة هي مرتبة دعوة العامّة التي يكون مخاطبها جميع الناس. وبعبارة أُخرى؛ مرتبة الدعوة العامّة تكون الظواهر والنصوص التي احتجّ اللّـه بها على خلقه ودعاهم إلى دينه وتوحيده وطاعته، وحذّرهم من أخذه ونقمته وبأسه، وبَشَّرَهم بمثوبته ورضوانه. ولها مراتب خاصّة أيضاً يختصّ بها الحجج والرسل عليهم السلام لا غيرهم. ولابدّ لغيرهم من التعلّم منهم عليهم السلام. والحمد للّـه ربّ العالمين. وصلّى اللّـه على نبيّنا محمّد وآله الطاهرين.

# الفهارس

- فهرس الآيات الكريمة
- فهرس الروايات الشريفة
- فهرس مصادر التحقيق

# فهرس الآيات الكريمة


| الآية | البقرة (٢) | الصفحة |
|---|---|---|
| ٢٣ـ٢٤ | وَإن كُنتُم فِي رَيبٍ مِمَّا نَزَّلنَا... | ١٧١ |
| ٩٩ | وَلَقَد أنزَلنَا إلَيكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ... | ٥٧ |
| ٧٥ | أفَتَطمَعُونَ أن يُؤمِنُوا لَكُم... | ١٨٧ |
| ١٣٦ | مَا نَنسَخ مِن آيَةٍ أو نُنسِهَا... | ١٤٧ |
| ١٣٩ | فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّى يَأتِيَ اللَّـهُ... | ١٥٢ |
| ١٤٣ | وَكَذلِكَ جَعَلناكُم أُمَّةً وَسَطاً... | ٤٠ |
| ١٥١ | كَمَا أرسَلنَا فِيكُم رَسُولاً مِنكُم... | ٨٨ |
| ١٥٨ | شَهرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ | ٤٩، ٥٥ |
| ١٧٠ | وَإذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أنزَلَ اللَّـهُ.... | ٥٧ |
| ١٨٦ | وَإذا سَألَكَ عِبادي عَنِّي فَإنِّي قَريبٌ... | ١٦٤ |
| ١٨٩ | وَأتُوا البُيُوتَ مِن أبوابِها... | ١٠٤ |
| ٢٣٧ | وَإن طَلَّقتُمُوهُنَّ مِن قَبلِ أن تَمَسُّوهُنَّ... | ٦١ |
| ٢٥٩ | وَانظُر إلَى حِمَارِكَ | ١٤١ |
| | آل عمران (٣) | |
| ٤ | هُدىً لِلنَّاسِ وَأنزَلَ الفُرقانَ... | ٥٠ |
| ٧ | فَأمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم... ٦٧ ، ٧٠، ٧١، ١١٣، ١١٤، | ١٣١ |
| ١٦٤ | لَقَد مَنَّ اللَّـهُ عَلَى الـمُؤمِنِينَ... | ٨٨ |

النساء (٤)

| | | |
|---|---|---|
| ١ | خَلَقَ مِنها زَوجَها... | ١٤٢ |
| ٤١ | فَكَيفَ إذا جِئنا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهيدٍ... | ٤١ |
| ٥٩ | أطِيعُوا اللَّـهَ وأطِيعُوا الرَّسُولَ... | ١٠٣ |
| ٨٣ | وَ لَو رَدُّوهُ إلَى الرَّسُولِ وَإلى أُولِي... | ١٠ ، ١٣٣ |
| ١٧٤ | يَا أيُّها النَّاسُ قَد جَاءَكُم بُرهَانٌ... | ٢٩، ٩٩ |

المائدة (٥)

| | | |
|---|---|---|
| ١٣ | وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ... | ١٠٤، ١٣٦ |
| ٤٨ | وَأنزَلنَا إلَيكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً... | ٣٠ |
| ٦٤ | وَقالَتِ اليَهُودُ يَدُ اللَّـهِ مَغلُولَةٌ... | ١٤٩ |

الأنعام (٦)

| | | |
|---|---|---|
| ٣٨ | مَا فَرَّطنا فِي الكِتابِ مِن شَيءٍ... | ٩١ |
| ١٠٣ | لَا تُدرِكُهُ الأبصَارُ... | ٧٩، ٨٠ |
| ١١٤ | وَهُوَ الَّذِي أنزَلَ إلَيكُمُ الكِتابَ مُفَصَّلاً... | ٥٧ |
| ١٥١ ـ ١٥٢ | أن لا تُشرِكُوا بِهِ شَيئاً وَبِالوالِدَينِ... | ١٨١ |

الأعراف (٧)

| | | |
|---|---|---|
| ٥٢ ـ ٥٣ | وَلَقَد جِئنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلنَاهُ... | ٥٩، ١١٩ |
| ١٨٨ | وَلَو كُنتُ أعلَمُ الغَيبَ لَأستَكثَرتُ... | ٦٢ |
| ١٩٦ | إنَّ وَلِيِّيَ اللَّـهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ... | ٥٨ |

الأنفال (٨)

| | | |
|---|---|---|
| ٣١ | وَإذَا تُتلى عَلَيهِم آيَاتُنَا قَالُوا... | ١٨٢ |

التوبة (٩)

| | | |
|---|---|---|
| ٦ | وَإن أحَدٌ مِنَ المُشرِكِينَ استَجارَكَ... | ١٨٧ |
| ٢٩ | قَاتِلُوا الَّذينَ لَا يُؤمِنُونَ بِاللَّـهِ.. | ١٤١ |
| ١١٩ | اتَّقُوا اللَّـهَ وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ... | ١٠٣ |

يونس (١٠)

| | | |
|---|---|---|
| ٣٧ـ٣٩ | وَمَا كانَ هَذَا القُرآنُ أن يُفتَرَى... | ٥٣، ٥٩، ١١٩ |
| ٥٧ | يَا أيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَتكُم مَوعِظَةٌ... | ٩٩ |

هود (١١)

| | | |
|---|---|---|
| ١ | كِتَابٌ أُحكِمَت آيَاتُهُ... | ٥٣، ٥٨ |

الرعد (١٣)

| | | |
|---|---|---|
| ٢٣ | قُل كَفى بِاللَّـهِ شَهيداً بَينى وَبَينَكُم... | ٤٠ |
| ٣٩ | يَمحُوا اللَّـهُ ما يَشاءُ وَيُثبِتُ... | ٢٠، ١٣٩، ١٥٦ |

النحل (١٦)

| | | |
|---|---|---|
| ٢٤ | وَإذَا قِيلَ لَهُم مَا ذَا أنزَلَ رَبُّكُم... | ١٨٢ |
| ٤٤ | وَأنزَلنَا إلَيكَ الذِّكرَ... | ٨٨ |
| ٨٤ | رَبَّنَا وَابعَث فِيهِم رَسُولاً مِنهُم... | ٨٨ |

الإسراء (١٧)

| | | |
|---|---|---|
| ٩ | إنَّ هَذَا القُرآنَ يَهدِي... | ٢٥ |
| ٨٨ | قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإنسُ والجِنُّ... | ١٧١ |
| ١٠٥ ـ ١٠٦ | وَبِالحَقِّ أنزَلناهُ وَبِالحَقِّ نَزَلَ... | ٥٠ |
| ٢٣٥ | وَأوفُوا الكَيلَ... | ١٣٩ |

الكهف (١٨)

| | | |
|---|---|---|
| ٧٨ | سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبراً... | ١٣٩ |
| ٨٢ | ذلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَم تَستَطِع عَلَيهِ صَبرا... | ١٣٩ |

مريم (١٩)

| | | |
|---|---|---|
| ٢٠ | قَالَت أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ ... | ٦١ |

طه (٢٠)

| | | |
|---|---|---|
| ٥ | الرَّحمنُ عَلَى العَرشِ استَوى... | ٨٧ |

الأنبياء (٢١)

| | | |
|---|---|---|
| ٢ | مَا يَأتِيهِم مِن ذِكرٍ مِن رَبِّهِم مُحدَثٍ... | ١٨٩ |
| ٤٩ | الَّذِينَ يَخشَونَ رَبَّهُم بِالغَيبِ... | ١٨٨ |

الفرقان (٢٥)

| | | |
|---|---|---|
| ١ | تَبارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الفُرقانَ... | ٢٩، ٥٠ |
| ٤ ـ ٥ | وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إن هَذَا... | ١٨٢ |

السجدة (٣٢)

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ ٢ | الم * تَنزِيلُ الكِتَابِ لا رَيبَ... | ٥٤ |
| ٣٢ | قُل يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ المَوتِ الَّذى وُكِّلَ بِكُم... | ١٢٤ |

الأحزاب (٣٣)

| | | |
|---|---|---|
| ٣٣ | إِنَّما يُرِيدُ اللَّـهُ لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ... | ١٢٩ |

فاطر (٣٥)

| | | |
|---|---|---|
| ٣٢ ـ ٣٣ | ثُمَّ أورَثنَا الكِتابَ الَّذِينَ اصطَفَينا... | ١٢٩ |

يس (٣٦)

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ ٢ | يس * وَالقُرآنِ الحَكِيمِ | ٥٩ |
| ١٢ | وَكُلَّ شَيءٍ أحصَينَاهُ فِي إمَامٍ مُبِينٍ... | ٦١ |
| ٧٨ ـ ٧٩ | وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلقَهُ... | ١٨٣ |

ص (٣٨)

| | | |
|---|---|---|
| ٤ ـ ٥ | وَقَالَ الكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذَّابٌ... | ١٨٣ |
| ٣٩ | كِتَابٌ أنزَلنَاهُإلَيكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ... | ٢٥ |

الزمر (٣٩)

| | | |
|---|---|---|
| ١ | تَنزِيلُ الكِتَابِ مِنَ اللَّـهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ... | ٥٨ |
| ٢٣ | اللَّـهُ نَزَّلَ أحسَنَ الحَدِيثِ... | ١٣١ |
| ١١ | اللَّـهُ يَتَوَفَّى الأنفُسَ حِينَ مَوتِها... | ١٢٤ |

غافر (٤٠)

| | | |
|---|---|---|
| ٤٠ | إنَّ الَّذِينَ يَستَكبِرُونَ عَن عِبادَتِي... | ١٦٣ |
| ٦٠ | أُدعُونِي أستَجِب لَكُم... | ١٤٩ |

فصلت (٤١)

| | | |
|---|---|---|
| ٢٦ | لَاتَسمَعُوا لِهذَا القُرآنِ... | ٣٤ |
| ٥١ | وَإذا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ... | ٦٢ |

الزخرف (٤٣)

| | | |
|---|---|---|
| ١ ـ ٤ | حم * والكتابِ المُبينِ... | ٥٤ |

محمّد (٤٧)

| | | |
|---|---|---|
| ٢٤ | أفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرآنَ... | ٩٩ |

الفتح (٤٨)

| | | |
|---|---|---|
| ١٨ | لَقَد رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الـمُؤمِنينَ... | ٩٤ |

النجم (٥٣)

| | | |
|---|---|---|
| ١١ ـ ١٢ | مَا كَذَبَ الفُؤادُ مَا رَأى... | ٧٩ |
| ١٨ | لَقَد رَأى مِن آياتِ رَبِّهِ الكُبرَى... | ٧٩ |

القمر (٥٤)

| | | |
|---|---|---|
| ٤٨ | ذُوقُوا مَسَّ سَقَر... | ٦٢ |

الواقعة (٥٦)

| | | |
|---|---|---|
| ٧٧ ـ ٨٠ | إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيمٌ... | ٥٤، ٦٠، ٦١ |

الحشر (٥٩)

| | | |
|---|---|---|
| ٢١ | لَو أنزَلنَا هَذَا القُرآنَ عَلَى جَبَلٍ... | ٢٥، ٥٧ |

الجمعة (٦٢)

| | | |
|---|---|---|
| ٢ | هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً... | ٨٩ |

المنافقون (٦٣)

| | | |
|---|---|---|
| ٤ | وَإِذا رَأَيتَهُم تُعجِبُكَ أجسامُهُم... | ١٠٨ |

الحاقة (٦٩)

| | | |
|---|---|---|
| ٤٠ ـ ٤٧ | إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَرِيمٍ... | ١٨٢ |

المزمل (٧٣)

| | | |
|---|---|---|
| ٥ | إِنَّا سَنُلقِي عَلَيكَ قَولاً ثَقِيلاً... | ٩٠ |

المدّثر (٧٤)

| | | |
|---|---|---|
| ١١ ـ ١٦ | ذَرنِي وَمَن خَلَقتُ وَحِيداً... | ١٧٧، ١٧٩ |

القيامة (٧٥)

| | | |
|---|---|---|
| ١٦ ـ ١٩ | لَاتُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعجَلَ بِهِ... | ٤٥، ٨٨ |
| ٢٣ | إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ... | ٧٩ |

النازعات (٧٩)

| | | |
|---|---|---|
| ٤ ـ ٥ | فَالسَّابِقَاتِ سَبقاً... | ١٤٢ |

القدر (٩٧)

| | | |
|---|---|---|
| ١ | إِنَّا أنزَلناهُ فِي لَيلَةِ القَدرِ | ٥٥ |

# فهرس الروايات الشريفة


| | | |
|---|---|---|
| الإمام العسكري عليه السلام | أَتدرُونَ مَنِ المُتَمَسِّكُ... | ١٠٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام | أنتَ فَقِيهُ أهلِ العِرَاقِ؟ قَالَ نَعَم | ٤٣، ١٣٢ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ القُرآنَ زَاجِرٌ، وَآمِرٌ، يَأمُرُ... | ٧١ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ القُرآنَ مُحكَمٌ ومُتَشَابِهٌ،... | ٧٠ |
| الإمام الكاظم عليه السلام | إنَّ الدُّعَاءَ يَرُدُّ مَا قُدِّرَ وَمَا لَم يُقَدَّر | ٢١ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ اللّـهَ تَبَارَكَ وتَعَالَى بَعَثَ مُحَمَّداً... | ١٠٣، ١٣٥ |
| رسول اللّـه صلى الله عليه وآله | إنَّ اللـهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ كِتَابِي... | ٣٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ اللـهَ عَلَّمَ نَبِيَّهُ صلى الله عليه وآله، التَّنزِيلَ... | ١٢٢ |
| الإمام الباقر عليه السلام | إنَّ رَسُولَ اللّـهِ صلى الله عليه وآله أفضَلُ الرَّاسِخِينَ... | ١٢١ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ فِيكُم مَن يُقَاتِلُ عَلَى تَأوِيلِ... | ١٢٢ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ لِلقُرآنِ تَأوِيلًا فَمِنهُ مَا قَد جَاءَ... | ١٢٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام | إنَّ لِلّـهِ عِلمَينِ عِلمٌ مَكنُونٌ مَخزُونٌ... | ١٦١ |
| الإمام الهادي عليه السلام | بِسمِ اللّـهِ الرَّحمنِ الرَّحِيمِ. عَصَمَنَا اللّـهُ ... | ١٨٨ |
| الإمام الباقر عليه السلام | بِرُّ وَالصَّدَقَةُ يَنفِيَانِ الفَقرَ... | ١٦٤ |
| الإمام الرضا عليه السلام | التَّورَاةُ والإنجِيلُ والزَّبُورُ والفُرقَانُ... | ١٨٩ |
| أمير المؤمنين عليه السلام | ثُمَّ أنزَلَ عَلَيهِ الكِتَابَ نُوراً لَا تُطفَأُ | ١٥ |
| أمير المؤمنين عليه السلام | ثُمَّ إنَّ اللـهَ جَلَّ ذِكرُهُ لِسَعَةِ رَحمَتِهِ | ٣٧ |
| الإمام الرضا عليه السلام | ثُمَّ التَفَتَ إلَى سُلَيمَانَ... | ١٤٩ |

| | | |
|---|---|---|
| الإمام الصادق عليه السلام | الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ الَّتِي ... | ١٦٣ |
| الإمام الصادق عليه السلام | الدُّعَاءُ يَرُدُّ القَضَاءَ بَعدَ مَا أُبرِمَ إبرَاماً | ١٦٣ |
| الإمام السجاد عليه السلام | فَاجعَلنَا مِمَّن يَرعَاهُ حَقَّ رِعَايَتِهِ | ٧٣ |
| الإمام الصادق عليه السلام | فَإِذَا التَبَسَت عَلَيكُمُ الفِتَنُ ... | ٢٦، ٤١ |
| أمير المؤمنين عليه السلام | فَبَعَثَ اللَّـهُ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله بِالحَقِّ؛ لِيُخرِجَ عِبَادَهُ | ٢٩ |
| الإمام الصادق عليه السلام | فَرَسُولُ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله أفضَلُ الرَّاسِخِينَ... | ١٢٨ |
| أمير المؤمنين عليه السلام | فَوَ اللـهِ هُوَ مُبَيِّنٌ لَكُم نُوراً وَاحِداً | ١٧ |
| الإمام الصادق عليه السلام | قَالَ: الفُرقَانُ هُوَ كُلُّ أمرٍ مُحكَمٍ... | ٥٠ |
| الإمام الرضا عليه السلام | قَالَ اللَّـهُ جَلَّ جَلَالُهُ مَا آمَنَ بِي مَن فَسَّرَ... | ٩٧ |
| الإمام الصادق عليه السلام | قَالَ اللَّـهُ عَزَّوَجَلَّ فِي لَيلَةِ القَدرِ... | ٦٩ |
| الإمام الصادق عليه السلام | القُرآنُ جُملَةُ الكِتَابِ وَالفُرقَانُ المُحكَمُ | ٥٠ |
| الإمام الرضا عليه السلام | لا أقُولُ كَمَا قَالُوا، ولَكِنِّي... | ١٢٩ |
| الإمام الرضا عليه السلام | لِأَنَّ اللَّـهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَم يُنزِلهُ لِزَمَانٍ... | ٢٨ |
| رسول الله صلى الله عليه وآله | لِأَنَّهُ مُتَفَرِّقُ الآيَاتِ .... | ٥١ |
| الإمام الصادق عليه السلام | مَا عُظِّمَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ بِمِثلِ البَدَاءِ | ١٥٨ |
| أمير المؤمنين عليه السلام | مَا نَزَلَت عَلَى رَسُولِ اللَّـهِ صلى الله عليه وآله آيَةٌ مِنَ القُرآنِ | ١٢٠ |
| الإمام الصادق عليه السلام | مَعَاشِرَ النَّاسِ تَدَبَّرُوا القُرآنَ... | ٧٢، ١٣٥ |
| الإمام الصادق عليه السلام | مَن زَعَمَ أنَّ اللهَ يَبدُو لَهُ... | ٢١ |
| الإمام الصادق عليه السلام | نَزَلَ القُرآنُ جُملَةً وَاحِدَةً فِي شَهرِ رَمَضَانَ... | ٦٣ |
| الإمام الصادق عليه السلام | وَمَن فَسَّرَ [بِرَأيِهِ] آيَةً ... | ٩٨ |
| الإمام السجاد عليه السلام | وَوَحياً أنزَلتَهُ عَلَى نَبِيِّكَ... | ٥٧ |

# فهرس مصادر التحقيق


القرآن.

نهج البلاغه.

الصحيفه السجّاديّة.

التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام.

١. ابن أبي جمهور، محمّد بن زين الدين(ت ٩٠١ ق). ***عوالي اللئالي العزيزيّة في الأحاديث الدينيّة***. تحقيق: مجتبى عراقي. قم: منشورات دار سيّد الشهداء للنشر. الطبعة الأُولى: ١٤٠٥ق.

٢. ابن الفارس، أحمد بن فارس(ت ٣٩٥ ق). ***معجم مقاييس اللغة***. تحقيق: عبد السلام محمّد هارون. قم: منشورات مكتب الإعلام الاسلاميّ. الطبعة الأُولى: ١٤٠٤ ق.

٣.ابن عربيّ، محمّد بن عليّ (ت ٦٣٨ ق). ***الفتوحات المكيّة***. بيروت: منشورات دار الصادر.

٤.ابن منظور، محمّد بن مكرّم(ت ٧١١ ق). ***لسان العرب***. بيروت: منشورات دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الثالثة: ١٤١٤ ق.

٥. الإصفهانيّ، ميرزا مهديّ (ت ١٣٦٥ ق). ***أبواب الهدىٰ***. تحقيق: حسين مفيد. طهران: منشورات زنبق. الطبعة الأُولى: ١٣٨٧ش.

٦. الإصفهانيّ، ميرزا مهديّ(ت ١٣٦٥ ق). ***رسائل شناخت قرآن***. تحقيق: حسين مفيد. طهران: منشورات منير. الطبعة الأُولى: ١٣٨٨ش.

٧. البحرانيّ، السيّد هاشم (ت ١١٠٧ ق). ***البرهان في تفسير القرآن***. قم: منشورات قسم الدرسات الاسلاميّة مؤسسه البعثة. الطبعة الأُولى: ١٣٧٤ ش.

٨. البرقيّ، أحمد بن محمّد بن خالد(ت ٢٨٠ ق). ***المحاسن***. قم: منشورات دارالكتب الاسلاميّة. الطبعة الثانية: ١٣٧١ ق.

٩. الجصّاص، أحمد بن عليّ (القرن الرابع). ***أحكام القرآن***. تحقيق: محمّد صادق القمحاويّ. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربيّ. ١٤٠٥ق.

١٠. الجوهريّ، إسماعيل بن حمّاد (ت ٣٩٨ ق). ***الصحاح*** (ت اج اللغة وصحاح العربيّة). تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار. القاهرة: منشورات دار العلم للملايين. الطبعة الأُولى: ١٣٧٦ ق.

١١. الحرّ العامليّ، محمّد بن حسن(ت ١١٠٤ ق). ***تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة***. قم: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث. الطبعة الأُولى: ١٤٠٩ق.

١٢. الحسينيّ الزبيديّ، محمّد مرتضى(ت ١٢٠٥ ق). ***تاج العروس من جواهر القاموس***. بيروت: منشورات دارالفكر. الطبعة الأُولى: ١٤١٤ ق.

١٣. راغب الإصفهانيّ، حسين بن محمد(ت ٤٠١ ق). ***مفردات ألفاظ القرآن***. بيروت ـ دمشق: منشورات دار القلم ـ الدار الشاميّة. الطبعة الأُولى: ١٤١٢ق.

١٤. الربانيّ الميانجيّ، حسين(ت ١٣٧٤ش). ***معاد از ديدگاه قرآن، حديث وعقل***. قم: منشورات علميّه. الطبعة الثانية:١٤١٤ق.

١٥. رشيد رضا، محمّد (ت ١٣٥٤ ق). ***تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار***. بيروت: منشورات دار المعرفة. الطبعة الثانية.

١٦. الزمخشريّ، محمود(ت ٥٣٨ ق). ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل***. بيروت: منشورات دار الكتاب العربيّ. الطبعة الثالثة: ١٤٠٧ ق.

١٧. السبزواريّ، ملّاهادي (ت ١٢٨٩ ق). ***شرح المنظومه***. طهران: منشورات ناب. الطبعة الأُولى: ١٣٩٦ش.

١٨. السيّدان، السيّد جعفر. ***السنخيّة أم الإتّحاد والعينيّة أم التباين؟*** ترجمة: ماجد الكاظمي. مشهد: منشورات پارسيران. الطبعة الأُولى.

١٩. السيوطيّ، جلال الدين(ت ٩١١ ق). ***الإتقان في علوم القرآن***. تحقيق: سعيد المندوب. بيروت: منشورات دار الفكر. الطبعة الأُولى: ١٤١٦ق.

٢٠. الشهرستانيّ، أبي الفتح محمّد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد(ت ٥٤٨ ق) ***الملل والنحل***. تحقيق: محمّد السيّد الگيلاني. بيروت: منشورات دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

٢١. الشهرستانيّ، السيّد عليّ. ***منع تدوين الحديث***. قم: منشورات مؤسسة الإمام عليّ عليه السلام. الطبعة الأُولى: ١٤١٨ق.

٢٢. ـــــــــ. ***وضوء النبيّ***. الطبعة الأُولى: ١٤٢٠ق.

٢٣. صدر المتألّهين، محمّد ابراهيم(ت ١٠٥٠ ق). ***مفاتيح الغيب***. طهران: منشورات مؤسسة الدراسات الثقافيّة. الطبعة الأُولى: ١٣٦٣ ش.

٢٤. ـــــــــ. ***الحكمة المتعالية في الأسفار العقليّة الأربعة***. بيروت: منشورات دار إحياء التراث. الطبعة الثالثة: ١٩٨١م.

٢٥. الصدوق، محمّد بن عليّ بن بابويه(ت ٣٨١ ق). ***معاني الأخبار***. تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ. قم: مؤسسه النشر الاسلاميّ. الطبعة الأُولى: ١٤٠٣ق.

٢٦. ـــــــــ. ***التوحيد***. تحقيق: السيّد هاشم الحسينيّ. قم: مؤسسة النشر الإسلاميّ. الطبعة الأُولى: ١٣٩٨ق.

٢٧. ـــــــــ. ***علل الشرايع***. قم: منشورات مكتبة الداوريّ. الطبعة الأُولى: ١٣٨٥ ق.

٢٨. ـــــــــ. ***عيون أخبار الرضا***عليه السلام. تحقيق: مهدي اللاجورديّ. طهران: منشورات جهان. الطبعة الأُولى: ١٣٧٨ ق.

٢٩. ـــــــــ.***كمال الدين وتمام النعمة***. تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ. طهران: منشورات الاسلاميّة. الطبعة الثانية: ١٣٩٥ق.

٣٠. الصفّار، محمّد بن حسن(ت ٢٩٠ ق). ***بصائر الدرجات في فضائل آل محمّد***عليهم السلام. تحقيق: محسن بن عباسعلي كوچه باغى. قم: مكتبة آية الله المرعشيّ النجفيّ. الطبعة الثانية: ١٤٠٤ق.

٣١.الطباطبائيّ، السيّد محمّد حسين(ت ١٤٠٢ ق). ***الميزان في تفسير القرآن***. قم: مؤسسة النشر الاسلامي. ١٤١٧ ق.

٣٢. الطبرسيّ، أحمد بن عليّ(ت ٥٨٨ ق). ***الإحتجاج على أهل اللجاج***. تحقيق: محمّد باقر الخرسان. مشهد: نشر المرتضى.الطبعة الأُولى: ١٤٠٣ ق.

٣٣. الطبرسيّ، فضل بن حسن (ت ٥٤٨ ق). ***مجمع البيان في تفسير القرآن***. طهران: منشورات ناصر خسرو. الطبعة الثالثة: ١٣٧٢ ش.

٣٤. ـــــــــــ. ***إعلام الورى بأعلام الهدى***. طهران: منشورات الاسلاميّة. الطبعة الثالثة: ١٣٩٠ق.

٣٥. ـــــــــــ. ***تفسير جوامع الجامع***. طهران: منشورات جامعة طهران. الطبعة الأُولى: ١٣٧٧ ش.

٣٦. الطحاويّ، ابن أبي العزّ الحنفيّ(ت ٧٩٢ ق). ***شرح العقيدة الطحاويّة***. بغداد: منشورات دار الكتاب العربيّ. الطبعة الأُولى: ٢٠٠٥م.

٣٧. الطريحيّ، فخر الدين بن محمّد(ت ١٠٨٥ ق). ***مجمع البحرين***. تحقيق: أحمد الحسينيّ اشكوريّ. طهران: منشورات مرتضوى. الطبعة الثالثة: ١٣٧٥ش.

٣٨. الطوسيّ، محمّد بن الحسن(ت ٤٦٠ ق). ***الإستبصار فيما اختلف من الأخبار***. تحقيق: حسن الموسويّ الخرسان. طهران: منشورات دار الكتب الاسلاميّة. الطبعة الأُولى: ١٣٩٠ ق.

٣٩. الحميريّ المعافريّ، عبدالملک بن هشام (ت ٢١٨ ق). ***السيرة النبويّة***. تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياريّ وعبد الحفيظ شلبيّ. بيروت: منشورات دارالمعرفة.

٤٠. علم الهدىٰ، محمّد باقر(ت ١٤٣١ ق). ***البداء آية عظمة الله***. تقرير: السيّد عليّ الرضويّ. مشهد: منشورات الولاية. الطبعة الأُولى: ١٤٣٣ق.

٤١. ـــــــــــ. ***سدّ المفر على القائل بالقدر***. تقرير: السيد عليّ الرضويّ، أمير الفخاريّ وحسن الكاشانيّ. طهران: منشورات منير. الطبعة الأُولى: ١٣٨٨ش.

٤٢. العيّاشيّ، محمّد بن مسعود(ت ٣٢٠ ق). *تفسير العياشيّ*. تحقيق: السيّد هاشم الرسوليّ المحلاتيّ. طهران: منشورات المطبعة العلميّة. الطبعة الأُولى: ١٣٨٠ش.

٤٣. الفارابيّ، أبو نصر (ت ٣٣٩ ق). *فصوص الحكم*. قم: منشورات بيدار. الطبعة الثانية: ١٤٠٥ق.

٤٤. الفيض الكاشانيّ، محمّد بن المرتضى (ت ١٠٩١ ق). *تفسير الصافي*. تحقيق: حسين الأعلميّ. طهران: منشورات مكتبة الصدر. الطبعة الثانية: ١٤١٥ ق.

٤٥. الفيوميّ، أحمد بن محمّد(ت ٧٧٠ ق). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعيّ*. قم: مؤسسة دار الهجرة. الطبعة الثانية: ١٤١٤ ق.

٤٦. القميّ المشهديّ، محمّد بن محمّد رضا(ت ١١٢٥ ق). *تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب*. تحقيق: حسين الدرگاهيّ. طهران: وزارة الثقافيّة والإرشاد الاسلاميّ. الطبعة الأُولى: ١٣٦٨ ش.

٤٧. *القميّ*، علي بن ابراهيم(ت ٣٠٧ ق). *تفسير القميّ*. تحقيق: السيّد الطيّب الموسويّ الجزائريّ. قم: منشورات دار الكتاب. الطبعة الثانية: ١٤٠٤ق.

٤٨. القيصريّ الروميّ، محمّد بن داوود(ت ٧٥١ ق). *شرح فصوص الحكم*. بمساعي السيد جلال الدين الآشتيانيّ. منشورات العلميّة الثقافيّة. الطبعة الأُولى: ١٣٧٥ش.

٤٩. الكاشانيّ، ملّا عبدالرزاق(ت ٧٣٠ ق). *تفسير ابن عربيّ*. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربيّ. ١٤٢٢ ق.

٥٠. الكشّيّ، محمّد بن عمر(القرن الرابع). ***اختيار معرفة الرجال*** (رجال الكشيّ). مطبعة جامعة مشهد مقدّس. الطبعة الأُولى: ١٤٠٩ ق.

٥١. الكلينيّ، محمّد بن يعقوب بن إسحاق(ت ٣٢٩ ق). ***الكافي***. تحقيق: على أكبر الغفاريّ. طهران: منشورات دارالكتب الاسلاميّة. الطبعة الرابعة: ١٤٠٧ ق.

٥٢. المجلسيّ، محمّد باقر(ت ١١١٠ ق). ***بحارالأنوار الجامعة لدرر الأخبار الأئمّة الأطهار***. بيروت: منشورات دار إحياء التراث العربيّ. الطبعة الثانية: ١٤٠٣ق.

٥٣. ـــــــــــ. ***مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول***. طهران: دار الكتب الاسلامية. الطبعة الخامسة: ١٣٨٥ ش.

٥٤. الملكيّ الميانجيّ، محمّد باقر(ت ١٣٧٧ش). ***مناهج البيان في تفسير القرآن***. طهران: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الاسلاميّ. الطبعة الأُولى: ١٤١٧ ق.

٥٥. ـــــــــــ. ***توحيد الإماميّة***. تنظيم: محمّد البيابانيّ الأُسكوئيّ. طهران: مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الاسلامي. الطبعة الأُولى: ١٤١٥ق.

٥٦. الموسويّ الخوئيّ، السيّد أبوالقاسم(ت ١٤١٣ ق). ***معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة***. قم: مركز النشر الثقافة الاسلاميّة. الطبعة الخامسة: ١٤١٣ ق.

٥٧. الميرداماد، محمّد باقر(ت ١٠٤١ ق). *القبسات*. طهران: منشورات جامعة طهران. الطبعة الثانية: ١٣٦٧ش.

٥٨. النسائيّ، أحمد بن شعيب (ت ٣٠٣ ق). *سنن النسائيّ*. منشورات دار الفكر للطباعة و النشر. الطبعة الأُولى: ١٣٤٨ ق.

٥٩. النعمانيّ، محمّد بن إبراهيم(ت ٣٥٠ ق). *الغيبة*. تحقيق: عليّ أكبر الغفاريّ. طهران: مكتبة الصدوق. الطبعة الأُولى: ١٣٩٧ق.

بسم الله الرحمن الرحیم

﴿اُدعُ إلی سَبیلِ رَبِّکَ بِالحِکمَةِ وَ المَوعِظَةِ الحَسَنَة﴾

علم و معرفت بزرگترین و بهترین نعمت الهی است که خداوند متعال آن را به بندگان صالح خویش عطا می‌فرماید و آن‌ها را در مسیر عبودیت و کمال بندگی به سوی خود با آن یاری می‌کند. بزرگ‌ترین افتخار بندگان خدا برخورداری آن‌ها از این نعمت گرانسنگ است. عالمان ربانی و عارفان حقیقی کسانی هستند که در راه بندگی خدا همواره پیامبران الهی و امامان معصوم علیهم السلام را چراغ راه خویش قرار داده و از سلوک طریق علمی و عملی آن‌ها هیچ وقت احساس خستگی به خود راه نداده و از هر طریق دیگری غیر از راه امامان معصوم علیهم السلام دوری و بیزاری می‌جویند.

این بنیاد با هدف احیای آثار چنین بزرگانی که در طول تاریخ تشیع همواره مدافع و پشتیبان معارف اصیل وحیانی و علوم راستین اهل بیت علیهم السلام بوده‌اند تشکل می‌یابد.

امید است با توجهات خاص حضرات معصومین در این راه توفیق یارشان باشد تا بتوانند قدم‌های مثبت مهمی در احیای آثار ارزشمند آن بزرگان با شرایط روز بردارند.

عالم آل محمد
مؤسسة عالم آل محمد (علیهم السلام) للمعارفة
info@alemalmohammad.com